أنور الجندي

الفكر الإسلامي

وسموم التغريب والتبعية

دار الفضيلة

دار الفضيلة

للنشر والتوزيع والتصدير

الإدارة: القاهرة - ٢٣ شارع محمد يوسف القاضي - كلية البنات -
مصر الجديدة - ت وفاكس: ٤١٨٩٦٦٥ - رقم بريدي: ١١٣٤١ هليوبوليس.
المكتبة: ٧ شارع الجمهورية - عابدين - القاهرة - ت: ٣٩٠٩٢٣١
الإمارات: دبي - ديرة - ص ب: ١٥٧٦٥ - ت ٦٩٤٩٦٨ فاكس ٦٢١٢٧٦

وكيلنا في المملكة المغربية:

دار الاعتصام

للطباعة والنشر والتوزيع

الرحماني عبد الكريم

35 - 33 الشارع الملكي (الأحباس) - الدار البيضاء
الهاتف 30.42.85 - الفاكس 44.45.39







مدخل إلى البحث

بعد دراسة امتدت نحو أربعين عاماً بين كتب الاستشراق وكتب التراث تأكد لى أن الهدف الأول لحركة التغريب من خلال مؤسساتها التبشير والاستشراق والغزو الثقافى هو النيل من القرآن الكريم والسنة المطهرة فى محاولة لتزييفهما أو التشكيك فيهما أو انتقاصهما .

وفى محاولة القول بتطوير اللغة والنحو أو دعوى الحداثة أو البنيوية أو تفجير اللغة أو إحياء العاميات ودراستها وما يهدف هذا كله فى الأساس إلا النيل من القرآن الكريم ، ثم هو موجه أساساً فى كلمة خفية إلى القرآن بمفهوم القول بإخفاء الشباك للصيد وقد ظهر أخيراً أن المخطط الجديد الذى كشفت عنه عدة وثائق منها مؤتمر كالورادو يرمى إلى تغريب الأمة الإسلامية .

أولاً : جاء الإسلام خاتماً لرسالات السماء بعد أن بلغت البشرية الرشد وأصبحت مؤهلة لاستقبال رسالة عالمية خالدة تحقق هدف الفطرة وتطابق تكوين الإنسان نفسه بوصفه (قبضة الطين ونفخة الروح) .

لقد كانت البشرية قبل الإسلام تعيش فى صراع المادة والروح فظهرت نحَل ودعوات تدعو إلى اعتزال الحياة والإغراق فى أمر الروح والرهبانية والعبادة على النَحو الذى ظهر فى دعوات البوذية والكنفوشيوسية والهندوكية وغيرها كما ظهر تيار الاستغراق فى عالم الملذات والشهوات والماديات ، وقد خرج كلا التيارين عن الجادة وأرهق الوجود النفسى إرهاقاً شديداً ؛ لأنه كان ضد الفطرة سواء فى جنوحه إلى الروحانيات أم جنوحه إلى الماديات .

لكن الدعوة الربانية المتمثلة فى الإسلام من فجر البشرية وإلى أن تشكلت صورتها الأخيرة فى الإسلام المنزل بالقرآن على محمد ﷺ فى منهج ربانى جامع بين الروح والمادة والعقل والقلب والدنيا والآخرة .

ثانياً : جاء الإسلام بعد أن اكتملت قدرة البشرية على اعتناق الدين الخاتم فجاء علامة على عصر جديد أصبحت الأديان الماضية والدعوات السابقة مقدمة له على نحو

يؤكد الانفصال التاريخي بين العصور السابقة بما حملته من وثنية وإباحية وصراع ، فكان الإسلام علامة على العصر الحديث للبشرية كلها .

ثالثاً : جاء الإسلام بمفهوم تحرير الإنسان من ربقة الوثنية وفى نفس الوقت تحريره من الرق وذلك بعد أن عاشت العصور الماضية حضارات ظالمة قامت على الاستعباد والرق مثل : (اليونان ، والرومان ، والفرس ، والفراعنة) عاش أهلها حياة الظلم والطغيان .

رابعاً : جاء الإسلام بمبدأ (البرهان) والدعوة إلى التجريب ، وإقامة الدليل والنظر فى الكون ، وبناء الحضارة الجامعة بين الروح والمادة على النحو الذى قدمه المسلمون من بغداد إلى القاهرة إلى المغرب إلى الأندلس .

نعم لقد جاء الإسلام ليصحح للبشرية طريقها المظلم ، ويفتح لها السبيل إلى الإيمان بالله تبارك وتعالى وإسلام الوجه لله .

جاء الإسلام ليقضى على العبودية لغير الله : عبودية الإنسان للإنسان ، وعبادة الإنسان للأوثان ، وتحرير البشرية من التبعية ، وإقامة منهج الحياة على المفهوم الأصيل لمهمة الإنسان فى الحياة والمجتمع بوصفه مستخلفاً لله تبارك وتعالى فى الأرض ولإقامة المجتمع الربانى ، على أن يجعل سعيه خالصاً لوجهه تعالى فى إطار المسئولية الفردية والالتزام الأخلاقى .

وقد جاء الإسلام ليبنى هذا المجتمع الربانى بعد أن سقطت حضارات الظلم والعبودية المتمثلة فى الوثنية اليونانية والرومانية والفارسية والفرعونية .

وسرعان ما فرض الإسلام وجوده بالحق على هذا الكوكب الذى كان يقاسى من ظلم الظالمين وطغيان الطغاة ، فاستطاع فى ثمانين عاماً أن يمد جناحيه إلى نهر اللوار فى قلب أوربا إلى حدود الصين على نحو أذهل المؤرخين ، وسرعان ما قدم للبشرية ثمراته .

قدم المنهج التجريبى الذى لم تكن تعرفه البشرية كما قدم منهج المعرفة ذى الجناحين ، وحرر البشرية من الرق والعبودية بعد ألف سنة من قوانين أرسطو وأفلاطون اللذين قررا أن البشرية لا تستطيع أن تعيش بدون سادة فى الأعلى ورقيق فى الأسفل .

كذلك حطم القرآن الوثنية التى عاشت فيها البشرية وهاجم التجسيد والتعدد وفتح باب العلم والبرهان لإقامة حضارة إنسانية على مفهوم ربانى ولم يلبث الإسلام أن نقل علومه ومناهجه إلى قلب أوربا حين دخل الأندلس وامتد منها إلى بلاد أوربا فاستطاع أن يدخل فى جولة أخرى إلى البلقان .

وسرعان ما استطاع الغرب أن يسابق المسلمين بأدواتهم التى قدموها إليه حتى استطاع أن يتفوق فى عالم البحار واستطاع أن يخرج من البحر إلى المحيط .

ولكن المسلمين واجهوا هذه المعركة فى قوة كما واجهوا من بعد الحروب الصليبية والتتار والتى امتدت ثلاثة قرون .

أما هذه المعركة فإنها أشد خطورة وأوسع مساحة حيث يواصل النفوذ الغربى ليس فرض سلطانه الاقتصادى وحده وإنما فرض نفوذه الفكرى والثقافى فى محاولة لصهر هذه الأمة واحتواء أهلها وتزييف منهجها فى جولة ضخمة ، وفى محاولة ممتدة ، تتجدد فيها أساليب المؤامرة وأدواتها وحيث يجرى كسب بعض الأنصار لها بل والعمل على تجميع قوى أعداء الإسلام ومحاربته فى جبهة واحدة ماركسية غربية هندوكية ، حيث تواجه الأقليات الإسلامية فى العالم حملة ضخمة من الاضطهاد ، هذا فضلاً عن محاولة هدم قيم المجتمع الإسلامى نفسه بتدمير شبابه بالفساد والانحلال والمخدرات حتى تستسلم تماماً للتبعية ، وهذا ما يسمى بصراع القيم وأول ضحاياه هم المسلمون وليس أمام المسلمين إلا الصمود والتماسك وكشف الزيف المتجدد .

وقضت سنة الله تبارك وتعالى أن تصيب المسلمين فى أوج مجدهم وبعد ألف سنة من العطاء عندما خرجوا عن منهج الله تبارك وتعالى ولم يشفع لهم أنهم يحملون كلمة الله أساساً .

وجاء هذا الدرس الآن بعد خمسة قرون ليتأكد المسلمون من أن أمامهم طريقاً واحداً لا سبيل إلى الوصول إلى امتلاك إرادتهم إلا به وحده هو أن يلتمسوا منهج الله وأن يعودوا إلى الأصالة والمنابع ، وأن يقدموا أنفسهم رخيصة فى سبيل حماية البيضة وتحقيق الهدف ، وأن يتعلموا (صناعة الموت) فى سبيل الله .

ولينظروا تاريخ الإسلام فيجدوا العبرة واضحة ، فقد واجه المسلمون حملات

الصليبيين والتتار والفرنجة والاحتلال الغربى الحديث ، والحملة الصهيونية بالمقاومة وبيع النفوس لله خالصة فى سبيل حماية الوجود الإسلامى وفى سبيل تبليغ رسالة الله تبارك وتعالى إلى العالمين .

ولقد نقل الله تبارك وتعالى قيادة الحضارة العالمية إلى الغرب بعد أن تراجع المسلمون ، بل لقد تولى الغرب السيطرة على المسلمين وفرض منهجه الفكرى والاجتماعى والسياسى على بلاد المسلمين لأول مرة فى تاريخ الإسلام بتوقيف تطبيق النظام الإسلامى وفرض القانون الوضعى بديلاً للشريعة التى حجبها النفوذ الغربى .

وتراجع المسلمون وسيطر الغرب وكان عام ١٤٩٣ منطلق التحول وامتد هذا الموقف خمسمائة سنة كاملة دار فيها الاستعمار دورة كاملة بالسيطرة على مقدرات الأمة الإسلامية حيث فرض حضارته وقوانينه ونظريته فى الاقتصاد والاجتماع على هذه المنطقة الإسلامية الواسعة من رباط الفتح إلى أرخبيل الملايو .

وجرت المحاولة فى تغريب هذه الأمة المنزوعة السلاح بعد احتلالها والتى فرض عليها نفوذ الاستعمار البريطانى الفرنسى الهولندى والإيطالى جميعاً ، واستطاعت هذه القوى جميعاً أن تستنزف ثروات هذه الأمة وأن لا تبقى لأهلها إلا الفتات .

وظُن فى وقت من الأوقات أن الإسلام قد طويت صفحته وأن هذه الأمة التى بناها الإسلام فى أربعة عشر قرناً يمكن أن تنطوى وتستسلم وتفقد ذاتيتها وخصوصيتها وهى التى ابتعثها الحق تبارك وتعالى ليقدم الإسلام إلى العالم ويقيم للبشرية المجتمع الربانى الأصيل .

إن هذا التحول الذى حدث عندما عجزت قوى المسلمين عن السيطرة وانهارت تحت نفوذ الغرب ، تحت أسوار فيينا أو فى معركة نفارين من بعد ، ولكن الواقع أن المسلمين قاوموا النفوذ الأجنبى والاحتلال الغربى بالإسلام بشهادة كبار كُتَّاب الغرب ولم يستسلموا أبداً .

وإن استطاعت الموجه الغربية أن تأخذهم ثمة إلى التبعية إلا أنهم سرعان ما كانوا يحطمون القيود ويعودون إلى المقاومة .

ولقد حاول النفوذ الغربى احتواءهم واحتواء الإسلام نفسه على نحو من التغريب

والغزو الثقافى وتقديم الإسلام على أنه دين عبادة ولاهوت ، وظن التغريبيون والعلمانيون أنهم سيقيمون (الدولة العلمانية) بديلاً عن الدولة الإسلامية ، ومضت الموجة تجمع أتباع الغرب والليبرالية فى جولة طويلة ثم كشف الإسلام عجزهم وجاءت جولة الماركسية وانهارت ، وتبين أن الإسلام قادر على حماية وجوده وأن البذور الغربية الوافدة لاتنمو فى أرضه .

وجاءت اليقظة تصحح الإسلام وترده إلى حقيقته « منهج حياة ونظام مجتمع » وتكشف عن جوهر الشريعة الإسلامية والمنهج الإسلامى وقدرته على العطاء فى الوقت الذى عجزت فيه الحضارة الغربية عن العطاء واضطربت مذاهبها السياسية والاقتصادية .

منذ اليوم الأول الذى كشف لعلماء الإسلام فى العصر الحديث تلك المحاولة الخطيرة التى ترمى إلى تزييف مفهوم الإسلام على النحو الذى بدأه المقتطف وصروف ونمر ومكاريوس حيث دخل علماء الإسلام المعركة بقوة ، وكان فى مقدمتهم جمال الدين الأفغانى ، ومحمد عبده ، عبد العزيز جاويش ، وفريد وجدى ، ورشيد رضا ، ومحب الدين الخطيب ، وحسن البنا ، وتفتحت آفاق جديدة للفكر الإسلامى فى مختلف الأقطار العربية والإسلامية حيث ظهر عبد الحميد بن باديس فى الجزائر ، ومالك بن نبى ، وعلال الفاسى ، وعبد الحميد سعيد ، والرافعى ، وإقبال ، وغيرهم كثيرون.

وبدأت المعركة التى لم تنته أبداً

معركة الأصالة فى مواجهة عملية الغزو التى قادها النفوذ الأجنبى والاستشراق والتبشير ، وتشكل فى ظل هذا العمل بيان خطير وحدث أشد خطورة ، وكان لابد لنا اليوم والأحداث تتحول بالفكر الإسلامى إلى مرحلة جديدة ، أن نقيم هذا الحدث الذى عشناه والذى يجب أن يكون موقفه واضحاً فى مواجهة النفوذ الأجنبى وحماية الأصالة الإسلامية والذاتية الإسلامية والخصوصية الإسلامية أيضاً على هذا النحو الذى نقدمه اليوم بإذن الله .

★ ★ ★



مدخل
فجر جديد للإسلام

من أخطر التصريحات التى صدرت فى العصر الحديث : ذلك التصريح الذى أعلنه الدكتور « بيرون » فى المؤتمر الدولى للعلوم الفكرية الخامس الذى عقد بمدينة أوسلو عاصمة النرويج فى ١٤ آب (أغسطس عام ١٩٢٩) حيث قال :

إن ظهور الإسلام كان خاتمة العصور القديمة وبداية إيقاظ الإنسانية فى أول عصورها المتوسطة حيث بدأت أوربا الغربية مدنية جديدة وحياة جديدة يجب معها اعتبار هذا الحادث العظيم هو بداية الوسيط .

ومع الأسف فما زال بعض مؤرخينا لا ينتهون إلى هذه العلامة المميزة على مفترق طرق التاريخ ويجرون وراء متعصبى الغرب الذين يتجاهلون ظهور الإسلام كأعظم حادثة تاريخية فى العالم ويتحدثون عن انقسام الدولة الرومانية إلى شرقية وغربية .

لقد تقدم الإسلام بعد ذلك شرقاً وغرباً حتى فتح الهند والصين وأسبانيا وقسماً كبيراً من فرنسا فى سرعة مذهلة أدهشت علماء الغرب ، حتى أطلقوا على هذه الحادثة التاريخية « المعجزة العربية » ثم كان العلم هو أهم ما أهدى الحضارة الإسلامية إلى العالم الحديث كما سجل بريفولت فى كتابه (بناء الإنسانية) حين قال : لقد كان العلم أهم ما جاءت به الحضارة الإسلامية ، وإن مايدين به علمنا لعلم المسلمين ليس ما قدموه لنا من كشوف مدهشة لنظريات مبتكرة بل يدين هذا العلم إلى الثقافة الإسلامية بأكثر من هذا : إنه مدين لها بوجوده نفسه .

لقد كان المسلم إيجابياً بالقدر كقوة للاندفاع والعمل فلا يخشى إلا الله ويثور على التواكل وينكر الجبر ويعتقد أنه مسئول وحر ، كما يعتقد أن الله سخر له ما فى السموات والأرض إذا هو قام بدوره بحق .



فى دائرة الضوء

فى عام ١٩٤٣ عقد مؤتمر للتاريخ أطلق عليه (مؤتمر بلتيمور) جمع له عدد من المستشرقين اليهود فى محاولة لوضع خطة لتزييف التاريخ الإسلامى وقد كان هذا المؤتمر بمثابة محاولة لتجديد خطة الإسرائيليات التى يعرفها كل من قرأ التاريخ الإسلامى الأول . وعرف كيف جرت المحاولات لتزييفه كما اتصل ذلك بالتفسير القرآنى والسنة النبوية ، وما زالت تلك الإسرائيليات القديمة من أخطر ما نعانى منه حتى الآن .

أما المخططات الجديدة فقد استهدفت إشاعة الشبهات حول حقائق أساسية فى تاريخ الإسلام ومقرراته حتى يكون الزيف الوافد عاملاً هاماً فى خدمة مخططات الصهيونية العالمية .

وقد كان ذلك العمل قائماً فى أساسه على التبعية منذ سيطرت اليهودية العالمية على الفكر الغربى وتدخلت فى كتابة دوائر المعارف الحديثة وخاصة (دوائر المعارف الإسلامية) حيث كان العمل يستهدف ضرب الروابط بين العروبة والإسلام وتزييف علاقة المسلمين بسيدنا إبراهيم وسيدنا إسماعيل ورحلة سيدنا إبراهيم إلى مكة ، وتجديد وبناء البيت الحرام ، ومحاولة فرض طابع يهودى على الفكر الذى كان قائماً فى الجزيرة العربية قبل الإسلام .

وذلك كله يجرى فى نفس الاتجاه القديم المعروف عن اليهود بتحريف الكلام عن مواضعه ، والذى أشار إليه القرآن الكريم ووصفهم به .

ونحن نعرف أن محاولة إثارة الشبهات حول علاقة المسلمين والحنيفية دين إبراهيم والعرب بجدهم إبراهيم هى محاولة زائفة لم تثبت لحظة واحدة للبحث العلمى أو وقائع التاريخ ، أما مؤتمر بلتيمور فقد استهدف ضرب مفاهيم التاريخ الإسلامى القائمة على وحدة الإيمان بالحق ومقاومة الغزو السياسى والعسكرى عن طريق فريضة الجهاد التى يقررها الإسلام ، وإلقاء بعض الشبهات على البطولات الخالدة وصفحات التاريخ الماجدة ، ومحاولة إعلاء تلك الخلافات بين الفرق والتركيز عليها ومحاولة تصوير بعض الدعوات الضالة كالقرامطة ، والباطنية ، وحركة الزنج والحلاج ، وغيرهما على أنها ثورات إسلامية .

ولقد آتى هذا المخطط أكله فصدرت كتب كثيرة فى السنوات الأخيرة تعلى من شأن هذه الدعوات الضالة وتصورها بصورة العدل الاجتماعى .

فعلى شبابنا أن يحذر مثل هذه الأخطار ، وأن يعرف الهدف من ورائها .

كذلك لقد حرض هذا المؤتمر الصهيونى بعض الكتاب من علماء المستشرقين على إثارة مفتريات قديمة طالما كشفها علماء المسلمين ، كالقول بانتشار الإسلام بالسيف ، أو انتقاص دور المسلمين فى الحضارة وإنكار أثرهم فى بناء المنهج العلمى التجريبى وغيره ، كذلك فيما يدعونه بطلاناً بوصف فتوح الإسلام وتوسعاته بالوحشية أو غيرها من صفات كان المسلمون والعرب أبعد الناس عنها ، وإن الهدف الأساسى من هذه الخطة هو تصوير العرب بهذه الصورة الزائفة فى محاولة الحيلولة دون افتقادهم مكانهم الحق وحجب أخطار الصهيونية العالمية على أرض المسلمين والعرب .

★ ★ ★

الإسلام قوة الغد العالمية

قال الدكتور باول شمينر فى كتابه « الإسلام قوة الغد العالمية » :

سيعيد التاريخ نفسه عوداً على بدء من النقطة التى قامت منها القوة الإسلامية العالمية فى الصدر الأول للإسلام ولم يساورنى أدنى شك فى أن الحضارة التى ترتبط أجزاؤها برباط متين وتتماسك أطرافها تماسكاً قوياً وتحمل فى طياتها عقيدة مثل الإسلام لا ينتظرها مستقبل باهر فحسب بل سيكون أيضاً خطر على أعدائه .

من الصعب علينا فى الغرب استعارة التعاليم الروحية وهى من العوامل الأساسية للوحدة الأوربية التى فقدتها المسيحية بينما لا يزال الإسلام يحافظ عليها ، إن صوت العالم الإسلامى صوت نذير لأوربا وهتاف يجوب آفاقها يدعو إلى التجمع والتضامن الأوربى لمواجهة هذا العملاق الذى بدأ يصحو ويزيل النوم عن عينيه [باول شمينر]

« إن الأمة الإسلامية آخذة فى طريق الصعود وتتأهب لاستعادة دورها من جديد » [رودولف هلف] .

★ ★ ★

عالمية الإسلام وختم النبوة

الإســلام دين عالمى وهو كلمــة الله تبارك وتعالى الأخيرة التى شملت الدنيا بأسرها ﴿ **تبارك الذى نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً** ﴾ [الفرقان : ١] وإلى يوم الدين .

وقد جاء الإسلام (دعوة الله العامة الشاملة) للناس كافة وهو بهذا يختلف عن الدعوات السابقة وعما جاء به النبيون السابقون ، والسبب فى ذلك أنه كلمة الله الأخيرة وأن رسوله خاتم الأنبياء والمرسلين وأنه دستور الدنيا السماوى هو القرآن ، فقد أرسل كل نبى إلى أمة ، وأرسل محمداً ﷺ إلى الناس كافة ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم** ﴾ [المائدة : ٣] إلى يوم الدين .

حفظ القرآن الكريم حقائق الخلق والكون والحياة والتاريخ

السؤال هو : لماذا لا يكون القرآن االكريم هو المصدر الأساسى للتاريخ وهو النص الموثق الذى حفظه الله تبارك وتعالى سالماً من كل ما أصاب الكتب المقدسة السابقة وجاءت الحفريات التى جرت فى الجزيرة العربية ومابين النهرين وفى غيرها مصدقة لما أورده القرآن الكريم من وقائع ، ثم جاءت بعد ذلك حقائق العلم التجريبى لتؤكد صدق ما أورده القرآن الكريم من حقائق تتعلق بقضية خلق الكون وخلق الإنسان .

هذا فى الوقت الذى كشفت عنه الأبحاث العلمية المجردة من أن كثيراً مما أوردته الكتب القديمة لم يكن من عند الله تبارك وتعالى وإنما كان من تراث الفينيقيين والسريان والرهبان وقد جمعه الأحبار والرهبان بعد أن ضاعت كتبهم المقدسة وقد سجل القرآن هذه المحاولة الخطيرة فى العديد من آياته ﴿ **فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله** ﴾ [البقرة : ٧٩] .

وقد جاء من كُتَّاب الغرب من أكد هذه الحقيقة وجاء علماء من كبار علماء اللاهوت فأعلنوا أن هناك إضافات وحذفاً وخلطاً كثيراً على مدى الأزمان فى الكتب المقدسة .

وقد امتد هذا الأمر على مدى قرون كثيرة وكان لحقائق العلم التجريبى أثرها الواضح فى تأكيد هذه الحقائق التى تتمثل فى أن القرآن الكريم حفظ حقائق الخلق والكون والحياة والتاريخ .

ومن هنا فقد وجب أن يتحقق الآن الاعتراف بالقرآن الكريم كمصدر ثابت لتاريخ البشرية ووقائع القضايا ، وقد آن الأوان أن تحجب الكتب القديمة التى مازال الفكر الغربى يتخذها مصدراً لكثير من المسلمات التاريخية غير الصحيحة .

الباب الأول
الإسلام والأديان السماوية والبشرية

الإسلام : رسالة الله تبارك وتعالى الخاتمة :

﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ [آل عمران : ١١٠] .

والإسلام كما نص القرآن ليس بدين جديد ولكنه الدين الأول الذى أوحاه الله تبارك وتعالى إلى المرسلين الأولين ، لم يرسل محمداً ليؤسس ديناً جديداً فى أمة معينة ، ولكن لتصحيح الخطأ الذى طرأ على الأديان والتحريف الذى أصاب الدين الأصلى الذى أرسل الله تبارك وتعالى به المرسلين والكتب التى فى أيدى الأمم محرفة مبدلة وقد تولاها رجال بالشروح والتأويلات خرجت بها عن أصولها وصارت كلها متناقضة كذلك هناك مانسيه أصحاب الأديان وما حرفوه من الأصل .

وقد كانت مقولة فاسدة تلك التى قالت إن الإسلام تراث قد غيرته الأزمان حتى عاد مخالفاً لروح التطور والتغيير ، إن هناك الإسلام وهو الميراث الربانى الخالد الذى لايغيره الزمن ولاينال منه التغيير فهو من الثوابت التى لاسبيل إلى تجاوزها أو تجاهلها .

أما أساليب التطبيق وعوامل الالتقاء مع المتغيرات فذلك شأن آخر ولا يمكن أن يوضع الإسلام فى كفة المتغيرات فيمكن التجاوز عن أصل من أصوله فى سبيل قبول مفهوم العصر أو التقدم .

ومن هنا فليس ما يطالب به الإسلاميون اليوم هو إحياء التراث وإنما هو شريعة الله الخالدة المنزلة بالقرآن الكريم والسنة النبوية .

وإن فى إمكان القانونيين والمشرعين الإسلاميين أن يقدموا منهجاً مرناً يحقق ثوابت الإسلام ومتغيرات العصر .

ومنذ أن شكل الإسلام لونه المميز على خريطة العالم فهو عالم مستقل له طابعه المفرد

﴿ **صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة** ﴾ [البقرة : ١٣٨] ، ومنهجه المتكامل المتجدد بالتوحيد والإيمان والأخلاق ، ومنذ ذلك اليوم أصبح للمسلمين قبلتهم الواحدة التى لم يحيدوا عنها وتهوى إليها قلوبهم وأفئدتهم بالإيمان والفكر والنظر ، ولم يكن لهم بعدها من ذلك اليوم وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها قبلة أخرى ، وما تزال الكعبة المشرفة وستظل مركز الدائرة فى أرض الإسلام .

ويمكن تعريف الإسلام باختصار وتركيز شديد بأنه « إعادة صياغة الإنسان » ووضعه فى مكانه الصحيح من الكون .

ولقد كانت رسالة الإسلام أعمق حركة من حركات التحرر والتجديد عرفها تاريخ الشعوب العربية والإسلامية لأنها بادرت منذ اللحظة الأولى إلى تحرير الإنسان من ربقة الوثنية والطاغوت وكل سلطان مارسته العقائد البدائية على المجتمعات القديمة واستقرت تقاليده فى طبقة الكهنوت ﴿ **يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت**﴾ [النساء : ٦٠] ، أى أولئك الكهنة الذين كانوا يزعمون الاتصال بالغيب وأعلنت مساواة الأجناس البشرية أمام العدل الإلهى وأزالت ضروب التناحر بين الشعوب ، فلم تقو عروش كسرى وقيصر على صد تيار التحرر الذى تدفق من جزيرة العرب وتحطمت الطبقة الساسانية الفارسية المعلقة على صخرة المساواة وانجلى الاستبداد البيزنطى عن سواحل البحر الأبيض المتوسط ، ولكن خفايا الطبقة الساسانية الفارسية أعادت الكرة فأعلنت على الرسالة العربية الإسلامية حرباً داخلية ، فجرفت الخلافة عن مهمتها وأحيت فى إدارتها كل أساليب الفساد التى كانت تشوب الإدارة الساسانية [صلاح الدين الناهى] .

لقد اختلف الإسلام عن غيره من الأديان فى عدة مواقع هامة :

أولاً : منع الآيات التى كانت تهلك الأمم لعلمه تبارك وتعالى أنه سيخرج من أعقابهم من يعبد الله تعالى ولو جاءت الآيات وكفروا بها لأهلكتهم ﴿ **سنة الله فى الذين خلوا من قبل**﴾ [الأحزاب : ٣٨] .

ثانياً : منع الشياطين من الوصول إلى الأفق الأعلى .

ثالثاً : حقق تبارك وتعالى للنبى ﷺ إقامة المجتمع الإسلامى وهو ما لم يتحقق لأى نبى قبله .

كما يختلف الإسلام عن غيره من الأديان :

١ - ليس للإسلام مؤسسة كالكنيسة فى الغرب .

٢ - لاصراع فى الإسلام بين الدين والعلم ولا بين الدين والعقل

٣ - لم يؤيد الإسلام ظلم الملوك ولا الأمراء المستبدين

٤ - قررت المسيحية أن ما لقيصر لقيصر وما لله لله والإسلام قرر أن قيصر وما لقيصر هو ملك لله تبارك وتعالى .

٥ - شعار الدين لله والوطن للجميع فيه انحراف عن الإسلام وشبهة الشرك بالله تعالى .

★ ★ ★

إن الرعب الذى زلزل كيان الأكاسرة والقياصرة وغيرهم لم يكن مصدره كثرة عدد أو عدة لدى المسلمين بقدر ما كان إظهار الاعتزاز بالله تبارك وتعالى وتوثيق العرى به والاطمئنان إليه والتوكل عليه مما أغراهم بالاستشهاد وحثهم على استعجال لقائه وزهدهم فى كل شىء من أجل رضاه تبارك وتعالى .

بالرغم من كل ما يحصى على العهود الإسلامية من أخطاء أو تجاوزات تظل أكثر عهود البشرية كلها نقاء وارتفاعاً عن الطمع والحقد والظلم وذلك بشهادة الغربيين أنفسهم ويرجع ذلك أساساً إلى منهج الحياة الذى رسمه الإسلام وأطلق عليه اسم الشريعة الإسلامية ومايزال .

وإن ظاهرة العودة إلى الإسلام هى ظاهرة لا يخطئها النظر ، وهى تدهش العلمانيين والشيوعيين الذين ظنوا أنهم قد حاصروا الإسلام وأخذوا يصهرونه فى بوتقة الفكر العلمانى مرة أخرى ، ولا يتوقف أمر ظاهرة العودة إلى الإسلام على المسلمين وحدهم ولكن الظاهرة تمتد إلى الكوكب الأرضى كله فنجد أن الإسلام يتحرك فى ثقة وعمق وقوة على مساحة عريضة من أرض الله .

★ ★ ★

إن الغرب اليوم هو الذى يطالب بتطبيق الإسلام وهو يسابق المسلمين فى تحقيق هذا الهدف ، فإن كتابات أعلام الغرب الذين درسوا منهج الإسلام أمثال : جارودى وبوكاى

ومراد هوفمان كلهم يؤمنون بأن البشرية تمر بأزمة خطيرة وأن المخرج الحقيقى لها هو فى التماس الإسلام منهجاً وتطبيقاً .

ومن خلال عشرات المؤتمرات والدراسات التى قدمها علماء التجريب والأطباء والمفكرون وأوضحوا أن الإسلام قد أحدث أثره الواضح فى عقليات أشرق فى قلوبها نور الإيمان .

وقد ظهر ذلك فى معطيات الإعجاز القرآنى التى تكشفت من خلال عشرات القضايا وأدخلت إلى الإسلام علماء غربيين كبار .

إن مقولة الغرب بأن العقلية الإسلامية عقلية غيبية بشكل مطلق ليس صحيحاً على إطلاقه وكيف يمكن لعقلية غيبية أن تنتج علماً ومنهجاً وتحليلاً ونقداً على النحو الذى قدمه الإسلام ، لقد استطاع المسلمون أن يجمعوا بين النظرية الحسية وما يسمى بالاستقراء ، وعرف العرب الملاحظة والتجربة والمشاهدة وبين علماء الغرب أخطاء النظر وأوهام الحس قبل ديكارت .

والمعرفة فى الثقافة الغربية هى المعرفة التجريبية التى تتجاهل المصادر الأخرى للمعرفة مثل الوحى أو النص ، بينما تقوم المعرفة الإسلامية على العنصرين معاً :

أحدهما الوحى والآخر هو العلم والعقل .

وأسلمة المعرفة والعلوم فى العصر الحديث توضح مكانة الوحى أو النص كمصدر للمعرفة وتكاملها مع العقل والتجريب فالوحى أساس مكين فى قاعدة المعرفة .

ومن هنا عمد المستشرقون والمبشرون إلى تقديم مؤلفات غربية تعارض هذا المفهوم الجامع الإسلامى الأصل وتحاول أن تقدم مفاهيم العقل والعلم وحدها كمصدر للمعرفة ، وذلك بهدف تغيير هوية الأمة والقضاء على أصالتها .

★ ★ ★

واضح أن هناك تصوراً للإسلام والفكر الإسلامى يمثل وجهة نظر الغرب فى الإسلام، وهو تصور مستمد من مجموعة من المواقف والأوضاع القديمة التى كانت قائمة بين المسلمين والغرب ويجرى خلال سنوات طويلة فرض هذا التصور على مناهج الدراسة بحيث تنشأ أجيال المسلمين على تصور مختلف عن الحقيقة أو على فهم لا يستوعب حقيقة

العلاقات بين المسلمين والغرب (يجرى هذه المحاولة اليونسكو والاستشراق والتبشير) وقوى مختلفة ، بينما أن هناك التصور الصحيح السليم للفكر الإسلامى وللعلاقات التاريخية بين المسلمين والغرب الذى يقدمه الدعاة إلى الإسلام فى محاولة لتأكيد ثقة المسلمين بمنهجهم الربانى الأصيل بعيداً عن الروايات الضعيفة وكتابات عصور التحلل والضعف ، وغلبة تفكير الفرق الضالة (كالقاديانية والباطنية وأهل الحلول والاتحاد) الذى دخل إلى الفكر الإسلامى أساساً من ترجمة الفكر اليونانى فى القرن الثالث ، والذى اتسع نطاقه فى العصر الحديث حين لم يتمكن المسلمون من تقديمه داخل تصورهم الصحيح ومعنى هذا أن هناك :

١ - فكر الفرق الضالة .

٢ - فكر اليونان القديم الذى ابتعثه طه حسين فى الجامعة حين فرض تدريس اللغتين اليونانية واللاتينية على الطلاب وترجمة آثار الفكر اليونانى وكتاب (قادة الفكر) الذى يمثل عظماء الفكر اليونانى وحدهم بوصفهم هم الذين قادوا الفكر الإنسانى جميعاً ومن بينه الفكر الإسلامى ، ومن ذلك مقولته المسمومة (إن الإسلام لم يغير العقلية العربية) فقد كانت يونانية أساساً .

★ ★ ★

تكشفت فى السنوات الأخيرة حقائق كثيرة كانت خافية على المسلمين الذين كانوا يظنون أن كل مايقدمه الفكر الغربى من نظريات وقضايا هى من حقائق العلوم أو حقائق الفكر حتى جاء الوقت الذى تكشف الأمر عن نظريات هى بمثابة ردود أفعال لوضع قديم أما الدعوة الإسلامية فى العصر الحديث فقد تدرجت فى ثلاث مراحل هى (اليقظة - الأصالة - الصحوة) .

وهى فى خلال المراحل الثلاث تحمل لواء الجهاد فى وجه الغزو الفكرى الذى ظل يحاول إخراج المسلمين من مفهوم الإسلام الأصيل : بوصفه منهج حياة ونظام مجتمع ، ولقد كان أهل الإسلام قادرين فى هذه المرحلة الطويلة على الصمود فى وجه محاولات الغزو وأساليبه ومخططاته ، وفى مقدمة ذلك التبشير والاستشراق من خلال جماعات الماسونية .

إن سماحة الإسلام قد وسعت البشرية كلها فقد اعترف الإسلام بالدينين ما أنزل على

موسى وعيسى والكتابين (التوراة والإنجيل) وكان كريماً فى معاملة أهل الأديان ، وعمل كل ما فى الوسع من أجل المحافظة على معابدهم وأتاح لهم حرية العبادة وفى كل مكان دخلوا إليه استقبلوه بالقبول ، فقد خلصهم من عنت الرومان وظلمهم وحكم قاضيهم فى سمرقند بخروج جيوش المسلمين من بلادهم لأنها لم تعلن قدومها قبل دخولها .

أما صلاح الدين فقد رفض دعوة رجاله فى الانتقام بعد أن هزم الصليبيين على النحو الذى عمله الفرنجة عند دخولهم عندما قتلوا ٧٠ ألف مسلم ، رفض صلاح الدين ذلك وقال : « إن دينى لا يسمح لى بمثل هذا العمل » بل إنه ذهب إلى أصحاب السفن الذين رفضوا أن يحملوا الصليبيين المهزومين إلى بلادهم وفرض عليهم ذلك وتحمل الجزية عن الفقراء ، وسمح لرجال الدين عند خروجهم من القدس بحمل كل مايستطيعون حمله .

هذه هى سماحة الإسلام التى ستظل قائمة على مدى العصور والأزمان مما يؤكد بقاء الحضارات وليس صراع الحضارات .

يقول المستشرق « هاملتون جب » عن مستقبل الإسلام سنة ١٩٣٢ :

« ولكن الإسلام مايزال فى قدرته أن يقدم للإنسانية خدمة سامية جليلة ، فليس هناك أية هيئة سواه يمكن أن تنجح مثله نجاحاً باهراً فى تأليف هذه الأجناس البشرية المتنافرة فى جبهة واحدة أساسها المساواة .

فالجامعة الإسلامية العظمى فى أفريقيا والهند وأندونيسيا بل وتلك الجامعة الإسلامية الصغيرة فى الصين أو فى اليابان لتبين كلها أن الإسلام مازال له القدرة على أن يسيطر كلية على أمثال هذه العناصر المختلفة الأجناس والطبقات ، فإذا ما وضعت منازعات دول الشرق والغرب العظمى موضع الدرس فلابد من الالتجاء إلى الإسلام لحسم النزاع »

هذا عن المستقبل البعيد ، أما المستقبل القريب فقد كشف عنه المؤرخ فريتش حين قال : « إن المستوطنين الأوربيين دهشوا عندما وجدوا أن الإسلام قد سبقهم فى تهذيب القبائل الوثنية والإفريقية كما راعهم درجة التعليم والمهارة التى كان يتمتع بها المسلمون الإفريقيون سواء فى نيجيريا أو تشاد أو السنغال أو النيجر حتى اضطر المسلمون الأوربيون إلى

مهادنة الإسلام والتوقف عن محاربته وعن مناظرة المسيحية عليه ، ومن ثَمَّ أحرز الإسلام تقدماً غريباً خلال الخمسين سنة التى تلت بداية الاستيطان الأوربى لأفريقية يكاد يفوق تقدم القرون التى سبقت فى خلال الخمسين سنة الأولى ومن خلال الاستيطان الأوربى لأفريقيا تضاعف عدد المسلمين فى غرب أفريقيا .

فبعد هزيمة المقاومة الإسلامية الأفريقية المسلمة على يد الاستعمار الأنجلو فرنسى ومقتل آخر المجاهدين الأفارقة (الحاج عمر بن سعيد) لم يجد الأفارقة غير الإسلام حصناً يقاومون به حضارة الغزاة وديانتهم القادمة معهم إذ ارتبطت الكنيسة بالاستعمار الجشع وبتجارة العبيد وذلك على أن سلطات الاحتلال الأوربى احتكرت التعليم والمدارس وربطتها بالكنيسة وجعلت اعتناق المسيحية شرطاً أساسياً لمن يريد الحصول على قدر معين من التعليم كما استخدمت الطب فجعلت المستشفى كنيسة ومدرسة أو جعلت الكنيسة مستشفى ومدرسة حيث تمارس المسيحية التفرقة العنصرية داخل الكنائس - كنائس للبيض وكنائس للسود بينما يجد المسلم المسجد جامعاً ثقافة كل المصلين .

حيث كانت المسيحية صارمة فى غسل دماغ الأفريقى من تراثها القومى بينما يعايش الإسلام هذا التراث ، كما يقول السيد الناصرى : « إن الإسلام لم يربط المسيحية بالاستقلال أو الاستعمار كما ارتبطت المسيحية التى اتخذت ستاراً لسلب الشعوب حريتها وخيرها » .

وكان الإسلام ولا يزال وسيظل دين المظلومين المقهورين الباحثين عن العدل والحرية ، وبقيت المسيحية دين الرجل الأوربى المستوطن .

ومن قبل اعترف كرومر أن الإسلام يناسب المجتمع الأفريقى أكثر من المسيحية وهو دين يسر لا عسر فهو لايطلب من الوثنى أكثر من أن ينطق بالشهادتين وبعدها يصبح عضواً له كامل الحقوق والواجبات ، بينما نجد المسيحية تشترط عملية طويلة تبدأ بالتعميد والتكفير المطلق لسابق حياته ومعتقداته ، ثم يبدأ فى تشكيل نفسه من جديد ، ويعرض عليه قراءة التوراة والإنجيل ، وفلسفات الكنيسة المعقدة ، وهو أمر مرهون بالعقلية الإفريقية التى لا تعرف غير التعقيد .

إن الكشف عن جوهر الفكر الإسلامى استمداداً من القرآن والسنة ووصولاً إلى بناء المنهج التجريبى ومنهج المعرفة ذى الجناحين وعطائه الباذخ الذى أنشأ الحضارة الحديثة ، هذا الذى هو حقيقة واضحة أنكرها الغربيون وأخفوها وأخفوا من أجلها ربع مليون كتاب مخطوط من التراث الإسلامى وهى التى تبدو اليوم وتنكشف عن نحو واضح .

ولابد أن هذه الحقيقة تبنى فى النفس المسلمة للشباب المثقف قيمة حقيقية للثقة بالإسلام وقوة باذخة للعزة والإيمان بالقدرة على أداء الجولة الأخرى للحضارة الإسلامية بمفهوم القرآن .

هل الإسلام دين عبادة أم منهج حياة ؟

إن الخطأ الأول هو فهم حقيقة الإسلام فهل الإسلام دين عبادى بمفهوم اللاهوت على النحو الذى عرفته المسيحية الغربية أو وصلت إليه بعد الصراع الطويل بين الكنيسة والملوك أو بين الكنيسة والعلماء حيث فصل فيما بين السلطة الدينية وبين السياسة ، وحيث قصرت الكنيسة على السلطة الدينية وتركت لرجل السياسة السلطة السياسية .

كل كُتَّابنا العلمانيين والماركسيين الذين تكونت ثقافتهم فى ظل هذا التصور الانشطارى للفكر الغربى يحاولون تصور الإسلام على هذا النحو .

والحقيقة أنهم يعلمون أن الإسلام دين ومنهج حياة وأنه نظام جامع ولكنهم يريدون أن يقدموا تصوراً لاهوتياً قاصراً ، وذلك حتى يعطوا أنفسهم الفرصة للقول بأن نظام المجتمع يمكن أن يكون ليبرالياً أو ماركسياً أى علمانياً .

★ ★ ★

الباب الثانى
إحياء الفرق الضالة

كان النفوذ الأجنبى حريصاً على تزييف مفهوم الإسلام الصحيح وإخراجه من مقوماته الحقيقية فى محاولة لفرض تصور منحرف وزائف وحتى لا يستطيع المسلمون تحقيق إقامة المجتمع الإسلامى على أساس مفهوم أهل السنة والجماعة وهذه هى الحرب المعلنة على الإسلام منذ اليوم الأول على عقيدة الإسلام ونظامه السياسى والاجتماعى والاقتصادى .

ولقد كان إحياء الفرق الضالة وإعادة بثها من جديد أول هذه الأخطار فقد عملت قوى الاستشراق والتغريب على إحياء هذه الفرق وإعادة تقديمها من جديد من خلال أطروحات ودراسات جامعية على أنها كانت كذباً وتضليلاً حركات حرية وعدل اجتماعى وكانت القرامطة والمانوية والمزدكية وغيرها فى مقدمة هذه الفرق .

كذلك فقد احتشدت مجموعات من أعداء الإسلام فى مؤتمرات حافلة من أجل إحياء هذه الفرق وإعادتها للحياة .

وظهرت دعوات تجديد هذه الفرق ، ظهرت البهائية فى فارس ، والقاديانية فى الهند وحملت كل منهما سموم الفرق القديمة وشبهاتها ، وكانت تهدف إلى تدمير مفهوم الإسلام فى النفس المسلمة ، كذلك حرص النفوذ الأجنبى على احتضان النحل السياسية وجاءت بعد ذلك الدعوات ذات الطابع الإلحادى كالحداثة وارتبط بها الفكر الذى أراد أن يعلى من شأن العرفان والبرهان وإضعاف شأن البيان والذى تمثل فى بيان الإسلام .

ومن ثم ظهر الفكر الباطنى والفلسفى وإحياء وإعادة طبع الكتب التى كشف علماء المسلمين عن انحرافاتها أمثال كتاب « الفتوحات المكية » .

وكانت الحركة الباطنية أشد خطراً على الأمة الإسلامية .

★ ★ ★

قبل الغزالى كان الفلاسفة المسلمون يتأرجحون بين أفلاطون وأرسطو ويخلطون بينهما ليقدموا لواقعهم الثقافى خليطاً من الفلسفة اليونانية ، فلما جاء الغزالى قال فى مقدمة كتابه « تهافت الفلاسفة » بأن مقصده هو هدم مذاهب الفلاسفة (والفلسفة أياً كانت) وإطارها

فى هذه المذاهب من تناقض وعجز وسفسطة وقصور فقد ظل الفلاسفة الإسلاميون من قبله غارقين فى مباحث لا ترتبط بالوجدان الثقافى للأمة .

فالفارابى قدم فلسفة اليونان بشكل متخبط خلط بين آراء الحكيمين أفلاطون وأرسطو ، وابن سينا أغرق نفسه فى مباحث الفلسفة الأرسطية فى كتابه « الشفاء » ثم حلق فى أجواء أفلاطون ، أما أبو بكر الرازى فقد ظل يمهد بفكره لتقديم مذهب فى قدم المبادئ الخمسة هو مبدأ لم يصنع جيداً فى تاريخنا الثقافى وكان الإبداع الحقيقى لهؤلاء ليس فى مجال الفلسفة .

فعبقرية الفارابى تتجلى فى كتابه (الموسيقى) كما ترجع عبقرية (ابن سينا) إلى كتابه (القانون فى الطب) ، وريادة الرازى الحقيقية تكمن فى موسوعته الطبية الإكلينيكية .

كان العمل الخطير الذى قام به المبشرون والمستشرقون وأتباعهم هو إحياء الفكر الباطنى والفرق السياسية والمنطق والكلام والتصوف الفلسفى والباطنية والقرامطة والزنج وإخوان الصفا ، وتتسم هذه الفرق بخاصية (التأويل الباطنى) والقول بأن القرآن له ظاهر وباطن .

وذلك بهدف هدم التصورات الإسلامية وإخراجها من مفاهيمها الأصيلة والتشكيك فى هذه المقولات الإسلامية ومحاولة إخضاعها للمفهوم الماسونى الوثنى القديم والحديث والذى يختلف عن مفهوم التوحيد الإسلامى .

ولقد كان من الضرورى العمل على كشف المخططات الوافدة التى تعمل للقضاء على الشخصية الإسلامية لنشر الإلحاد والانحلال الخلقى .

وكذلك إحياء الماضى الفرعونى والإغريقى والجاهلى وتمجيده ، وبعث الأساطير وإعادة صياغة الوثنيات والفلسفات السريانية والمجوسية والباطنية وإحياء عشتروت وزيوس وباخوس بهدف هدم التصورات الإسلامية وإخراجها عن مفاهيمها الأصيلة .

قال الإمام ابن الجوزى : الباطنية قوم تستروا بالإسلام ومالوا إلى الرفض وعقائدهم وأعمالهم تباين الإسلام بالمرة ، فمحصول قولهم تعطيل الصانع ، وإبطال النبوة ، والعبادات وإنكارهم البعث .

لقد فتح النفوذ الأجنبى هذا الباب من أجل غاية خطيرة هى استبقاء الفرقة بين الأمة

وإعادة دفعها إلى أوحال الفرق وخلافات المذاهب ، فإذا سرنا نحن أصحاب الفكر الإسلامى فى هذا الطريق فإننا نكون قد حققنا غاية خصوم الإسلام ومكنا للاختلاف .

وهذا ما تحاول الدعوة الإسلامية أن تتجنبه وتبعد عنه ، فقد دحض الإسلاميون الشرفاء هذه المذاهب منذ وقت بعيد ، وكشفوا زيفها ، وحذروا من خطرها وانتهى الأمر .

فإذا جئنا اليوم متابعين لاتجاه الاستشراق ودوائر المعارف بإحياء هذه الفرق فإننا نكون قد خدعنا أمتنا .

إن هذه الفرق أحد شيئين ، إما فرق قديمة قامت فى ظل تطورات سياسية معينة وقد انتهت هذه الظروف السياسية فلم يعد لهذه الفرق بقاء وإما هى فرق جديدة تمثل بعض الطوائف القائمة اليوم ، وهذه يجب العمل على تقريبها من مفهوم السنة الجامع وتخليصها من بعض دعاواها لتلتقى مع المفهوم الجامع (لا إله إلا الله) .

أما بالنسبة للقاديانية والبهائية فهى فرق ضالة ليست إسلامية ويجب كشفها وتدمير مقوماتها .

وعلينا فى الأساس عدم التوسع فى عرض الفلسفات الوثنية الفارسية واليونانية وتقديم مراجعها مفصلة وتقديم مفاهيم هذه الفلسفات الغنوصية والباطنية على نحو لايجعلها مغرية للشباب المسلم حيث إنه ليس مطلوباً كشف دقائقها إلا لخاصة الخاصة من العلماء والباحثين ، أما تقديمها للشباب المسلم فتقدم على نحو يسير بحيث لاتحاط بطابع إغراء يجعلها متقبلة عنده ، وحتى فى مجال الرد على الشبهات لا تعرض على نحو مفصل بل يكفى تقديم أصولها العامة فلربما كان عرضها يغرى على تقبلها وعدم الاهتمام بنقدها وهدمها .

يقول الشيخ مهدى الإسلامبولى : لانرفض المنهج ولكن نطلب تعديل الطريقة ، لامانع من تدريس الفلسفة وعلم الكلام والمنطق بشرط نقدها كما نقدها السلف الصالح ، ذلك أن الفلسفة اليونانية التى يسمونها الفلسفة الإسلامية هى فلسفة وثنية بأحرف عربية كما أطلق عليها الفيلسوف « رينان » .

هذه الفلسفة التى كانت من أهم أسباب تدمير الإسلام ونشر الزندقة والانحراف والضلال بين المسلمين منذ عهد المأمون الذى طلب من ملك الروم إرسالها إليه فنصحه أحد خبثاء الرهبان بسرعة إرسالها قائلاً :

« إنها ما دخلت على أمة إلا كانت سبباً لانهيارها وضلالها »

هذه الفلسفة تدرس فى الأزهر كأعظم حقيقة علمية ويؤول القرآن إن خالفها مع العلم بأن أكبر الفلاسفة المسمين مسلمة تابوا ورجعوا إلى القرآن مما هو مذكور فى العقيدة الطحاوية .

إذ كيف تتجمع الفلسفة والعقيدة الإسلامية شعارها :

إذا اختلف العقل والنقل قدم العقل (هذا فى كلية أصول الدين) حيث يدرس الأزهر المذاهب الفقهية كأنها شرائع متعددة .

ويقول الإسلامبولى : « لو اطلعت على كتاب الفقه على المذاهب الأربعة لهالك الأمر فى تحليل وتحريم الحكم الواحد من مذهب إلى غيره » .

إن أشد الخطر هو التمسك بالفلسفة والتصوف وعلم الكلام والمنطق بعيداً عن التوحيد الخالص حيث ما دخلت الفلسفة بلداً إلا ضربه الله بالذل والانهيار حيث يجرى تقديم المذاهب المجوسية والبوذية والنصرانية دون الكشف عن زيفها .

★ ★ ★

إحياء الفكر اليونانى الهدف الأكبر للاستشراق :

« قد يعجب البعض ويتساءل ولماذا يتدخل المستشرقون فى بعض مواقف تاريخنا ويفرضون تصوراً مختلفاً عن التصور الحقيقى أو الواقع ؟ - إن ذلك يرجع فى الحقيقة لكى يتلاءم كلامهم مع مسلمة أساسية يفرضونها ، وهى أن هذه الأمة لم تسقط ولم تتقدم إلا بوصولهم هم وأنهم هم الذين دفعوها إلى التقدم وأن الثورة الفرنسية والحملة الفرنسية وأمور من هذه كثيرة هى التى غيرت اتجاه المسلمين العرب والمصريين وأنهم كانوا قبل ذلك متأخرين جامدين .

وقد أثبتت أبحاث كثيرة منصفة فساد هذا التصور وكذبه ، وأن المسلمين نهضوا نهضة حقيقية من خلال معطيات فكرهم قبل الحملة الفرنسية بأكثر من خمسين سنة .

كذلك فإن المستشرقين يحاولون فرض مفهوم آخر هو أن عوامل معينة هى التى أحدثت التقدم والنهضة ومنها الفكر الذى يتصل بالغرب ، فهم يوهمون بأن المعتزلة هم الذين دفعوا الإسلام إلى التحرر ، وبسقوطهم ضعف الإسلام ، ويوجهون إلى الخليفة

المتوكل (الذى حرر الفكر الإسلامى من المأمون وقصة خلق القرآن) أسوأ عبارات الجمود والتأخر لأنه هو الذى قضى على تلك المحاولة الخبيثة التى أخرجت الإسلام من مفهوم التأصيل الجامع وكل ما يتصل بالفكر اليونانى فهو فى نظرهم فكر متقدم بل إنهم ليبحثون فى الفكر الإسلامى على ضوء مصباح كتبوا عليه كلمة : « الآثار الخارجية التى تأثر بها الفكر الإسلامى » .

سواء أكانت هذه الآثار يونانية أو رومانية أو فرعونية أو فارسية أو من الفلسفة المادية أو المجوسية وغيرها .

هذه هى الخيوط التى يجرون وراءها فى الفكر الإسلامى وهى موجودة فعلاً ولكنها ليست ذات أهمية أساسية فى فكر يختلف عنها تمام الاختلاف ويقوم على أساس منهج ربانى قرآنى واسع الآفاق والجوانب والعطاء ، وإن كان لابد أن تلحق به خيوط من آثار البيئة التى انتقل إليها .

وهناك الحملة الضخمة الواسعة المريرة على المماليك والعثمانيين (والتى يرددها الآن عدد من كتابنا المغربين) ونحن نعرف مصدر هذه الحملة فهو أساساً الإحساس بالدور الذى قامت به هذه القوى فى وجه الوجود الصليبى فى بلاد الإسلام من ناحية وفى القدرة التى استعادة أرض المسلمين التى تسيطر على إستانبول (محمد الفاتح) .

ذكر البيهقى فى كتابه « تاريخ الحكماء » :

إن معظم من ترجم لهم من أهل القرنين الخامس والسادس وبعضهم من الصابئة والمجوس واليهود واليعاقبة والنساطرة ممن نشأوا فى ديار الإسلام وكتبوا مؤلفات لهم باللغة العربية وأكثر غير المسلمين منهم من أهل القرنين الثالث والرابع ممن اقتبسوا الحكمة من اليونان ، وإنه لم ينشأ فى القرن السابع ومابعده فلاسفة عظماء فى مستوى الرازى والبيرونى وابن الهيثم وابن باجه إلا القليل النادر مثل ابن خلدون فى شمال إفريقيا وكيف كانت نيسابور وأصفهان وجرجان وزنجان وشيراز والرى ومرو وبلخ وغزنة تعج بالحكماء الذين كتبوا بالعربية حيث كانت مع كل بلد دخله الإسلام لغة الدين والدولة . كان التعصب بعيداً عن الحكماء وكانوا يترجمون لأهل الإسلام كما كانوا يترجمون لسواهم فقد ترجم البيهقى لعشرين من غيرهم وأعطاهم حقهم كاملاً وجاء كتابه برهاناً على أن المدينة الإسلامية وحدة

لا تتجزأ وأن كل قطر متمم للأقطار الأولى .

وحيث كان ارتباط الفكر الباطنى والوثنى المبثوث فى الفكر الإسلامى بالمصادر الغربية ، فقد اهتم الاستشراق بإحياء الفكر اليونانى والإسرائيليات والدعوات الباطنية ، ومجد علم الكلام والاعتزال لأنه اعتمد على مفاهيم المنطق والجدل اليونانى ، وأهم التأثيرات اليونانية دخلت على الكلام والاعتزال والتصوف الفلسفى ، وأخطر ما أخذ به التصور الفلسفى :

وحدة الوجود والحلول والاتحاد وقولهم بالجبرية وإسقاط التكليف ويتمثل ذلك فى عدة عناصر أساسية :

١ – ما قدمه ابن سينا والفارابى والنصير الطوسى من الفكر الباطنى وقصر العقود السبعة ورسائل إخوان الصفا .

٢ – أشعار ابن الفارض وكتابات الحلاج وابن عربى وما دخل على فكر المعرى ومفاهيم ابن الرومى وغيره .

٣ – اختلاط فلسفات المجوس الشرقية ومفاهيم الأفلاطونية والفكر اليونانى .

٤ – مسألة الحب الإلهى وكتابات شعراء العشق وغيره مما اندس فى تراث الإسلام الأصيل .

٥ – فكرة قدم العالم واشتراكية المال والنساء .

كل هذه الأسس فى مجال الشعر والأدب وفى مجال التصوف (ابن عربى ، ابن سبعين) وغيرهم متأثرون بمفاهيم الفلسفة اليونانية ومفاهيم الحلول والاتحاد والقول الباطل أن الله تبارك وتعالى هو هذا العالم (جل وعلا عما يقولون علواً كبيراً) .

والقول بسقوط التكليف وهو المفهوم الذى حوله الغرب إلى مفهوم مسئولية المجتمع وليس الفرد .

وقد عارض مفاهيم الفلسفات الوثنية واليونانية والمجوسية علماء الإسلام الأصلاء فى دراسات عميقة موسعة وكان على رأسهم الإمامان الغزالى وابن تيمية وفى فلسفة الفارابى فى تفسير النبوة يقوم على أساس تعاليم الباطنية وقد استقاها الفارابى من جمهورية أفلاطون

وفلسفة أرسطو ، ولايمكن أن تقبل محاولة ادعاء البعض بأن كتابات ابن سينا والحلاج ورسائل إخوان الصفا وابن عربى هى كتابات إسلامية متجاهلين طابعها الباطنى والوثنى والإباحى ومخالفتها لمفهوم أهل الكتاب والسنة .

★ ★ ★

بطلان المناهج الغربية
فى دراسة المؤثرات الخارجية على الإسلام

وفى مقدمة هذه المناهج : منهج علم الأديان وما يتصل بالاعتزال والكلام وأثر الفلسفة اليونانية ومفاهيم الإشراق والاتحاد والحلول .

هذه المحاولة باطلة لأن الإسلام اكتمل فى حياة الرسول ﷺ وإن كل ما دخله من الفلسفات لم يغير شيئاً وقد رفض الإسلام فلسفات اليونان لأنها لاتتفق مع جوهر الإسلام : التوحيد الخالص .

وخاصة أن رؤية المستشرقين للدين يرونها رؤية دهرية تزعم أن العالم وجد نفسه دون حاجة إلى علة خارجية عنه ومستوحاة من الفكر اليونانى هرقليط وهيجل ونيتشة .

يقول هيجل : إن العالم وجد نفسه دون حاجة إلى علة خارجية عنه ، يمضى كل أمر فى سبيله حتى يبدو وكأنه نتيجة لصراع قائم بين متناقضات .

إن منهج علم الأديان لا يستطيع أن يعالج الإسلام كبقية الديانات فالإسلام فوق الحقائق الطبيعية والاجتماعية والفلسفة والعلم التى يقول بها المستشرقون .

كذلك فإن الإسلام بعيد عن المثالية التى نشأت من فلسفة الديانات ، كما أنه ليس منهجاً يقتفى أثر العلوم الاجتماعية ، إنه دين ودنيا تنتظم من هذا وذاك ، وتعاليمه لا تفرق بين العلوم الدينية والدنيوية ، ولهذا السبب ظهرت الدعوة إلى العلم عامة فى الإسلام .

كذلك فإن تناول المستشرقين لمفاهيم وقيم الإسلام مرتبط دائماً عندهم بمفاهيم اللاهوت من ناحية ، والعلمانية والمادية التى يكتبون بها فى أساليبهم وعقلياتهم ، فهو لا يستطيع أن يخرج عن مفهوم العلاقة بين المسيحية والمجتمع وفردية المسيحية وعدم ارتباطها بالتطبيق السائد فى الغرب .

ولقد دعا كثير من الغربيين المسلمين إلى عدم التهافت على محاكاة الغرب بل العمل على تجديد مجتمعهم انطلاقاً من معطيات دينهم من رشاد وسداد ، ولقد بذل المستشرقون جهدهم لتغيير معالم العقيدة الأصيلة والفكر الإسلامى ، ولكنهم باءوا بالفشل والخسران المبين .

ومن أوائل من أقدموا على هدم الإسلام (جولد سيهر) وكان من قواعده هدم لكيان السنة بصفة عامة ومن ذلك دعواه أن الحديث النبوى هو نتيجة لتصور المسلمين ، وهى دعوى منهارة أمام المقاييس الثابتة من الكتاب والسنة ، فالرسول ﷺ لم ينتقل إلى الرفيق الأعلى إلا وقد ترك فى المسلمين سبيل الهداية ممثلاً فى الكتاب والسنة .

« تركت فيكم ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدى أبداً : كتاب الله وسنتى »

[رواه الحاكم فى مستدركه عن أبى هريرة رضى الله عنه]

★ ★ ★

الباب الثالث

الحرب على التراث الإسلامى

فى النظر إلى التراث الإسلامى رفضاً وقبولاً يجب أن تكون القواعد الأساسية التى قررها القرآن والسنة قائمة ، فإن النظرات الكلامية والاعتزالية والتصوف الفلسفى التى خرجت عن مفهوم الثوابت الإسلامية ، يجب أن ينظر إليها على أنها تمثل مفهوم أهل السنة والجماعة .

فالقرآن الكريم والسنة المطهرة لايدخلان مقولة الثبات ويلزم العمل الفكرى والأدبى بالتحرك فى إطار الثوابت (جماع العقلانية والروحية معاً)

فالمقدس الحقيقى هو الوحى ويجب أن يظل خارج دائرة التراث ، وليس لدينا أى علم إلا والوحى أصل له ، وهى علوم لخدمته وتجليته وعلوم كان هذا الدافع إلى إنشائها .

يقول الدكتور رمضان عبد التواب :

يجب إحياء التراث كما تركه المؤلفون القدامى لأن هذا من حقهم علينا ثم يمكن استلهام هذا التراث فى أكثر من موضع بلغة عصرية ملائمة لكل منه .

ولكن لايجوز بأى حال من الأحوال نسخ هذا التراث الإسلامى بصورة تنافى الحقيقة ، إذن هذا إهدار لقيمنا الإسلامية ومكتسباتها التاريخية وخلفياتها الحضارية التى يعتز بها المسلمون ، وهذا المسخ والتشويه للشخصيات والتاريخ يجعلنا نطرح هذا السؤال : إلى أى مدى يجوز للفنان أن يخرج من إطار التاريخ .

ترى الدكتورة عائشة عبد الرحمن أن تراثنا الإسلامى يستوعب كل ذخائره ومخطوطاته من اللغة والأدب والتراجم والتاريخ وفى علوم الطبيعيات والرياضيات والكيمياء .

بل يستوعب كذلك ماحملت الشعوب التى أسلمت فى الفتوح الكبرى وتعربت من ميراث ماضيها الذى صار من ماضى الأمم .

أما بالنسبة لكتابة التاريخ واستلهام التاريخ يجب أن يبقى التناول محافظاً عن الأصول العامة للأحداث .

أما بالنسبة لفكرة استلهام التراث من خلال عمل فنى معاصر فلا مانع شريطة أن يقوم على الأمانة

ويجرى سؤال فى حاجة إلى إجابة : هل المسلمون يتحدثون عن التراث ليعيدوه وهل هم يدركون أن المستقبل غير الماضى وأن التاريخ لايعيد نفسه والماضى لا يعود ؟ وهذا اتهام مضلل يراد به تصوير المسلمين فى صورة ساذجة مع أن المسلمين عن طريق دينهم الإسلام يعرفون تماماً الحقيقة الأساسية القائمة على الثوابت والمتغيرات من أول يوم نزل دينهم عرفوها وليسوا فى حاجة إلى أن يعلمها لهم أحد بل هم الذين علموها للدنيا كلها ولكنهم يرفضون مفهوم التطور المطلق ، والغض من شأن الماضى والقديم لأنهم يحملون منهجاً ربانياً أصيلاً لايخضع لقوانين القديم والجديد ولكنه فى تركيبه الدقيق قادر على الجمع بين الجانبين اللذين يتصارعان فى الفكر الغربى فهو يجمع بين الإلهى والبشرى والقديم والجديد والثابت والمتغير .

ويقول دكتور أكرم ضياء العمرى : إن « التحريف » المتعمد للقيم الذاتية يعتبر من أبرز الأخطار بسبب الغزو الثقافى الذى تعرضت له أرض الحضارة الإسلامية والذى أدى إلى إحلال قيم ثقافية جديدة تتصل بالحضارة الغربية ولاترتكز على جذورنا الثقافية ، إن التيسير المطلوب يحتاج إلى أقلام مؤمنة بعقيدة الأمة الإسلامية وتقر بجدوى تجديد روح الأمة وقيمها بالارتكاز على جذورها الحضارية والثقافية حيث تختلف الصحوة الإسلامية نحو إحياء التراث عن حركة الرينسانس الأوربية بكونها تلتصق بالجذور الغربية ولا تعانى مشكلة حذف مرحلة تاريخية معينة كما حدث لحركة الإحياء الأوربية حيث لابد من وصل حاضر الأمة بماضيها ولابد من إضاءة الطريق إلى التراث لتكون الخطوات القادمة متصلة .

ولقد حرص النفوذ الأجنبى على الفصل بين الماضى والحاضر عندما بدأ كتاب الرواد والقمم الشوامخ من العصر الحاضر ووقفوا بماضيهم عند الحملة الفرنسية وبدأوا يعالجون التراث معالجة عبثية قائمة على إخضاعه للنظريات الغربية المعاصرة القائمة على النظرية المادية واعتبار الإنسان حيوان ناطق ومحاكمته على هذا النحو (تبين وبرونيكر وروسو) ، وإعلاء شأن العناصر والدماء وتجاهل الحقيقة الواضحة من أن الإسلام هو الذى صنع العقل العربى الإسلامى والفكر وليس العنصر والدم .

إن نظرية فصل واقع الأمة وحاضرها عن التراث هى أكبر مؤامرة تواجه الفكر

الإسلامى الذى لم ينقطع فى مسيرته خلال أربعة عشر قرناً ، أما العلمانيون فهم يريدون فصله عن الإسلام وربطه بالعصر السابق كما حدث للفكر الأوربى الذى انفصل عن العصر المسيحى وربط نفسه بالعصر الهلينى .

ولقد كان من أهم الأخطار تجاوز مرحلة التراث فى النهضة الجديدة وخطر تجاوز الفقه فى البحث عن مفاهيم الشريعة ، ويرجع الخطأ إلى التلقى المباشر من الكتاب والسنة دون ترشيد من العلماء ، بل دون إفادة أحياناً من التراث الفقهى الذى يوضح مفهوم العلماء الأفذاذ لهذه الآيات والأحاديث فى عصور الاجتهاد .

وإذا راجعنا الخلاف بين منهج البحث الإسلامى والمنهج الغربى ، وجدنا كيف طبق الغربيون المنهج الغربى الذى عارضوا به الإنجيل والتوراة فى دراسات تبين الإسلام والقرآن دون أن يتبنوا الخلافات العميقة .

ذلك أن منهج البحث الغربى قد تشكل فى ضوء الصراع مع المسيحية وكان الغربيون فى مواجهة الفكر الدينى الأوربى يصدرون عن خصومة وهوى ، فلما جاءوا يواجهون الفكر الإسلامى كانت خصومتهم أشد وهواهم أشد عنفاً ، إنه منهج ظاهره العلم والموضوعية والتجرد وباطنه التعسف والتعصب .

ولقد كان العرب سادة التجريب والاختبار يقيسون ويفحصون ويشاهدون ويدونون .

ملحوظة : لسنا مع الرأى الذى يحاول أن يجعل للإغريق دور فى تجريب العرب مع الاعتذار للأستاذ أكرم الغمرى .

يقول جمال سلطان : إن التراث الإسلامى يتميز بخصوصية ذاتية فى تكوينه تجعله مبايناً للتراث الإنسانى جميعه بما فيه التراث الأوربى ، فهو تراث تتصل منابعه الأولى بوجه إلهى متكفل بحفظ مضمون الحياة .

وهو يمثل ميراث منظومة حضارية ذات منهجية متكاملة وخصوصية شاملة مرتبطة بالوحى والغيب .

ثم بدأت السرقة التراثية ومحاولات السيطرة ، وكان أكبرها جماعة علماء فرنسا الذين قدموا إلى مصر مع نابليون ، وكان هدف السرقة تحقيق أمرين أساسيين :

إثراء النشاط الفكرى والعلمى والأوربى فى أوربا ، والأهم عملية سطو تم دون إثبات

الحق لأصحابه ، أو حتى دون مجرد الإشارة إلى وجود أصحاب هذا التراث فى تاريخ الإنسانية .

وأبرز معالم الظلم إنكار حقيقة أساسية هى أن العلماء المسلمين هم مؤسسو المنهج العلمى فى البحث التاريخى ، ولن تعرف أمة من الأمم هذه الدقة البالغة فى جمع المادة التاريخية وضبطها وترسيخها واستخلاص المنهج العلمى من خلال التجريب والملاحظة والقياس والمقارنة .

وامتدت المؤامرة على التراث إلى مؤامرة على اللغة وعلى السنة والقرآن والشريعة فى محاولة لعزل العالم الإسلامى عن ذاكرته التراثية بحجب هذا التراث فى الغرب .

وليس هناك أشد خطراً من خطورة محاولة تفسير التراث الإسلامى عن طريق الاستشراق لاستبدال مضامينه وتفسيره تفسيراً فاسداً ، باستبدال المضمون الأصيل .

لقد حاول النفوذ الغربى العمل على عزل الأمة الإسلامية والعالم الإسلامى عن ذاكرته التراثية وبحجب هذا التراث فى الغرب .

أما بالنسبة للتراث الإسلامى فقد واجه النفوذ الأجنبى خطورة محاولة تفسير التراث الإسلامى عن طريق الاستشراق وعجز عن تفسيره تفسيراً صحيحاً باستبدال المضمون الأصيل عن طريق من يعيدون كتابة التراث من جديد (طه حسين – عبد الرحمن الشرقاوى – ومن يكتبون عن البانكية وغيرها) فقد عمدوا إلى تشويش رؤية الفكر الإسلامى ، فهم يعلمون أن المسلمين سوف يعودون إلى هذا التراث ليبدأوا نهضتهم لذلك فهم يحاولون تدميره حتى لايربط المسلمون حاضرهم بماضيهم وحتى يرتبط العقل الإسلامى الحديث بترتيب وفق منهجية فكرية وإنسانية جديدة .

أما المعطيات الإسلامية فقد سمت سمواً كبيراً ، فقد اكتشف المسلمون أن القانون المدنى الفرنسى الذى وضعه نابليون قد نقلت أصوله والكثير من مواده للقانون عن « الشرح الكبير » للشيخ الدردير المصرى فى مختصر خليل فى الفقه المالكى .

كذلك نقل الأوربيون قاعدة المنع من التعسف فى استعمال الحق والتى أثار بها الفقهاء الألمان إعجاب العالم وأقروا بها سبقاً فقهياً هى قاعدة إسلامية أصيلة .

ولقد جرت المحاولات لإنكار دور المسلمين فى علوم الطب والفلك والرياضيات ، والتعتيم الواسع الذى فرضه الباحثون الأوربيون على السنن القرآنى .

ولقد سقطت تلك المحاولة التغريبية التى حاولت تهديم أصالة التراث العربى فى عدة من الاتهامات الباطلة .

١ – ليس التراث العربى إلا ترديداً للفكر اليونانى القديم بعد مسخه وتشويهه .

٢ – التشكيك فى قيمة الإسهام العربى فى التراث .

٣ – الادعاء بأن الذين قاموا بالإسهام الفعال فى الفكر الإسلامى مفكرون من الفرس أو اليونان أو الفينيقيين ممن دخلوا إلى دين الإسلام .

٤ – القول بأن التراث القديم عبء يجب التخلص منه أو على الأقل التخفف منه حتى يمكن اللحاق بركب المدنية الحديثة .

٥ – القول بأن الحضارة الإسلامية لم تكن أكثر من جسر أو معبر عبرت عليه الحضارة اليونانية .

عنى المستشرقون عناية عظمى بكتب العشق والحب أمثال :

كتاب « الزهرة » لأبى بكر الأصفهانى لأنه شبيه « بطوق الحمامة » لابن حزم الأندلسى ، وأضافوا إلى هذا « الأغانى » و « يتيمة الدهر » وقد طبعت هذه الكتب فى مطبعة الآباء اليسوعيين فى بيروت .

وقد أولى اليسوعيون اهتمامهم إلى تزييف التراث الإسلامى وأحدثوا فيها تحريفات غريبة وعجيبة تدل على شدة بغضهم وحقدهم على الإسلام ، وفقدانهم نزاهة العلماء وأمانتهم فى النقل .

وقد تبين فساد المراجعات التى قام بها الاستشراق الصهيونى الماركسى للتراث والتاريخ ، واختلفت وجهات نظر الماركسيين والليبراليين للتراث .

ولقد عمد كثير من أعلام الفكر الإسلامى إلى كشف زيوف العرض الغربى للتراث الإسلامى .

فى مقدمة هؤلاء أسين بلاسيوس الذى كرس أكثر من خمس وعشرين سنة من حياته فى بحث وتمحيص الفكر الإسلامى الفلسفى والدينى فى القرون الوسطى واستطاع أن يكشف كشوفاً هائلة فيما يتعلق باللاهوت وكيف أثر ابن رشد فى القديس توما الأكوينى

وابن عربى فى (ريموندلال) وكتب كتابه المشهور « الإسلام والكوميديا الإسلامية » .

كما اكتشف الباحثون كتاب الرازى (الشكوك على جالينوس) وهو يعتذر فيه عن مناقضته لرجل له من الاسم والشهرة ما لجالينوس وهو عدا هذا يقع منه موضع التلميذ من أستاذه .

الإسرائيليات :

أما الدكتورة بنت الشاطئ فقد كشفت عن مؤامرة التقويم الهجرى ومحاولة الاستشراق ممثلاً فى جولدسيهر بالادعاء بأن الإسلام بدأ من الهجرة أو ما أسمته شبهة التباس تنتهى (من تاريخ الإسلام والتقويم الهجرى) بوهم أن الإسلام بدأ بالهجرة والمسلمون كافة يعلمون من دينهم بالضرورة أن الإسلام بدأ فى فجر ليلة القدر من شهر رمضان المعظم الذى ﴿ **أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان** ﴾ [البقرة : ١٨٥] . ومن يعلم بالضرورة أن العمل بالتقويم الهجرى بدأ من السنة الرابعة لخلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه (وهى السنة السادسة عشرة للهجرة ، التاسعة والعشرون من بدء الإسلام بنزول أول الوحى ليلة القدر) شاع الوهم بأن تاريخ الإسلام بدأ بالهجرة وهى مقولة إسرائيلية فاحشة غرسوا بذرتها فى موقع فكرنا الدينى من الزمان وصبروا عليها طويلاً دون أن يتجاسروا بها علانية فى انتظار الظروف المواتية للظهور بها وإعداد دعاة من قومنا يبشرون بها فينا ويروجون لها وعلمى بالإسرائيليات فى تفسير القرآن قديم بحكم انتمائى إلى المدرسة القرآنية نشأة ودرساً وتدريساً ومنهجاً .

وما تزال « الإسرائيليات » تضغط على موقع فكرنا الدينى بجديد ، فلا يشغلنى هذه الجديد بقدر مايشغلنى أن أعادت صياغة القديم بصياغتها .

وفى هذا الجديد الموروث تزاحم به القضايا الشاغلة لوجودنا الحاضر ، مقولة بدأ تاريخ بالهجرة مثلاً لمكر التدليس ودهاء الاحتيال ، هذه المقولة تعلق بها يهود يثرب عصر المبعث مدخلاً إلى دعواهم الفاحشة أن الدين الإسلامى إنما (ولد بيثرب فى حضانة أحبار يهودها) ولم يتجاسر بطبيعة الحال على الظهور بهذه المعاملة الخبيثة فى العصر الأول فاكتفوا بغرس بذرتها وحوموا عليها من إسرائيليتهم المبثوثة فى تأويل القرآن الكريم بعد أن أعياهم أن يمسوه بأدنى شبهة من تحريف أو تصحيف ، وظلوا يتوارثونها آجالاً وقروناً دون أن

يبلغوا منها مآربها ، حتى جاء يهود القرن ١٩ فأحسنوا تحريكها وتلويث مناخنا الفكرى بها إعداداً ؟ لتقبل صياغة جديدة لفهم ديننا مشوبة بمدسوس الإسرائيليات وهى فى مرحلة التحضير لرسم خريطة مملكة بنى إسرائيل فى أرض الميعاد .

ثم يلقى الحروفيون من أحبارهم من يهود القرن التاسع عشر من ميراث الإسرائيليات على توجيه بشريات التوراة والإنجيل بالنبى المنتظر إلى القرن التاسع عشر حيث تظهر البهائية التى أخذت دورها فى حلف الشيطان بينهما وبين الصهيونية العالمية فى محاولة تلويث مناخ فكرنا الدينى بأن الإسلام يدين لدار الهجرة بما زين يهود للنبى العربى بأن أعداءه من أحبارهم أخفوا بشريات ظهوره ومع اليقين خبيئة التبشير النهائى الغبى الأبله بالمقولة الإسرائيلية تلقاها مستشرقو اليهود ، وعكفوا على خدمتها وإيضاحها فكانت الشغل الشاغل للمستشرق المجرى اليهودى الفكر جولد تسيهر فى دروس عن الإسلام (١٩٠٨) وانجزها سنة (١٩١٠) فى كتاب العقيدة والشريعة فى الإسلام وتاريخ تطورهما ، مشيراً بصريح مقصده بأن الإسلام فى العهد المكى لم يكن يشير إلى دين جديد (إنه فى المدينة فقط كان مولد الإسلام فى الحقيقة حيث قوى اليهود الذين مالوا عن دينهم رغبة فى مرضاته عقيدة تحريف قومهم لكتابهم وإخفائهم بشريات ظهوره وقد تم شغل الجدل ضدهم مكاناً كبيراً من الوحى المدنى وصار رهبان المسيحية وأحبار اليهود موضع مهاجم فيه ، وقد كان فى الواقع أساتذة له » أ . هـ .

وملخص ذلك هو الآتى :

١ – إخفاء بشريات التوراة والإنجيل بالنبى الخاتم .

٢ – الادعاء بأن الإسلام بدأ بعد الهجرة .

٣ – البشريات وجهت لنبى البهائية فى القرن التاسع عشر .

وتفصل الدكتورة بنت الشاطئ هذه المؤامرة على النحو الآتى :

إن اثنين من مستشرقى اليهود حملة المقولة الإسرائيلية أن الإسلام لبث بمكة خاملاً لايبدو أن الوحى فيه يبشر بدين جديد حتى جاءت الهجرة التاريخية فعزلت مكة عن مسرح الأحداث بتحولها إلى يثرب حيث الأحبار من يهودها قد أعدوها فكرياً وروجت لاستقبال الرسالة الجديدة والترحيب بها ، وفيها كان مولد الديانة الإسلامية بفضل الأساتذة الأحبار

والكهان ، ومنها انطلقت دعوى تطور الإسلام : عقيدة وشريعة التى يلهج بها أصحاب التنوير فى زماننا هذا وعليها تقوم حركة التبشير العصرية العالمية بوحدة الأديان وجمع المسلمين والنصارى واليهود على دين أبيهم إبراهيم عليه السلام .

والحقيقة الواضحة أن القرآن بدأ من ليلة القدر قبل الهجرة لسببين ، وأن القرآن نزل فيه فى العهد المكى قبل الهجرة ست وثمانون سورة ثم نزل بدءاً بالهجرة ثمان وعشرون سورة ، أولاها سورة البقرة وفيها آيات حذرت المسلمين من شر اليهود ومكرهم ، وشهدت عليهم بإثم تحريفهم كلام الله ﴿ **أفتطمعون أن يؤمنوا لكم** ﴾ [البقرة : ٧٥] ﴿ **ومنهم أميون لايعلمون الكتاب إلا أمانى** ﴾ [البقرة : ٧٨] .

فهل يمكن أن يكونوا حقاً هم الذين تولوا حضانة الإسلام فى عهد مولده فيهم بدار هجرته ؟ .

تقول الدكتورة بنت الشاطئ : تبين لى أن كتاب ولفنسون (اليهود فى جزيرة العرب) تفسير يهودى لتاريخ الجاهلية وعصر المبعث مع فحش التدليس وبؤس التهافت وفساد المنهج ، قالته بعد ٣٠ سنة (الكتاب ظهر عام ١٩٣٧) وكتبته فى جريدة الأهرام عام ١٩٦٧ .

قالت : سألت الدكتور طه حسين عن تقديمه لهذه الرسالة فقال :

« لكى يقرأه جيلك ولمن شاء منكم أن يتصدى لنقده أو بعده ، لماذا لا تفعلين ؟ »

قال هذا وهو يعلم أن بنت الشاطئ تعمل فى الجامعة بين عصابة ضخمة عرفت باتجاهها الواضح نحو خدمة الصهيونية على النحو الذى ظهر فى دراسات كثير من العلماء والمفكرين وخاصة مايتصل بالصحافة ومجلة الكاتب المصرى .

★ ★ ★

الشريعة الإسلامية والقانون الدولى

عرفت كلمة القانون الدولى ١٨٧٠م حيث حاول الباحثون الغربيون تحت وطأة التعصب الأعمى فى رحلة البحث عن الجذور التاريخية الحضارية للقانون الدولى .

وفى محاولة الربط بين النصرانية كديانة وبين قواعد القانون الدولى العام وعرفوه بأنه مجموعة القواعد التى تعرف الدول المسيحية بإلزاميتها فى علاقتها المتبادلة وقد دعا التعصب أولئك الباحثين إلى ربط مبادئ القانون الدولى بالحضارات القديمة ماعدا الحضارة الإسلامية بالعودة إلى تلمس جذور القانون الدولى فى الفكر العربى الإسلامى .

وقد اكتشفت أن معظم قواعد القانون الدولى الحالية وعلى رأسها قاعدة الالتزام والوفاء بالمعاهدات التى حظيت باهتمام بالغ من فقهاء المسلمين منذ فترة مثيرة عن التاريخ :

أولاً : أوجب القرآن على المسلمين الوفاء بالمعاهدات بينهم وبين محاربيهم ﴿ **كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام** ﴾

[التوبة : ٧]

﴿ **إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً ولم يظاهروا عليكم أحداً فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم** ﴾ [التوبة : ٤]

﴿ **إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق** ﴾ [النساء : ٩٠]

ثانياً : فى السنة أن الرسول ﷺ عقد معاهدات مع خصوم الإسلام ، عقده مع اليهود لضمان عدم الاعتداء بعد الهجرة إلى المدينة وجاء فيها (ولليهود دينهم وللمسلمين دينهم ومواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم فإنه لايولغ (لايهلك) إلا نفسه وأهل ملته) .

وقال المالكية : إن تحديد المدة متروك للحاكم يقدره حسب رؤيته لظروف الدولة ، هذه الشروط لا تخرج عما ورد فى القانون الدولى الحديث من شروط المعاهدات الدولية وهى أهلية التعاقد ، والرضا ، وعدم مخالفة القانون الدولى العام – أن يكون موضوع المعاهدة مشروعاً نتيجة القانون وتقره الأخلاق العامة ، والوفاء بالمعاهدات أهم أركان المعاهدات فى مفهوم القانون الدولى ، وأهم أركان المعاهدات فى الإسلام : نهى وحذر وهدد قاضى اليهود ﴿ **الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه** ﴾ [البقرة : ٢٧] .

وفى السنة : « لكل غادر لواء يوم القيامة يعرف به » [مسلم جهاد ١٥ ، أحمد ١ / ٤١٧]

وأوردت كتب السيرة والمغازى والتاريخ نماذج عديدة لرسائل بعث بها الخلفاء الراشدون ومن سار سيرتهم إلى قوادهم العسكريين .

كما حدد القانون الدولى المعاصر طرق إنهاء المعاهدات :

١ – انتهاد الغرض المحدد من المعاهدة .

٢ – انتهاء موعد المعاهدة إذا كان محدداً .

٣ – تحديد انتهاء المعاهدة بمعرفة جميع أطرافها .

٤ – بإعلان أحد الأطراف عدم الالتزام بها .

فإذا نظرنا إلى الشريعة الإسلامية وجدنا أصول هذه القواعد واضحة كل الوضوح وفى هذه النصوص من القرآن ومن فعل الرسول ﷺ دلالات واضحة على وجود تشريع واضح ينظم العلاقات السياسية والعسكرية بين الدولة الإسلامية وغيرها ، كما أن فيه دلالة واضحة الالتزام على احترام المواثيق والمعاهدات .

٥ – شروط من المعاهدات فى الإسلام : وضعت الشريعة الإسلامية الضوابط التى تمثل ما يسمى بلغة العصر (مصادر الإلزام) للمعاهدات الخارجية أو الشروط التى تكون بها تلك المعاهدات صحيحة ونافذة وملزمة للدول الإسلامية .

ومنها :

١ – ألا تعارض القانون العام للدولة الإسلامية بمعنى ألا تخالف نصاً شرعياً من القرآن أو السنة ، لقول رسول الله ﷺ : « كل شرط ليس فى كتاب الله فهو باطل »
[ابن ماجه ٢٥٢١ ، وأحمد ٦ / ٢١٣] .

٢ – أن يكون قائداً لدولة الإسلام أو من ينيبه من غير سلطة إجراء المعاهدات وتوقيعها ، وليس ذلك من حق أى مواطن آخر .

٣ – أن يكون للمسلمين هدفاً من عقد المعاهدات كتقوية الجيش أو إعادة ترتيب أوضاع الدولة . فقد صالح الرسول ﷺ أهل مكة عام الحديبية حتى قويت شوكة المسلمين ثم التزموا بما فى تلك المعاهدة من شروط .

٤ - أن تكـون المعاهدة مؤقتة بوقت معلوم اختلف الفقهاء فيه إلا بمدة عشـر سنين (وهذه هى مدة معاهدة الحديبية وأجازوا أن تزيد عن ذلك حسب الحاجة) .

أما القول بأن القانون المدنى مستمد من الأصول المسيحية وإغفال المصدر الإسلامى فهو قول باطل لايستند إلى دليل بل الحقيقة أنه مأخوذ من الشريعة الإسلامية .

وأهم الآيات القرآنية التى تمثل منهج القانون الدولى :

﴿ **فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم** ﴾ [التوبة : ٤]

﴿ **وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله** ﴾ [الأنفال : ٦١]

﴿ **وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء** ﴾ [الأنفال : ٥٨]

★ ★ ★

التراث الإسلامى المسروق

وقد تبين أن هناك ملايين المخطوطات الإسلامية والعربية القديمة سرقها الغزاة الأوربيون على مراحل من أيدى العرب ، فهل يدرك عرب اليوم فداحة هذه الكارثة التاريخية ويحاولون الاستفادة منها :

جامعة بريستون : ١٠ آلاف مخطوط إسلامى .

جامعة باريس الوطنية : سبعة آلاف مخطوط عربى .

مكتبة برلين الوطنية : عشرة آلاف مخطوط .

مكتبة رديسون : ثلاثمائة مخطوط .

مكتبة جوطا : ثلاثة آلاف مخطوط .

الفاتيكان : ستين ألف مخطوط .

مكتبة الأسكوريال : ثلاثة آلاف مخطوط .

مكتبة مدريد : ستمائة مخطوط .

مكتبة تطوان : سبعمائة مخطوط .

مكتبة ليدن – هولندا : ثمانية آلاف مخطوط .

أوبسان فى السويد: أربعون ألف مخطوط .

مكتبة لييننجراد : خمسة آلاف مخطوط .

وقد أشار ابن خلدون إلى تعاقب الغزاة كالصليبيين وغيرهم على نهب تراثنا وثرواتنا فحرقوا قسماً كبيراً من هذه المخطوطات وأحرقوا قسماً آخر ، ثم جاء الاستعمار الأوربى الحديث لينهب مابقى .

وتؤكد سجريد هونكه مؤلفة « شمس الله تطلع على الغرب » والمؤرخ توينبى أن المخطوطات العربية نقلت وترجمت إلى اللاتينية .

★ ★ ★

كان الدور الذى قام به علماء المسلمين إزاء جانحة ترجمة الفكر اليونانى إبان حكم المأمون مهماً جداً ، فقد تكاتفت قوى المفكرين الأصلاء مع كشف زيوف الفكر اليونانى .

وكان فى مقدمة هؤلاء ابن الهيثم ، ابن حزم ، جابر بن الأفلح ، الغزالى ، الجاحظ ، كل هؤلاء صححوا أخطاء بطليموس والمجسطى وإقليدس وأرسطو وأبقراط .

ولقد اتضح إذ ذاك موقف الإسلام من الفكر اليونانى :

أولاً : أنه لم يقبله أساساً لأنه يصدر على أساس قائم هو « علم الأصنام »

ثانياً : أنه كان موجهاً وجهة العبودية ، فقد قام على نظام العبودية البشرية والرق الذى أقره عظيمى الفكر اليونانى (أرسطو وأفلاطون) .

ولقد كان لإحياء الفكر اليونانى على النحو الذى كان يقوم به القسيس حنين بن إسحق حين يترجمه ويحصل على وزن ورقه ذهباً ، وقد امتد ذلك طويلاً .

وأدى ذلك إلى إحياء الفكر الباطنى والوثنى والفلسفة المادية والتصوف الفلسفى ، والغنوصى المسيحى ، ونشأ شعر الزنادقة وكتابات الحلاج وابن عربى وألف ليلة ورسائل إخوان الصفا والأغانى .

واليوم يتقدم هذا الفكر الباطنى إلى دائرة أوسع من الشعر إلى الحداثة ومن العرفان إلى البرهان .

روائع التراث الإسلامى

الإمام الغزالى : **إحياء علوم الدين** .

شاه ولى الله الدهلوى : **حجة الله البالغة** .

إقبال : **تشكيل الفكر الدينى فى الإسلام** .

أبو حنيفة النعمان : **الفقه الأكبر** .

الشافعى : **كتاب الرسالة** .

الشاطبى : **الموافقات فى أصول الشريعة** .

الماوردى : **الأحكام السلطانية** .

أبو يوسف : **كتاب الخراج** .

أبو عبيدة : **كتاب الأموال** .

الشيبانى : **السير الكبير** .

ابن حزم : **الفصل فى الملل والأهواء والنحل (تقابل الأديان)** .

الشهرستانى : **كتاب الملل والنحل** .

البغدادى : **كتاب الفرق بين الفرق** .

ابن هشام : **السيرة** .

الماوردى : **إمتاع الأسماع** .

العسقلانى : **المواقف الدينية فى المنح المحمدية** .

شبلى النعمانى : **سيرة النبى** .

محمد بن سعد : **كتاب الطبقات** .

ابن حجر : **الإصابة** .

ابن جرير الطبرى : **تاريخ الرسل والملوك** .

المسعودى : **مروج الذهب ومعادن الجوهر** .

أبو الفداء : **المختصر فى تاريخ البشر** .

المقريزى : **كتاب المواعظ والاعتبار** .

ابن الأثير : **كتاب الكامل فى التاريخ** .

الطوسى : **كتاب انعكاس الشعاعات** .

الخوارزمى : **صورة الأرض** .

ابن خسروان : **كتاب المسالك والممالك** .

ابن الماجد : **كتاب الفوائد فى صيد البحر** .

البلاذرى : **فتوح البلدان** .

ابن مسكويه : **تجارب الأمم** .

ابن كثير : **البداية والنهاية** .

شمس الدين السخاوى : **الإعلان بالتوبيخ** .

ابن خلدون : **علماء الاجتماع والتاريخ** .

البيرونى : **تحقيق ما للهند من مقولة.**

البيرونى : **الآثار الباقية فى القرون الخالية** .

ابن عربى : **فصوص الحكم** .

ابن عربى : **فتوحات مكة** .

السهروردى : **عوارف المعارف** .

الجبلى : **الإنسان الكامل** .

جلال الرومى : **المثنوى** .

ابن مسكويه : **تهذيب الأخلاق** .

نصر الدين الطوسى شاه ولى الله الدهلوى : **علم الأخلاق** .

القابسى : **تعليم الأطفال** .

الفارابى : **إحصاء العلوم** .

الخوارزمى : **مفاتيح العلوم** .

طاش كبرى زادة : **مفتاح السعادة** .

ابن القيم : **الظروف الحكمية فى السياسة الشرعية** .

ابن تيمية : **السياسة الشرعية** .

البياتى : **علم الفلك** .

الخوارزمى : **الزيج** .

الفرغانى : **المدخل إلى علم هيئة الأفلاك** .

على بن سعيد الصفدى : **الزيج الكبير الحاكمى** .

البيرونى : **التفهم لأوائل صياغة التنجيم** .

المسعودى : **كتاب القانون** .

★ ★ ★

حقائق أساسية عن التراث الإسلامى

تحاول القوى التغريبية والشعوبية والإلحادية والماركسية أيضاً أن تركز على إثارة الشبهات والسموم على التراث الإسلامى فى محاولة للنيل منه وتدميره .

ومن هنا فقد وجب علينا أن نقدم هذه الحقائق الأساسية :

أولاً : يتميز تراثنا الإسلامى المتصل خلال خمسة عشر قرناً عن تراث هذه المنطقة قبل الإسلام (الفرعونى والفارسى واليونانى والرومانى) .

هذا التميز يتمثل فى المعاصرة كتيار سياسى فى مواجهة الماركسية والليبرالية والقوميات المختلفة .

ولقد تقرر أن الإسلام بوصفه ديناً ربانياً عالمياً جامعاً للروح والمادة أنه لايمكن أن يوضع فى مجال المقارنة بالأديان أو المذاهب العقائدية الأخرى .

كذلك كان الإسلام لايقبل بالعلمانية التى تهدف لأن تفرغ المسلم من عقيدته وتدعوه لأن يترك بعض أحكام دينه أو يتجاوز عنها فضلاً عن أنها تعمل على تحويل الدين من نظام مهيمن إلى نظام وضعى .

ثانياً : إن التراث الإسلامى يتميز بخصوصية ذاتية فى تكوينه تجعله مختلفاً عن التراثات الإنسانية بماضيها الأوربى فهو تراث متصل بمنابعه الأولى بوحى إلهى فيكفل حفظ مضمون الحياة ، وكل فروعه دائرة فى فلك الإسلام الروحى والثقافى ، وهذا المفهوم ليس مماثلاً للحوادث التاريخية تحت أى ظرف كان .

ثالثاً : « القرآن والسنة » يدخلان فى مقولة التراث بل هما من الثوابت ، أما التراث فيبدأ بعمل العلماء والفقهاء والمؤرخين حيث يلتزم العمل الفكرى والأدبى بالتحرك فى إطار الثوابت أما فى النظر إلى التراث فيجب أن تكون القواعد الأساسية التى قررها القرآن والسنة قائمة ، فإن النظريات الكلامية والاعتزالية والنصوص الفلسفية يجب أن ينظر إليها فى ضوء مفهوم أهل السنة والجماعة ورفض ما يتصل بالفلسفة اليونانية أو الغنوص أو مذاهب الإشراق والباطنية .

رابعاً : كشف علماء الإسلام زيف منهج الفلسفة اليونانية وحذروا من مخاطره على مفهوم التوحيد الخالص وذلك منذ اليوم الأول لترجمة الفلسفات فى القرن الثانى الهجرى .

وكان من أبرز العاملين فى هذا المجال الأئمة العظام :

الشافعى ، وابن حنبل ، والغزالى ، وابن تيمية ، وابن القيم .

١ - **الشافعى** : أعلن أن اللغة العربية لها منهج يختلف عن أرجانون اليونان .

٢ - **ابن حنبل** : هاجم فتنة خلق القرآن وقال : إنها منقولة من الفكر اليهودى .

٣ - **الغزالى** : دحض مفاهيم الفارابى وابن سينا وكذب مقولتهم فى ثلاث مواضع .

٤ - **ابن تيمية** : نقض منهج أرسطو وأعلن « منطق القرآن » .

خامساً : إن اتخاذ الإسلام مصدراً للهوية هو اتجاه طبيعى ، وهو « عودة إلى المنابع » وهو التماس للطريق الذى سلكه المسلمون خلال أربعة عشر قرناً فهو ليس غريباً ولا جديداً ولا خاطئاً .

بل الخطأ هو عكس ذلك وهو استمرار التقليد : تقليد الليبرالية والماركسية والعنصرية التى فشلت كلها كأطر للتقدم .

إن النكسة قد كشفت عن فشل هذه المفاهيم ، ودفعت المسلمين إلى العودة إلى المنابع على أنها هى الطريق الوحيد .

سادساً : إن المسلم المتعلم فى الغرب فى حاجة إلى حماية الثوابت وتأكيدها والغوص فى التراث حتى يتمكن من استخلاص المادة الملائمة لموضوعه .

سابعاً : ليس هناك من يطالب بتمسك حرفى بنصوص التراث أو ممارسته ، وليس هناك من ينظر إلى الماضى على أنه مقدس أو أننا يجب أن نعيد التاريخ ، وليس هناك من يؤمن بنظرية الخلط بين الموروث والوافد فتلك نظرية عجزت عند التطبيق أن تقدم شيئاً .

ثامناً : مقولة أن التراث الإسلامى يخلو من تنظيم العلاقة الاجتماعية بين الناس مقولة خاطئة قال بها الذين ظنوا الفلسفة وعلم الكلام وتراث الفرق الإسلامية هو كل تراث الإسلام ، ومن ثم يزعم أنه يخلو من تنظيم علاقة الإنسان بالمجتمع حيث تنظم علاقة الإنسان بالله تبارك وتعالى .

ذلك أنه ليس فى الإسلام فصل بين العلاقتين والفقه الإسلامى يعالج العبادة كما يعالج المعاملات .

تحرير التراث الإسلامى من التبعية الغربية

إن نظرية فصل واقع الأمة وحاضرها عن التراث الإسلامى هو أكبر مؤامرة تواجه الفكر الإسلامى الذى لم تنقطع مسيرته خلال أربعة عشر قرناً .

أما دعاة التغريب فهم يريدون فصله عن الإسلام وربطه بالعصر السابق كما حدث للفكر الأوربى الذى انفصل عن العصر المسيحى وربط نفسه بالعصر الهلينى .

أما المسلمون فيؤمنون بضرورة « وصل حاضر الأمة بماضيها » ولابد من إضاءة الطريق إلى التراث لتكون الخطوات القادمة متصلة ، ولقد حرص النفوذ الأجنبى على الفصل بين الحاضر والماضى عند بدأ كتاب « الرواد والقمم الشوامخ » من العصر الحاضر وقفوا بماضيهم عند الحملة الفرنسية وأخذوا فى معالجة التراث على أساس إخضاعه للنظريات الغربية القائمة على :

١ – نظرية دارون واعتبار الإنسان حيوان ناطق .

٢ – إعلاء شأن العناصر والدماء وتجاهل الحقيقة الواضحة وهى أن الإسلام هو الذى صنع العقل الغربى الحديث . لولا أن أصحابه تنكروا للقيم الدينية والاجتماعية الإسلامية وكروا راجعين إلى الرومان

ولقد كان أول من هاجم التراث الإسلامى وأثار الشبهات حوله :

الدكتور طه حسين فى قضية الشعر الجاهلى والدعوة إلى تطبيق منهج الشك الديكارتى عليه ، وقد تبين فساد منهج الشك الذى اصطنعه طه حسين ووضح اختلافه مع منهج ديكارت ، كما حاول التغريبيون الأوربيون تطبيق المنهج الغربى (الحادى) فى دراسة التراث الإسلامى .

وهو منهج تشكل فى ضوء الصراع مع المسيحية وحاولوا به معارضة التوراة والإنجيل ، وقد كان الغربيون فى مواجهة الفكر الدينى الأوربى يصدرون عن خصومة وهوى ، فلما جاءوا به يواجهون التراث الإسلامى كانت خصومتهم أشد عنفاً .

فقد أرادوا بمكرهم إطلاق لفظ « التراث الدينى » على تراث اليهودية والفرعونية والإسلام وهو محض افتراء .

فالتراث الإسلامى لايمكن أن يوصف بأنه تراث دينى فهو تراث جامع يشتمل على الآداب والعلوم والاجتماع ، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فهناك فصل كامل بين تراث الإسلام وبين تراث الأمم قبل الإسلام ولا يمكن الجمع بينهما على النحو الذى يدعو إليه بعض التغريبيين ، ذلك لأن الإسلام حين جاء أحدث فاصلاً عميقاً بين ماضى البشرية وحاضرها ، أطلق عليه المؤرخون اسم (الانقطاع الحضارى) ، فقد كانت الحضارات الكبرى السابقة للإسلام (اليونانية ، والرومانية ، والفرعونية ، والهندية ، والفارسية) قائمة على أساس الوثنية وعبادة الفرد والرق ، وقد جعلت الرقيق عنصراً أساسياً فى بنائها ، بينما جاء الإسلام لهدم كل عبودية لغير الله .



ولقد كان من أوضح أهداف الغزو الفكرى أن يرتاب المسلمون فى تراثهم الأصيل وأن يتحولوا عنه إلى فكر مطبوع بالطابع الغربى الوافد على النحو الذى قدمته (دائرة المعارف الإسلامية) التى حاول بها الاستشراق أن يكسب ثقة القارئ المسلم وأن تكون كتاباته فى مجال الصدارة والمحل الأول بين مراجع الجامعات ، فيعتمد وفقاً على مابها من خلط وتحريف وينسوا مع الزمن مراجعهم الأصلية .

ومن ذلك إذاعة التراث الزائف ونشره مع العلم بأن هذا لن يكون أبداً ، وحين نستعرض ماقام به اليسوعيون فى بيروت نجدهم أحيوا مجموعة من كتب التراث التى وجهت إليها النقدات لما أصابها من تحريفات كثيرة كما فعلوا فى كتاب (فقه اللغة للثعالبى) والاهتبال بما فى شعر أبى العتاهية من الحكم والأمثال ، ومن أحقادهم استبدال عبارة الثعالبى عند ذكر النصوص القرآنية (قال تعالى) بعبارة (يقول القرآن) ، فهم لايريدون أن تمر الأبصار على عبارة تتضمن حقيقة : أن القرآن كلام الله ، ومن ذلك موسوعة (المنجد) وما حوته من أخطاء علمية وتاريخية متعمدة وتحريفات ومطاعن فى تاريخنا تخفى على الناشئة .

ومن أعمال خصوم الإسلام فى إحياء التراث الزائف نشرهم لتفسير ابن عربى للقرآن ، وكتب ألف ليلة وليلة والأغانى .

ومن ذلك تهذيب الأخلاق لابن مسكويه لأنه لايمثل المفهوم الإسلامى الأصيل وإنما يمثل مفهوم الأخلاق اليونانية (بكل ماتشمله من إباحة وقبح) .

فقد تأثر ابن مسكويه فى رأيه فى الأخلاق وفى مفهوم الاعتداد بالذات فى إثباته لهذه الفكرة فى شقها الأول بأفلاطون فى جمهوريته ، وفى شقها الثانى بأرسطو فى كتابه الأخلاق .



الاستشراق وأخطائه فى التراث الإسلامى

تحاول القوى التغريبية والشعوبية والإلحادية أن تركز على التراث الإسلامى بهدف تدميره ، بينما يتدفق تيار نما فى الغرب يرفض زيف النظرية التى ترفض القديم ، على غير قاعدة الإسلام الذى يقيم الفكر الإسلامى على قاعدة الثبات التى تنبنى على الأساس ، وقد ظلت النظرية البشرية التى ترفض الميراث والتراث جميعاً معروضة فى أفق الإسلام فلا يقبلها إلا غلمان المستشرقين ، أما التراث الإسلامى فهو جزء من الدعوة الإسلامية ، وقد نما خلال عقود متوالية حتى أصبحت اليوم ذات وجود أصيل حيث مكن الله تبارك وتعالى لها فى الأرض حيث يقتحم الإسلام وجدان الغرب ، وحيث يسيطر على عقل أوربا ، ويكشف مدى عظمة الإســلام وقدرته فى النفاذ إلى النفس الإنسانية حين تصفو الفطرة وتصدق النظرة ، ويتحرر المثقف الغربى من التعصب والحقد ، وحيث يجد فى القرآن الكريم والسنة المطهرة التى نزلت منذ أربعة عشر قرناً مجموعة من الحقائق العلمية التى نكتشفها اليوم ، سواء أكان ذلك بالنسبة إلى ما أورده القرآن فى شأن الكتب القديمة أو تكوين الجنين فى (دورات ثلاث) سماها القرآن (ظلمات ثلاث) أو خلق الكون وتوسعه وامتداده .

وحيث تكشف الدراسة المنصفة عن مدى عظمة العطاء الفكرى والثقافى والعلمى الذى طرحه القرآن الكريم والسنة المطهرة بالنسبة لما يقدمه التراث الغربى من أساطير وفكر طفولة البشرية .

يبدو هذا العطاء الجديد الذى يصدق القرآن والسنة فى كتابات كثيرين من علماء الغرب ومثقفيه .

نرى ذلك واضحاً فى كتابات الدكتور بوكاى عن الكتب المقدسة ، وماكتبه جارودى ومن قبله (محمد أسد) ليوبولد فابس عن الحضارة الغربية وعجزها ومعارضتها لمفهوم الإسلام الجامع وماكتبته (مريم جميلة) فى رسائلها عن أهل الكتاب ، وماكتبه الدكتور أليكس كاريل عن الإنسان : ذلك المجهول مما يطابق ماجاء فى الإسلام عن أن المرأة عنصر مستقل له تشكيل خاص يختلف فيه عن الرجل ويتفق مع مهمة كل منهما (الرجل والمرأة) ، وماكتبه شبنجلر فى كتابه (أفول الغرب) .

هذا بالإضافة إلى بحوث منصفى الغرب فى نقد الحضارة الغربية فى عديد من الكتب منها : [إنسانية الإنسان : رينيه دونو] ثورة الرجل : أريك فردم .

فإذا أضفنا إلى ذلك الوثائق التى اكتشفت ووصلت إلينا لوجدنا أن ما كشفه علماء المسلمين من خلافات جذرية يؤكد مايختلف فيه الفكر الإسـلامى عن الفكر الغربى بعامة (الفكر المسيحى ، الماركسى ، اليهودى) .

وقد ظهرت وثائق التبشير ومخططاته بأقلام دعاته وعلى رأسهم الدكتور زويمر التى جمعها السيد محب الدين الخطيب فى كتابه (الغارة على العالم الإسلامى)

(La Conquesluete du Monde Musalman)

وما كشـفته بروتوكولات صهيون وما كتبه مؤلف كتاب (أحجـار على رقعة الشطرنج) بالإضافة إلى الكتاب الخطير (لعبة الأمم) حيث تكشف هذه المؤلفات جميعاً مزيداً من الحقائق التى خفيت على المسلمين فى مؤامرة احتوائهم والسيطرة عليهم .

وماكتبه عمر فروخ والخالدى عن التبشير والاستعمار فى البلاد العربية ، كل هذا كشف أمام المثقف المسلم فى مطالع حركة اليقظة صدق الوجهة .

★ ★ ★

ومن ناحية أخرى نجد هناك تياراً دافقاً يكشف فساد حضارة الغرب بأقلام كتاب الغرب أنفسهم ويكشف عظمة الإسلام .

أما المسلمون فقد كتبوا بإخلاص شديد (عبد الكريم جرمانوس – محمد أسد) إيتان دينيـه .

فـهـذا اللورد « هدلى » يكتب [إيقـاظ الغـرب للإسـلام] ، ويكتب الكونت دى كـاسترى (الإسلام خـواطر وسـوانح) ، ويكتب كـارليل (البطولة) فى صـورة « نبى » ويكتب جوستاف لوبون (حضارة العرب) .

أما العلوم التجريبية الإسلامية فقد كتب عنها كثير من علماء الغرب واعترفوا بفضل المسـلمين ، وفى مقدمتهـم (درابر وسـجريد هونكة) كمـا اعترف أسيس بلاسيوس بأن (الكوميديا الإلهية) مأخوذة من القرآن الكريم وقصة الإسراء والمعراج .

ويصور الكونت دى كاسترى كيف امتطى صـهـوة جـواده ومعه ثلاثون من فرسان العرب الأشداء وهو ممتلئ الزهو بسلطانه وممتلئ الغرور بالمديح الذى يسـمـعه ممن يقـفـون فى

دائرة نفوذه ، وإذا بأحدهم يقول : لقد حان وقت صلاة العصر ، ودونما استئذان ترجّلوا واصطفوا للصلاة متجهين إلى القبلة ويتجاوب أنحاء الصحراء بكلمة الإسلام الخالدة (الله أكبر) .

وكيف شعر الكونت بشيء من المهانة فى نفسه والإعجاب بهؤلاء الفرسان الذين يولونه ، وبدأ يراجع الصورة التى كانت تملأ رأسه وتسود أوربا كلها عن الإسلام ونبيه ، وهى صورة بشعة تتقزز منها النفس ، ولما درس الكونت الإسلام وجد الإجابة ، واقتنع بالحقيقة ودونها فى كتابه (الإسلام : خواطر وسوانح) وتحدث عن سمو الرسالة وعظمة النبى محمد ﷺ .

أما اللورد هدلى فيقول فى كتابه : (إيقاظ الغرب للإسلام) :

كيف يمكننا نحن الأوربيون أن نعد أنفسنا لنفقه معنى الإسلام الحقيقى ، إننى أعتقد أن هناك آلافاً من الرجال والنساء مسلمون قلباً ، ولكن خوف الانتقاد والرغبة فى البعد عن التعب النفسى من الدخول فى الإسلام يخفون هذه الحقيقة التى لابد وأن تظهر يوماً ويسأل : لماذا لم ينتشر الإسلام ؟ ويقول : إن ذلك لعاملين : هو واقع المسلمين وحاضرهم ، والثانى موقف الكنيسة من المسلمين وعقيدتهم ، ولكن حواجز التعصب والكراهية بدأت تنهار .

★ ★ ★

ويمكن القول بأن حقائق كثيرة تكشفت فى العقود الأخيرة :

أولاً : كشف الشيخ محمد عبده فى كتابه (الإسلام والنصرانية) عن موقف الإسلام من العلم وصحح موقف فرج أنطون وجماعته فى اتهام الإسلام بالتعصب .

ثانياً : كشف السيد محب الدين الخطيب مؤامرة التبشير التى أعدها الغرب تحت عنوان (فتح العالم الإسلامى) وأبعاد الخطة التى ترمى إلى إخراج المسلمين من الإسلام .

ثالثاً : كشف عمر فروخ والخالدى مخططات التبشير فى العالم الإسلامى من خلال مئات الكتب الغربية التى روجعت بدقة .

رابعاً : كشف الشيخ مصطفى عبد الرازق موقف الإسلام من الفلسفة اليونانية وأن إمام هذا العلم فى العالم الإسلامى هو الإمام الشافعى وليس أرسطوطاليس وأن كتابه المسمى (الرسالة) هو أساس منهج أصول الفقه وقد جلى هذا المنهج واحتضنه على سامى النشار .

خامساً : كشف الشهيد عبد القادر عودة عن عظمة الشريعة الإسلامية بالقياس إلى القانون الوضعى .

سادساً : كشف الدكتور ضياء الدين الريس منهج الإسلام السياسى فى كتابه (النظريات السياسية الإسلامية) وذلك بعد أن أنكر المستشرقون والتغريبيون وجود منهج سياسى للإسلام .

سابعاً : كشف الدكتور ضياء الريس : أن كتاب على عبد الرازق (الإسلام وأصول الحكم) منقول من رسالة كتبها اليهودى (مرجليوث) فى نقد الخلافة الإسلامية .

ثامناً : كشف الشيخ عبد المتعال الصعيدى أن رسالة طه حسين (فى الشعر الجاهلى) مأخوذة من رسالة القس (جرجس صال) .

تاسعاً : كشف المستشار عبد الحليم الجندى أن رسالة (فرنسيس بيكون) مأخوذة من الرسالة للإمام الشافعى وهى أساس المنهج الغربى ، وهى نفس الرسالة التى اعتبرها الشيخ مصطفى عبد الرازق أساس الفكر الفلسفى الإسلامى .

عاشراً : كشف المؤرخ عثمان الكعاك عن أن ديكارت اعتمد فى رسالته عن المنهج على ما أورده الإمام الغزالى فى كتابه (المنقذ من الضلال)

★ ★ ★

كذلك فقد قدم مفكرو الإسلام تأصيلات واضحة للفكر الإسلامى :

١ – قدم الدكتور محمد عبد الله دراز (نظرية الإسلام فى الأخلاق) .

٢ – قدم الدكتور محمد المبارك : نظرية إسلامية فى علم الاجتماع .

٣ – قدم الدكتور حسن الشرقاوى : نظرية إسلامية فى علم النفس .

٤ – قدم مالك بن نبى : مخططات التغريب .

٥ – قدمت الدكتورة نفوسة زكريا : دراسة عن العامية فى المؤامرة على الفصحى .



كذلك فقد واجه مفكرو الإسلام فى العصر الحديث :

الفكر الباطنى والشعوبى والفلسفى من خلال كتابات الماسونية والقاديانية والبهائية على نفس الطريق الذى شقه الغزالى وابن تيمية وابن القيم .

وظهرت أبحاث متعددة فى الكشف عن أخطاء : ابن عربى والحلاج وابن سبعين ومذاهب الباطنية ، كما جرى الكشف عن أخطاء اللغة اليونانية تؤكد أن أرسطو لم يكن معلماً للمسلمين ، وعن طريق الشيخ مصطفى عبد الرازق وتلميذه على سامى النشار تكشّف فساد وجهة الفارابى وابن سينا وتكشف فساد قضية خلق القرآن بين المعتزلة والمأمون .

★ ★ ★

تحفظات على دراسات الغرب للتراث الإسلامى

أولاً : فساد المراجعات التى يقوم بها الاستشراق الصهيونى والماركسى والغربى للتراث والتاريخ الإسلامى لأنها لا تعتمد على النزاهة ولا سلامة النفس من الهوى والغرض ، فضلاً عن قيام هذه التفسيرات وفق المنهج الماركسى أو المادى ، وكلاهما يتنكر للتصور الإسلامى الجامع بين المادة والروح .

كما أنها تحاول محاكمة التراث الإسلامى على النحو الذى يحاكم عليه التراث الغربى مع الفوارق العميقة بين التراثين من حيث أن التراث الغربى : تراث بشرى فى أغلبه وتراث أسطورى فى عامته حيث لم يتصل بالفكرة الدينية الربانية إلا فى هوامش قليلة اختلطت بالفكر البشرى .

الهدف : هو عزل الأمة الإسلامية عن ذاكرتها التراثية وتشويش رؤية المسلمين المعاصرين لتراثهم ، وهم يعملون هذا عن هدف مبيت ؛ ذلك أنهم يعلمون أن المسلمين سوف يعودون إلى هذا التراث عن قريب ليبدأوا منه نهضتهم فهم يعملون على تدميره ليحولوا بينهم وبين هذه الخطوة الأساسية لأى نهضة ، وبهدف إحداث حالة الانقطاع بين مسار الأمة التاريخى والذوبان فى الغرب والاستقطاب حول مناهج وافدة .

فهم مثلاً يصورون الحروب الصليبية على أنها حروب قومية عربية ضد الاستعمار الأوربى (ويضعون موقعة حطين فى هذا السياق) .

---

(١) راجع كتابنا (مصابيح التراث والعصر) – دار الاعتصام .

ثانياً : محاولة إيجاد تصور بإنكار الدور الرائد الذى قام به المسلمون فى بناء المنهج العلمى والمنهج التجريبى ، وحجب كل مايؤكد هذا المعنى من التراث الإسلامى الذى تحفل به جامعات أوربا .

والهدف : هو إبراز النشاط العلمى الأوربى على أنه فكر رائد متجاهلين المراحل التى قام بها العلماء المسلمون فى إنشاء هذه العلوم سواء الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية حيث يجرى اليوم تعتيم واسع على هذا السبق الإسلامى ، وإذا ماظهر نص جديد يؤكد ريادة المسلمين جرى العمل على التشكيك فيه وحجبه والمراوغة فى إطلاقه ، وهنا يذكر الدور الذى يقوم به الدكتور فؤاد سزسكين [١] ، والمعروف أن القانون المدنى الفرنسى الذى وضعه نابليون قد نقلت أصوله ، والكثير المستفيض من مواده عن « الشرح الكبير » للشيخ الدردير المصرى على مختصر خليل فى الفقه المالكى .

وكذلك فإن قاعدة المنع من التعسف فى استعمال الحق والتى أشار إليها الفقهاء الألمان وأثارت إعجاب العالم هى قاعدة إسلامية أصيلة .

وتتمثل الحملة على التراث الإسلامى بهدف تقليص أثره ، وخلق روح النفور منه فى عدة دعاوى مسمومة أبرزها :

١ – ليس التراث العربى إلا ترديداً للفكر اليونانى القديم بعد مسخه وتشويهه .

٢ – التشكيك فى قيمة الإسهام العربى فى التراث .

٣ – الادعاء بأن الذين قاموا بالإسهام الفعال فى الفكر الإسلامى مستشرقون من الفرس واليونان أو الفينيقيين ممن دخلوا إلى دين الإسلام .

٤ – القول بأن التراث القديم عبء يجب التخلص منه من أجل اللحاق بركب المدنية الحديثة .

٥ – القول بأن الحضارة الإسلامية لم تكن أكثر من جسر أو معبر عبرت عليه الحضارة اليونانية وعصور سابقة على عصر النهضة والعصر الحديث .

وهذه كلها اتهامات باطلة كشف علماء المسلمين فسادها بعد أن اعترف عدد من

---

(١) راجع كتابنا (مصابيح التراث والعصر) – دار الاعتصام .

علماء الغرب بأصالة التراث الإسلامى وأهمية الدور الرائد الذى قام به المسلمون فى وضع أساس منهج المعرفة ومنهج البحث العلمى ومنهج التجريب .

(سيديو وساركون و درابر وسيجريد هونكه وجوستاف لوبون ..) إلخ ، كل هؤلاء شهدوا بأصالة التراث الإسلامى .

ومن ذلك قول سيديو : إن الكنوز الأدبية العظيمة أوجدها العرب فى ذلك العصر ونتاج نبوغهم العلمى ينهض دليلاً على نشاطهم الفكرى وتؤيد الرأى بأن العرب هم أساتذة الغرب فى كل شىء .. إلخ

أما إن الحضارة الإسلامية كانت ذات دور مؤثر فى الغرب فذلك أمر واضح ففى خلال ألف سنة كانت الحضارة الإسلامية تضىء المنطقة من أسبانيا إلى حدود الصين فى سنوات عرفت فى الغرب بالعصور الوسطى المظلمة .

أما الذين أسهموا فى هذا التراث وهذه الحضارة فهم جميع أهل الأمة الإسلامية سواء منهم الذين آمنوا بالإسلام أم لم يؤمنوا ، فقد أوجد الإسلام نهضة فكرية جمعت كل العناصر تحت لوائها .

وكانت اللغة العربية هى منطلقها الأصيل ، أن الإسلام وحده هو الذى شكل عقلية الفقهاء سواء كانوا فرساً أو هنوداً أو تركاً أو عرباً فهم قد شاركوا بعقيدة الإسلام وعقليته ومفاهيمه ، فهم ليسوا فرساً ولا أتراكاً وإنما هم مسلمون كتبوا باللغة العربية ودليلهم القرآن .

أما القول بأن التخفف من التراث مطلب من أجل اللحاق بالحضارة فتلك دعوى مضللة وباطلة ، بل العكس هو الصحيح ، فقد أكد العلماء التجريبيون أن النهضة الإسلامية لايمكن أن تستأنف إلا بالاتصال بنهاية التراث الإسلامى الذى توقف من قبل البناء عليه .

فالذين يدعوننا إلى التخفف من التراث إنما يدعوننا إلى الغرق فى أعماق التيه حتى نفقد طريقنا ومنطلقنا الحقيقى إلى النهضة المرتقبة .

ذلك أن أبرز مظاهر تراثنا الفكرى والحضارى الصالحة لنهضة عربية جديدة هى تلك العناصر الأساسية للمنهجية العلمية والتقنية التى ارتكز عليها الانبعاث فى أوربا بعد عصر

النهضة وانطواء العصور الوسطى التى ظلت قرابة ألف عام ، الإطار الزمنى لازدهار الحضارة الغربية فى مختلف مجالاتها الإنسانية حيث برهن العرب خلال ذلك على أصالة نادرة وروح خلاقة واستعداد للتكيف فقد أعدوا منهجاً تجريبياً رصيناً لم يكن للإنسانية عهد به وطوروا الاختصاص التقنى وحرروا الفكر وعززوا شمولية الكشف العلمى بربط الماضى بالحاضر (كما يقول عبد العزيز بن عبد الله) .

ويقول الدكتور أحمد سعيدان :

إن المهمة الفردية للبحث فى هذا التراث أنه يمكننا من إقامة بنيان المعرفة العلمية لدى أجيالنا القادمة على خلفية من إنجازاتنا .

إن عرض مسيرة العلم كما لو كان قاصراً على الإنجازات الغربية لاتخلق حافزاً للأجيال الصاعدة ولايقيم فى أذهانهم قيماً ومثلاً بقدر ماتضع فى نفوسهم أن يعرفوا أن لأجدادهم إنجازات واكتشافات واختراعات ، وإن قصر البحث على الإنجازات الغربية تفقدهم شخصيتهم وتشعرهم بالنقص كما أنه يعوق استقلالهم الفكرى ويحول دون الأصالة والإبداع وأن موضوعية البحث لاتتناقص بتنشئة المواطنين تنشئة فيها الاعتزاز بماضيهم والانتماء إلى أصولهم ، والثقة بقدراتهم دون تهويل إلى حد الادعاء الأجوف .

★ ★ ★

وبعد .. فلم يعد هناك شبهة أمام الحقيقة الواضحة الجلية : التى تتمثل فى فضل الإسلام على مناهج العلم والمعرفة والتجريب فقد تعدد وتكرر اعتراف علماء الغرب بهذه الحقيقة بعد أن ظلت منكورة وقتاً طويلاً ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد ، بل لقد تكشف أن علماء المسلمين صححوا كثيراً من نظريات اليونان وأن كشوفهم قد قدمت مفاهيم جديدة .

مثال ذلك ماقدمه العلامة (ابن الهيثم) بنظريته فى الطبيعة ، فقد أبطل علم المناظر الذى وضعه اليونان وأنشأ علم الضوء بالمعنى الحديث ، وإن أثره فى هذا العلم لايقل (بشهادة كل العلماء الكبار) عن أثر (نيوتن) فى علم الميكانيكا ، فقد أخذ بالاستقراء واعتمد على المشاهدة وسبق (بيكون) بعدة قرون وتناولت تجربة ضوء القمر وضوء الكواكب فضلاً عن أنه استقصى أحوال الإضاءة الشديدة والإضاءة الطبيعية .

يقول الدكتور عبد الحليم منتصر : إن ابن الهيثم أبطل النظرية اليونانية القديمة التى كانت تقول بأن الرؤية تحصل من انبعاث شعاع ضوئى من العين إلى الجسم المرئى وأحل محلها أن الرؤية تحصل من انبعاث الأشعة من الجسم إلى العين التى تخترقها الأشعة فترسم على الشبكية ، وينتقل الأثر من الشبكية إلى الدماغ بواسطة عصب الرؤية لتحصل الصورة المرئية للجسم ، وهو أول من قال : إن العدسة المجربة ترى الأشياء أكثر مما هى عليه .

وهنا يأتى الأثر الثالث بعد الريادة وتصحيح مفاهيم العلماء اليونان السابقين ، وهذا الأثر هو تأثر الغربيين المحدثين بهذه المفاهيم .

يقول دكتور مصطفى نظيف : إن كتاب « المناظير » الذى وضعه ابن الهيثم كان له أثر بالغ فى معارف الغربيين فى العصور الوسطى من روجر بيكون حتى كهلر ، وقد تبين لى من التحقيق أن جل البحوث والكشوف الضوئية التى تنتسب إلى علماء أوربا حتى عصر النهضة قد وردت فى كتاب « المناظير » ، وإن كثيراً من علماء أوربا المشهورين فى تلك العصور لم يصلوا إلى مستوى الآراء السياسية التى ذكرها (ابن الهيثم) وإن كتابه كان له أثر عميق فى توجيه علم الضوء الوجهة الصحيحة .

وكذلك الأمر فى ريادة (ابن النفيس) الذى وصف الدورة الدموية وصفاً صحيحاً يخالف وصف ابن سينا وجالينوس كل المخالفة ، وذلك قبل أن يكتشفها الأوربيون بثلاثمائة سنة تقريباً .

وم يتصل بهذا ما ألف من كتب لتصحيح أخطاء اليونان ، وقد ألف الرازى كتاباً سماه (الشكوك على جالينوس) وفيه يعتذر بأسلوب العالم الإسلامى عن مناقضته لرجل له من الاسم والشهرة ما لجالينوس ويقول :

إن التسليم للأستاذ فيه وقوف فى العلم ولذلك يصحح آراء عالم سابق حتى يكون ذلك منطقياً لتقدم العلم نفسه ، ولم يقف الأمر عند ابن الهيثم وابن النفيس فقد قام بذلك التصحيح ابن حزم وجابر بن الأفلح والغزالى والجاحظ ، وكلهم صحح مفاهيم بطليموس وإقليدس وأرسطو وأبقراط وجالينوس .

ثانياً : سبق المسلمون إلى إنشاء الموسوعات الهامة وتراجم الأعلام وفق منهج التحقيق العلمى ، وكان لابد أن يتصل هذا العمل فى العصر الحديث حيث لاتخلو الموسوعات

الأجنبية من دس على حضارتنا وعقيدتنا وتاريخنا وبعض هذا الدس يحاول أصحابه إكساءه ثوب العلم والتحقق ، ولم يتوقف هذا السبق فى مجال الموسوعات والتراجم ، بل اتصل بمجال العلم نفسه ، فالقابسى (٤٠٣هـ) يتحدث عن أحوال المعلمين والمتعلمين فى مقدمة كوكبة من علماء التربية الإسلامية ، (الزرنوخى ٥٩١هـ) ، (الغزالى ٥٠٥هـ) (ابن خلدون ٨١٨هـ) ويسبق القابسى فى هذا المجال بأمرين هما :

أولهما : أن التعليم حق لكل صبى وواجب على الدولة فى حالة عدم قدرة أهله على الإنفاق عليه ، والحجة فى ذلك أن الدولة مكلفة بأن تعلم كل مواطن أمور دينه وصلاته وليس هناك من سبيل لتحقيق ذلك إلا أن يتعلم القرآن قراءة .

ثانيهما : اهتمامه بتعليم البنات انطلاقاً من أن الإسلام هو دين الجميع (جميع أبناء المسلمين الفقراء والأغنياء إناثاً وذكوراً) وقد نادى القابسى بهذه المفاهيم فى القرن العاشر الميلادى (السادس الهجرى) وكشف عن مفهوم الإسلام فى التربية قبل أن تردد أوربا هذه المفاهيم بأكثر من ثلاثة قرون .

أما المعاجم والموسوعات الإسلامية فقد قدم علماء الإسلام فيها أعمالاً وافرة ، ومن هنا تتضح الحقيقة الأساسية : أن الإسلام لم يقبل أى فكر وافد قبل أن يتحقق من مطابقته للتوحيد الخالص وقبل مراجعته كعلم على مفهوم (التجريب) وأنه حول هذه العلوم كلها لتكون فى خدمة الإنسان الذى حرره الإسلام من العبودية لغير الله ، ومن الرق ومن الوثنية ، وأن الإسلام صهر تلك المفاهيم كلها التى وجدها عند الأمم فى دائرة أصالته ليخضعها لمفهوم التوحيد الخالص ورفض كل ما يتعارض معه من مفاهيم الوثنية أو الباطنية ، وكان الشافعى والغزالى وابن حنبل فى مقدمة الذين أرسوا هذه القواعد ، هذا وبالله التوفيق .

★ ★ ★

معطيات التراث الإسلامى فى مجال التجريب

كشف الدكتور ضياء الدين الريس مؤلف كتاب (النظريات السياسية الإسلامية) عن الأصول العامة التى أقام عليها مفاهيم السياسة فى الحكم وسياسة الدولة ، واستمدها من الفقه الإسلامى معتمدة على السنة والأحاديث النبوية ، وهى تكشف عن نظرية الإسلام السياسية وتعطى بوضوح إجابة صحيحة عن أن معظم النظريات السياسية الحديثة قد وردت فى الفكر الإسلامى وابتكرها الفقهاء المسلمون أساساً ، وأن الفقهاء الأوربيين قد جاءوا مرددين لها ، كما أنه دحض القول الضال الباطل الذى ردده طه حسين ومن لف لفه من المستشرقين والمبشرين من أن الإسلام لم تكن له نظرية سياسية ، وأنه استمد نظريته من الفكر اليونانى ، فجاء هذا الكتاب ليكشف عن أن الإسلام إنما استمد نظريته السياسية عن القرآن نفسه وليس من مصدر آخر .

فالماوردى والشافعى والغزالى والجوينى وابن حزم قد اشتركوا فى رسم خطوط النظرية السياسية فى مختلف مجالات الإمامة والولاية والحكم والعقد السياسى وهكذا من خلال (الأحكام) السلطانية للماوردى ، و (إحياء علوم الدين) للغزالى و (السياسة الشرعية) لابن تيمية و (إعلام الموقعين) لابن قيم الجوزية ، و (المقدمة) لابن خلدون وغيرهم من رجال الفقه الدستورى الإسلامى .

★ ★ ★

المسلمون سبقوا فى :

أولاً : علم الاجتماع كما يقول الأستاذ محمد إبراهيم حيث ظهر عبد الرحمن بن خلدون وأسماه العمران البشرى أو الاجتماع الإنسانى ، حيث قام بدراسة الظواهر الاجتماعية للكشف عن القوانين التى يخضع لها حيث تحدث عن الظواهر الاجتماعية بهدف تحليلها تحليلاً يؤدى إلى الكشف عن طبيعتها والأسس التى تقوم عليها والقوانين التى تخضع لها .

وهذه الطريقة فى دراسة الظواهر الاجتماعية لم يصل إليها تفكير أحد من قبل ابن خلدون حيث هدته مشاهداته وتأملاته لشئون الاجتماع الإنسانى إلى أن الظواهر الاجتماعية

لاتشذ عن بقية ظواهر الكون وأنها محكومة فى مختلف مناحيها بقوانين طبيعية تشبه القوانين التى تحكم ماعداها من ظواهر الكون .

ثانياً : ظاهرة المد والجزر سبق إليها المسلمون : حيث تحدث المسعودى فى كتابه (مروج الذهب) عن ظاهرة المد والجزر والبحار .

وكان الملاحون العرب قد عرفوا من خلال رحلاتهم البحرية الكثير من الظواهر الطبيعية ، وفيها ظاهرة المد والجزر ، وقد تابعه فى ذلك وتوسع فيه الدمشقى فى كتابه « نخبة الدهر » وعماد الدين إسماعيل أبو الفداء فى كتابه « تقويم البلدان » .

ثالثاً : فى علم الهندسة حيث أتى ابن الهيثم على مسائل أقرب إلى استعمال الهندسة، ومن هذه المسائل ماهو صعب ويحتاج حله إلى وقوف تام على الهندسة والجبر وبراعته فى استعمال نظرياتها وقوانينها .

وقد وضع ابن الهيثم مقالة فى استخراج سمت القبلة ومقالة فيما تدعو إليه حاجة الرموز الشرعية فى الأمور الهندسية ، ومن استخراج ما بين البعدين فى البعد بجهة الأمور الهندسية .

رابعاً : قدم البيرونى نظريات هندسية وطرق البرهنة عليها وهى طرق جديدة فيها ابتكار وعمق ويختلف عن الطرق التى سار عليها فلاسفة اليونان ومابعدهم .

خامساً : اهتم المسلمون برصد الأفلاك وقياس العروض ومراقبة الكواكب السيارة وتأليف الأزياج (الكتب التى تحتوى على جداول حركات النجوم) واختراع آلة الأسطرلاب .

سادساً : فى علم البصريات حيث كتب ابن الهيثم كتابه (المناظر) وبه أصبح مؤسس علم الضوء الحديث وقد أبطل ابن الهيثم النظرية اليونانية ، وقال إنه ليس هناك من أشعة تنطلق من العين لتحقيق المشاهدة ورؤية الشيء ، بل إن الأشياء المرئية هى التى تعكس الأشعة على العين فتبصرها بواسطة عدستها .

سابعاً : وكان للمسلمين دورهم فى طريقة الاستقراء والقياس والاعتماد على المشاهدة أو التجربة أو التمثيل .

ثامناً : فى اكتشاف الدورة الدموية وليس وليم هارفى ولكنه ابن النفيس .

كان جالينوس يقول إن الدم ينتقل من الجانب الأيسر من القلب عن طريق ثقوب دقيقة لاتراها العيون ، وقد ناقش ابن النفيس هذا الرأى ونقضه ، وقال فى كتابه : « شرح تشريح القانون » إن الدم ينتقل من الجانب الأيمن للقلب إلى الرئتين أولاً ، وكان جالينوس يقول : إن الطعام يتحول إلى دم يسيل فى الأوردة ويسير إلى جميع الأعضاء والأجهزة ، إلا أن جزءاً منه يجرى إلى الوريد القلبى ومنه إلى الوريد الأجوف المساعد إلى الجانب الأيمن ، كان هذا خيال حتى جاء ابن النفيس الذى يعتبر أول مكتشف للدورة الدموية الصغرى وهو أول من عرّف وظائف الرئتين والأوعية الدموية التى تصلهما بالقلب والشعيرات الدموية التى بين الشرايين والأوردة الرئوية .

وقد كشف ابن النفيس أن القلب يتلقى غذاءه من الدم الذى يجرى فى الأوعية الدموية التى تتخلل القلب وهو الذى أثبت أن الدم يرتفع على الرئة متشبع بالهواء وأثبت أيضاً أن هناك وصلات شرايين الرئة وأوردتها وهى تتحكم فى الدورة الدموية داخل الرئة .

تاسعاً : فى أصول علم الجبر ، وكان المسلمون هم أول من ألف علم الجبر بصورة علمية منتظمة وللخوارزمى كتابه (الجبر والمقابلة) .

عاشراً : فى استخراج محيط الكرة الأرضية ، وقد وضع البيرونى نظرية بسيطة لاستخراج مقدار محيط الأرض فى كتابه (القانون المسعودى)

وفى تأسيس علم الكيمياء كان جابر بن حيان فى الطليعة .

كذلك خطا المسلمون خطوات واسعة فى كل المجالات :

١ – فى إنشاء الموسوعات العامة وتراجم الأعلام وفق منهج التحقيق العلمى ، وكان لابد أن يتصل هذا العمل فى العصر الحديث حيث لاتخلو الموسوعات الأجنبية من دس على حضارتنا وعقيدتنا وتاريخنا ، وبعض هذا الدس يحاول أصحابه إكساءه ثوب العلم والتحقيق .

٢ – فى ظل النفوذ الاستعمارى عمل المستشرقون وأتباعهم على نقل ثلاثة ملايين من الكتب المخطوطة فى مكتبات العالم ، منها نحو ثلث هذا العدد بمكتبات عاصمة الخلافة العثمانية إستانبول (هذا لايدخل فى دائرة السرقة) ولاكذلك ما دخل المكتبات العربية فى مصر والشام والعراق وتونس والمغرب .

يبلغ ما نشر من هذا التراث نسبة ثلاثة فى المائة وبقى الرصيد الأكبر فى جامعات أوربا وعندما تكشفت هذه السرقة الضخمة أخذ الأوربيون يهونون من قيمة التراث الإسلامى ، وتركزت الحملة على التراث الإسلامى فى مجالين :

الأول : تزييفه والتشكيك فيه واتهامه بالقصور والضعف والتخلف وعدم الحاجة إليه باسم تخطى الزمن له ، وإثارة جو من الكراهية والاحتقار له بين أهله فى نفس الوقت الذى يعلى فيه من شأن العلماء الغربيين وإبرازهم بصورة الريادة والبطولة .

كذلك فقد وجهوا تلاميذهم إلى إحياء الجوانب الزائفة والمضطربة منه ، فرفعوا قدر المأمون (الذى اختلق فتنة خلق القرآن) فاستكتبوا فيه أحمد فريد رفاعى ووجهوا أحمد أمين إلى ضحى الإسلام ، وقاد طه حسين أضخم معركة بكتابه (هامش السيرة) وعلى و « بنوه » .

وتصور هذا الاتجاه الدكتورة بنت الشاطئ فتقول :

اتخذوا من التراث فقرات ينفذون منها إلى عقولنا ونفوسنا رجاء أن يشوهوا فى عيوننا صورة أمسنا ، ويطفئوا نوراً لنا أضاء للبشرية طريقها وسط الظلمات ، وحتى نقتنع أخيراً بأن بقاءنا فى عالم اليوم رهن بتنكرنا لشرقيتنا وعروبتنا وتعلقنا بركاب (رسل الحضارة وسادة العصر) وإذ ذاك يهون علينا أن نراهم يستبيحون حمانا ويقومون أوصياء علينا فيأخذون بأيدينا نحو التمدن ، وقد اعترف بعض الكتاب الغربيين بالفضل الذى قام به المسلمون حيث يتحدثون عن الجماهر فى معرفة الجواهر للمستشرق سخاو وأكبر ظاهرة علمية فى الحضارة الإسلامية وحيث يسمى جورج سارتون القرن الحادى عشر بقرن البيرونى وتنازعه الروس والإيرانيون والأتراك والهنود وقال عنه جورج سارتون :

إنه عالم مسلم رفع العلم الإسلامى إلى الأوج فى عصر كانت أوربا فيه تذخر بالجهالة .

إن البيرونى هو فخر الرياضيات والفلك فى الحضارة الإسلامية فى شرقها كما أن الزهراوى هو فخر الجراحة فى غربها والمجريطى فخر العلوم والبطروجى فخر الرياضيات وقد اعترف كثير من علماء الغرب بعظمة الدور الذى قام به المسلمون من أجل التراث ، اعترف سارتون ، سجريد هونكه ، سميث ، لورانس ، هولمبارد بسبق المسلمين والعرب وفضلهم على الحضارة العالمية ، وقد تمثل الإسلام ماقدمته الحضارات الأقدم السابقة له ، وحفظ العلوم الإغريقية والهندية وكان له دوره فى تطوير العلم الطبيعى وانتصار الأرقام العربية على

الأرقام الرومانية ، واختراع الصفر والنظام المكانى للكتابة للأعداد الصحيحة .

وكان أعظم ما اهتدت إليه العبقرية الإسلامية ، نظام الترقيم العشرى الذى ابتدعه أحد روادها (محمد بن موسى الخوارزمى) بدلاً من حساب الجدل العقيم .

وقد غمطت أوربا حق المسلمين فى الدور الذى قاموا به تحدثنا عنه سجريد هونكه ، وبيان ما أسدوه من علم ومعرفة ، إلا الإشارة العابرة والقول بأن دور العرب لايتعدى دور ساعى البريد الذى نقل التراث اليونانى .

وقد فرط المسلمون فى تراثهم فسرق من مساجدهم .

★ ★ ★

موقفنا من التراث وموقفنا من الغرب

هى قضية واحدة تتمثل فى موقفنا من ماضينا ومن حاضرنا وعلى أى قاعدة يقوم حاضرنا ؟ هل نتخلى عن ماضينا جملة أم هل نقبل مفاهيم الغرب جملة ؟ وهل نقيم بينهما توفيقاً يسمى (النظرية التوفيقية) على النحو الذى دعا إليه بعض المصلحين ثم يتبين أن الإسلام (بوصفه منهجاً ربانياً وليس نظرية بشرية) يقف من أمر الأخذ والعطاء من الحضارات والثقافات موقفاً متميزاً يختلف عن موقف الأمم ذات المناهج البشرية من ماضيها ومن حاضر الأمم المتقدمة فى عصرها ، ولو كانت الحضارة الغربية بعلومها وقيمها ومفاهيمها حضارة عالمية ، وكانت أيديولوجياتها وضعت بحيث تصلح للبشرية كلها لكان هناك موقف آخر ، ولكنها ـ أى الحضارة الغربية ـ مناهج بشرية قامت على أساس مفهوم (التصور البشرى) المحدود بالعصر والبيئة وهو فى هذا الحيز قد عجز عن العطاء لأهله فكيف يمكن أن يكون صالحاً لكل البيئات والعصور من حيث حاجته إلى الإضافة والحذف ، حيث يختلف ذلك عن المنهج الربانى المصدر الإنسانى الوجهة القادر على العطاء الدائم فى كل العصور والبيئات .

كذلك فإن هناك فصلاً كاملاً بين تراث الإسلام وبين تراث الأمم قبل الإسلام ولايمكن الجمع بينهما على النحو الذى يدعو إليه بعض التغريبيين ، ذلك لأن الإسلام حين جاء أحدث فاصلاً عميقاً بين ماضى البشرية وحاضرها ، أطلق عليه المؤرخون اسم (الانقطاع الحضارى) ، فقد قامت الحضارات الكبرى السابقة للإسلام (اليونانية والرومانية والفرعونية والهندية والفارسية) على أساس الوثنية وعبادة الفرد ، والرق ، وجعلت الرقيق

عنصراً أساسياً فى بنائها ، بينما جاء الإسلام لهدم كل عبودية لغير الله الواحد القهار .

فالتوحيد الخالص الذى هو أساس الإسلام حال دون وحدة التراث الإسلامى على النحو الذى يدعو إليه الشعوبيون والماسون .

★ ★ ★

إن مايطلبه العلمانيون من انتقاص التراث أو حجبه أو تعطيله ، كل هذا سيحول بين المسلمين وبين الدخول فى عصر النهضة بعد أن مروا بعصر اليقظة ثم الصحوة .

إن دعاة التغريب ينطلقون فى صوت واحد بكلمة واحدة ، هى إزاحة التراث عن الطريق لتكون لهم الحرية فى تشكيل الحاضر تشكيلاً وفق مايريد الغرب ولو فعلنا لكان أمرنا أمر رجل فقد شهادة ميلاده ، فهو مقطوع عن أهله انقطاعاً يجعله أشبه بأن يكون لقيطاً .

ترى ذلك واضحاً فى كتابات زكى نجيب محمود ، وفؤاد زكريا ، وحسين أحمد أمين ، ولويس عوض ، وغيرهم فهم يدعوننا إلى أن ننحى هذا القديم ، هذا الحاضر ، هذا التاريخ ، هذا التراث ونوجه أبصارنا نحو الغرب الذى يمثل الآن الحضارة فى مرحلة انهيارها ، وهكذا تتشكل الثقافة الحديثة اليوم فى مختلف صورها ، إنهم يريدون اقتلاع ماضينا والانفصال عنه انتمائياً بعد أن ارتبط هذا الانتماء أربعة عشر قرناً ، وتشكل من خلال القرآن والسنة وتراث عريض خصب يحمل كل عوامل السمو ، والكرامة ، والسماحة ، والفضل ، والخير ، والوفاء .

فإذا كانوا يفعلون ذلك مخدوعين بما فعل الغرب فإن الأمر يختلف عن موقفنا وتراثنا وموقف الغرب من تراثه ، وإذا كانوا يفعلون ذلك خادعين ، فإن المسلم كَيِّسٌ فَطِنٌ لاينخدع ، وهو يعرف أبعاد الأمور .

★ ★ ★

إن الجرأة على هدم الماضى وتحقيره ورميه بكل نقيصة ، وإعلاء العصر فى دعوى عريضة بالرغم من كل مايصوره من عيوب وهزائم وتخلفات ، هذه الجرأة لابد أن تعود على الأيديولوجيات بعد أن فشلت وعجزت عن العطاء وأصبحت من القديم البالى .

لقد كانت الدعوة أساساً إلى هدم الماضى والقديم ترمى فى مفهومها الخفى غير المعلن لشىء واحد هو الدين الحق : رسالة السماء .

وقد جاءت هذه الحملة فى ظل مفاهيم مضطربة غامضة طرحت بها العقيدة فى الغرب ولما كانت هذه المفاهيم ليست هى مفاهيم السماء فقد اضطربت وعجزت عن العطاء ولم تتمكن من تقديم الصورة الصحيحة للدين الحق ، ونتيجة ماخالط نصوصها من زيف ، وإضافة ، وحذف ، كشفت عنه المناهج العلمية التجريبية وخاصة فى خلق الإنسان وعمر الكون ، مما أدى إلى قيام حملة من الازدراء والانتقاص للنصوص المقدسة التى لم تكن فى الحقيقة إلا كتابات بشر من الرهبان والأحبار : ﴿ **فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله** ﴾ [البقرة : ٧٩] .

إن هذه الحملة على التراث هى فى الحقيقة حملة متدثرة ترمى إلى توهين الإسلام وانتقاصه بالقول بأنه دين من الأديان ، والحديث عن إعلاء العلمية وإكبار المنهجية مما هو فى الحقيقة يهدف إلى الغض من شأن الوحى والغيب والألوهية والنبوة .

وفى خلال هذه الدعوة إلى هدم التراث الإسلامى القريب المتصل ، تقوم الدعوة إلى إحياء القديم من تراث الإغريق والفلسفة المادية القديمة وتراث فارس والهند والرومان والفراعنة ، وإحياء الفكر الباطنى (القرامطة والمزدكية والبابكية والشعوبية) ، وكذلك إحياء الاعتزال والتصوف الفلسفى ، وكتابات وحدة الوجود والحلول (ابن عربى والحلاج وابن سبعين) والأغانى ، وألف ليلة ، ورسائل إخوان الصفا ، وقد كانوا أول من هاجم التراث وفتح هذه الأبواب كلها وصولاً إلى إعطاء الكُتاب حرية نقد الكتب المقدسة وفى مقدمتها القرآن الكريم وتطبيق منهج الشك على التراث الجاهلى .

★ ★ ★

وقد كان أكبر أعمالهم دائرة المعارف التى قام عليها المستشرق (فنسنك) صدر الجزء الأول منها عام ١٩١٣ وفى مجال السنة أصدر كتابين أحدهما بالإنجليزية (مفتاح كنوز السنة) .

وكان أخطر أعمالهم فى مادة حديث ومادة سنة لنجد فيها مايحرج الإسلام ويفسد الحقيقة أنهم يقدمون الشبهات فى أساليب يعجز عنها الشيطان ، وذلك مارمى إليه فنسنك وهو الطعن على وجه أشد فى المصدر الثانى بعد كتاب الله تبارك وتعالى بل بوصفها البيان

لكتاب الله ، فإذا جرى الاعتماد على مراجعهم كان هذا شديد الخطر على الإسلام والأجيال القادمة .

★ ★ ★

ومايزال التراث الإسلامى عاملاً مهماً فى معركة الأصالة ، وذلك أن التراث الإسلامى يتميز بخصوصية ذاتية فى تكوينه تجعله مختلفاً عن التراثات الإنسانية بما فيها التراث الأوربى ، فهو تراث تتصل منابعه الأولى بوحى إلهى يكفل حفظ مضمون الحياة ، وكل فروضة دائرة فى فلك الإسلام الروحى والثقافى وبهذا المفهوم ليس قابلاً للحوادث التاريخية تحت أى ظرف كان .

كذلك فليس هناك من ينظر إلى الماضى على أنه مقدس أو أننا يجب أن نعيد التاريخ ، وليس هناك من يؤمن بنظرية الخلط بين الموروث والوافد ، فتلك نظرية عجزت عن التطبيق أن تقدم شيئاً .

كذلك فإن مقولة أن التراث الإسلامى يخلو من تنظيم العلاقة الاجتماعية بين الناس هى مقولة خاطئة حيث ينظم التراث علاقة الإنسان بالله تبارك وتعالى وليس فى الإسلام الفصل بين العلاقتين والفقه يعالج العبادة كما يعالج المعاملات ، وفى النظر إلى التراث يجب أن تكون القواعد الأساسية التى قررها القرآن والسنة قائمة فإن النظريات الكلامية والاعتزالية والتصوف الفلسفى يجب أن ينظر إليها فى ضوء مفهوم أهل السنة والجماعة ورفض كل ما يتصل منها بالفلسفة اليونانية أو الغنوص أو مذاهب الإشراق والباطنية .

ويتميز تراثنا الإسلامى المتصل خلال أربعة عشر قرناً عن تراث هذه المنطقة قبل الإسلام (الفرعونى والفارسى واليونانى والرومانى) ، هذا التميز يتمثل فى المعاصرة كتيار سياسى فى مواجهة القومية والماركسية والليبرالية .

ولقد تقرر أن الإسلام بوصفه ديناً ربانياً عالمياً جامعاً للروح والمادة لا يمكن أن يوضع فى مجال المقارنة بالأديان أو بالمذاهب العقائدية الأخرى كذلك فإن الإسلام لايقبل العلمانية التى تهدف إلى أن تفرغ المسلم من عقيدته وأن يترك بعض الأحكام الدينية أو يتجاوز عنها ، فضلاً عن أنها تعمل على تحويل الدين من نظام مهيمن إلى نظام وضعى .

تقول الدكتورة فوقية حسين :

إن العلوم الإسلامية نشأت وتبلورت فى رحاب مفاهيم القرآن ومفاهيم السنة ، والتراث الإسلامى له خواص معينة ترتبط بما تقدمه الشريعة الإسلامية من ضوابط للفكر تؤدى إلى تكوين ذهنى له قيمته المنهجية .

وماظهر من دس إسرائيليات إلا وقد فطن إليها العلماء وحصروه وردوا عليه دون تزمت أو تطرف .

وترى الدكتورة فوقية أن اعتبار أهل السنة من الفرق الكلامية خطأ ، وقد أثبت التاريخ أن الدول التى فرضت المذاهب المنحرفة عن مذهب أهل السنة والجماعة لم تستطع أن تعيش طويلاً .

وإن الأشعرية تيار عقدى لايزيد عن كونه تدويناً لما كان عليه الرسول ﷺ وسلف الأمة .

★ ★ ★

ولما كان التراث الغربى يتكون من ثلاث عناصر :

١ – تراث الوثنية والأساطير اليونانية .

٢ – تراث المسيحية المضطرب بين التثليث والحكومة الدينية .

٣ – الإلحاد والتنوير والعلمانية .

وقد كان لذلك أثره فى الفكر الإسلامى حيث جرى التركيز على التشكيك فى التراث الإسلامى على النحو الذى بدأه طه حسين حيث عرضت قضايا الفكر خلال منهج الفكر المادى – مع عزل العصر الحديث عن سياق العصور ، والعمل على فرض مفاهيم الغرب الخاصة التى تشكك فى القيم والتراث خدمة لأهداف الاستعمار والصهيونية والتشكيك فى معطيات الإسلام فى التجريب والعلوم مع التنكر للأدب العربى وقيمه وتوجيه التعليم ليكون غربياً .

وإعلاء شأن الشك الفلسفى بقيادة طه حسين فى الجامعة حيث اتجه (لامنس) إلى التشكيك فى التراث الإسلامى وكرس حياته من أجل النيل من قدر العرب واللغة والقرآن .

كما اتجه جولدزيهر إلى التشكيك فى الفقه والأحاديث النبوية .

★ ★ ★

تقول الدكتورة بنت الشاطئ : « لقد دعا السائرون غرباً إلى التخلص من عيش التراث الباهظ والخلاص مما أسموه (أكفان موتى وأضرحة قبور) يفسد ريحها مناخ العصر وجهروا بأن تعلقنا بتراثنا الروحى والتاريخى وقفة جامدة على مقابر السلف ، تحاول أن تزج بمجتمعنا داخل صناديق جديدة صغيرة لا تتسع لغير الدمى فى طفولة الجنس البشرى ، وقد وسعت هذه الدعوة مجراها فى وجودنا المعاصر فى محاولة القول بأن وجودنا العصرى يتطلب أن نستعير ثقافتنا وفكرنا وأدبنا من الغرب القوى الغالب » ،

★ ★ ★

والواقع أن التراث الإسلامى يملك حصانة تمنع تسلل الثقافات الغربية واليهودية إليه حسبما **يقول الدكتور عفيف دمشقية** : « ذلك أن التراث الإسلامى فيه من الحصانة ما يحول دون حصول العدو على ما يتمنى من محاولة الاختراق » ذلك أن الاختراق يمكن أن يتسرب من خلال الثقافات الأجنبية التى هى مبنية فى الدرجة الأولى على الثقافة اليهودية المسيحية .

وعلينا اليقظة من تسرب بعض الأفكار السامة التى تقدم بشكل الدسم ، وقد حملت الدعوات التى نشأت لاستبدال العربية الفصحى باللهجات المحلية أو السابقة على عروبة بعض الأقطار حملت بذور فنائها واندثرت .

فليست العربيـة منكم كمـا قال رسـول الله ﷺ من أب أو أم فـمن تكلم العربيــة فهـو عربى .

ويقرر أهل العلم أن أبرز مظاهر تراثنا الفكرى والحضارى الصالحة لنهضة عربية حديثة هى تلك العناصر الأساسية للمنهجية العلمية والتقنية التى ارتكز عليها الانبعاث فى أوربا من عصر النهضة ، وانطواء العصور الوسطى التى ظلت قرابة ألف عام الإطار الزمنى لازدهار الحضارة العربية فى مختلف مجالاتها الإنسانية ، حيث برهن العرب (كما يقول الدكتور عبد العزيز بن عبد الله) خلال ذلك على أصالة نادرة وروح خلاقة واستعداد للتكيف تكييفاً تجريبياً رياضياً لم يكن للإنسانية به عهد حيث عززوا الكشف فى مجالات الطب والكيمياء والصيدلة والعلوم الطبيعية والرياضية .

فى مطالع كلية الآداب وطه حسين والشعر الجاهلى كان هناك على رأس القمة :
الشك الديكارتى والجدل الهيجلى والمادية الماركسية .

كلها بضاعة مستوردة تصوب إلى « التراث الإسلامى » نظرة عداء وتتعامل معه من خلال أداة تدعو إلى قطيعة عن الهوية والأصالة .

ثم توالى الأمر إلى اتخاذ التراث وسيلة لمهاجمة الإسلام وقيمه وطرح العقائد والتخلص من كل القيم والمقومات .

وتلك محاولة واضحة الهدف رفضها العالم المسلم منذ وضع بذرتها المستشرقون أمثال كاتيانى ، ومرجليوث ، وامتدت فى طه حسين إلى سلامة موسى ، وفرج أنطون ، ولها الآن شيع كثيرة تتفق مع الهدف على « حرب الهوية الإسلامية والأصالة »

وقد استطاعت إسرائيل أن تتغلغل فى صفحات التراث الإسلامى العريق فى تفاسير القرآن والأحاديث النبوية وكثير من كتب التراث .

وهكذا تبين أن الأهواء السياسية والاستعمار فيما يتعلق بالتنافس على السلطة هى الأسباب الرئيسية لتشويه التراث .

إن كثيراً من الروايات الموضوعة والحكايات المدسوسة ظلت تتنقل من جيل إلى جيل ، ومن عصر إلى عصر حتى وصلت إلينا وأصبحت وكأنها حقيقة ثابتة مع ما فيها من مغالطات وأخطاء .. **وجاء دور فؤاد سيزكين** وكان طبيعياً أن يؤصل المسلمون موقعهم من المنهج التجريبى والعلوم الإسلامية التى صنعوها من خلال الآية الشريفة ﴿ **قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين** ﴾ [البقرة : ١١١] .

حيث تكاثرت المقولات الباطلة فى العقود الأخيرة التى تحاول أن تصور المسلمين فى صورة الذين حافظوا على التراث اليونانى ، وترجمته ، وتكفى هذه المهمة للمسلمين ، وكان لابد أن يصدر الإسلام عالماً أو علماء ليكشفوا الحقيقة فى هذا الأمر وكان **فؤاد سيزكين** ، فقام بإعداد مرصده فى ألمانيا وعكف مع زملائه على دراسة التراث الإسلامى والكشف عن جوهره .

يقول فى مطالع دراساته :

هزيمتنا الداخلية سببها نكران الأمة لذاتها وضعف ثقتها فى تاريخها ، فعلى المسلمين أن يعيدوا ثقتهم بأنفسهم وتاريخهم على الإنسانية .

إن النهضة العلمية التى شاهدتها أوربا منذ القرن الثالث عشر كانت استيقاظاً للعالم الغربى النصرانى على أثر التعرف على العلوم الإغريقية ! هذه مقولتهم ، ومع مرور الزمن جرى تعديل هذا الموقف .

كانت المرحلة الأولى أن أصبح يعترف بالعلماء العرب والمسلمين بدور المتوسطين بين الإغريق والعالم الأوربى النصرانى وذلك عن طريق ترجمة الكتب الإغريقية إلى العربية وانتقالها من ثم إلى اللاتينية ، ثم أخذت الدراسات الاستشراقية منذ أوائل القرن التاسع عشر تأتى تدريجياً بتصحيح آخر تمثل فى إظهار أن العرب والمسلمين لم يبقوا متوسطين فقط بل قاموا بدور هام كمطورين ومبتكرين فى تاريخ العلوم وقد استغرق هذا مدى طويلاً مما برر حقيقة التعصب الموجود لدى الآخرين ، ومقدرتهم فى إخفاء الحقائق أو تغييبها عن أنظار المتابعين .

وقد تمكن بعض مؤرخى العلوم من لفت أنظار المسلمين ولكن دراساتهم لم تتسع إلى حد يبين مساهمة العرب والمسلمين الإبداعية وتحقيق تصحيح جذرى موقف مؤرخى العلوم بهذا وانعكاس ذلك فى الكتب المدرسية .

ولتصحيح هذه المفاهيم لابد من تحقيق شروط ثلاثة :

١ – أن تبين دراسة التراث العربى دراسة واسعة لمدى العنصر الإبداعى فيه ونوعيته واتساعه .

٢ – أن يجرى تتبع هذه العناصر فى النهضة الأوربية العلمية التى تتبين قصة وصولها إلى أوربا وإثبات أن ما أخذه الأوربيون قد أدى دوره البناء والمبتكر هناك .

٣ – أن يتمكن ذلك مؤرخ العلوم فى الجمع والإحاطة ووضع العمل التركيبى الشامل .

★ ★ ★

إن ما تحقق حتى الآن لايستهان به البتة وإن كان لايزال فى مرحلة البداية فى المرحلة الوسطى ناهيك بالمرحلة النهائية .

كان الذين يعلمون المسيحيين فى المدارس يصورون لهم أن الأرض محمولة على قرن ثور بينما المراجع والكتب العربية الإسلامية القديمة تظهر بوضوح :

١ - أنهم كانوا قادرين على قياس خط الاستواء بانحراف ضئيل جداً عما هو معروف اليوم .

٢ - أنهم كانوا قادرين قبل ألف سنة على إثبات أن ميل الكرة الأرضية يقل باستمرار .

وكانوا أول من لاحظ أن أوج الشمس إلى نقطة بعدها الأقصى عن الأرض يتقدم بمعدل ١٢/٠٩ ثانية باختلاف بسيط عن التجربة المعروضة اليوم ١١/٤٦ ثانية ، فإذا عدنا إلى الجامعات التابعين لها فى مدارسنا نجد :

- المسلمون لم يأتوا بشىء جديد فى تاريخ العلوم .

- المسلمون كانوا نظريين تنقصهم التجربة .

والحقيقة أنهم أشاروا إلى ضرورة استخدام التجربة باستمرار فى البحث العلمى ، وأشاروا إلى ضرورة أن تسبق النظرية التجربة ، وأن يقام التوازن بينهما .

يرجع ذلك إلى الهزيمة الداخلية التى أصيبت بها الأمة نكراناً لذاتها وضعف ثقتها بتاريخها وإغفالاً لمآثرها .

وهم يعملون على تجهيل وإخفاء نتائج الدراسات الإيجابية حول دور العرب والمسلمين فى تاريخ العلوم ، والادعاء بأنها أمة مهزومة غير واثقة من تاريخها وأعاجم ينكرون ويخفون أى أثر لحضارتنا فى تاريخ العالم والعلوم خاصة .

ثم تحدث عن مهمته فقال : إن ما نقوم به إعادة صنع ماوصل إلينا من آلاتهم العلمية التى طوروها مما أخذوه من الأمم الأخرى ، ونضع بجانبها الآلات الأوربية التى تبين لنا أنها تقليد لها أو ناشئ عن تأثيرها .

قد أمكن صنع ما يقرب من ٢٥٠ آلة (ويرجى وصولها إل ٥٠٠ آلة) خلال سنتين إن شاء الله تم صنعها على ما ورد فى الكتيب من الأوصاف والرسوم وبعضها بناء على ما حفظ من الآلات موزعاً على متاحف العالم والتى تقتصر عموماً على الآلات الفلكية .

خطوط مهمة للتراث الإسلامى

١ – يجب أن يظل تراثنا الإسلامى هو نقطة انطلاقنا فى جميع العلوم والثقافة نحو الارتباط بالإسلام فى أصوله (القرآن والسنة) أو فى تطبيقاته خلال أربعة عشر قرناً على أيدى العلماء والمؤرخين .

٢ – إن اتخاذ الإسلام مصدراً للهوية هو اتجاه طبيعى ، وهو عودة إلى المنابع ، وهو التماس للطريق الذى سلكه المسلمون خلال أربعة عشر قرناً ، فهو ليس غريباً ولا جديداً ولا خاطئاً بل الخاطئ عكس ذلك .

٣ – إن المسلم المتعلم فى الغرب ليس له قدرة على استيعاب ما فى التراث وكثيراً ما ينهزم أمام استغلال التراث ، الأمر الذى يدفعه ويقوده إلى الإعراض واليأس .

٤ – إن هدم التراث تحت عنوان فكرة الاستجابة للعصر هو من مفهوم الفلسفة المادية التى رسمتها الماسونية ولا يقرها العلم أو التجريب إنكاراً لعالم الغيب تماماً .

٥ – إن علم مصطلح الحديث هو أرضية وقاعدة (المنهج التجريبى) الإسلامى .

★ ★ ★

كيف وجه الاستشراق التراث الإسلامى ، وكيف بدأ حركة إحيائه على أيدى المستشرقين لتحقيق الهدف الذى يرمى إليه ؟ .

● حركة إحياء الفكر المعتزلى والباطنى والجبرى والصوفى .

● إعادة كتابة التاريخ الإسلامى بأقلام مسمومة .

● تفسير التاريخ الإسلامى تفسيراً مادياً .

● حجب التراث الإسلامى الأصيل .

● فرض التفسيرات الاستشراقية للفكر الإسلامى على طلاب البعوث فى الجامعات الغربية .

● فرض مناهج تفسيرية دراسية علمية فى مدارس الإرساليات وانتقالها إلى وزارات التعليم ومناهج دنلوب وغيره .

● مهاجمة الشخصيات البارزة : الغزالى ، وابن تيمية ، وابن خلدون ، والمتنبى .

● إعادة إحياء القرامطة والزنج وغيرها من الدعوات الباطنية وإدخال عنصر الأساطير إلى السيرة النبوية .

الباب الرابع

التاريخ الإسلامي

مدخل

تعاون المستشرقون والمستغربون على تشويه التاريخ الإسلامي من خلال خطوط ثابتة :

١ – القول بأن فترة الالتزام بالإسلام لا تعدو أن تكون فترة العصر الراشدى .

٢ – التركيز على فترات الخلاف بين المسلمين وتوسيع دائرة الحديث عنها والإغضاء بالتالى على المساحات الكبيرة المتألقة .

٣ – إثارة العبقريات وتعميقها بين العرب والبربر والأتراك والفرس بهدف إضعاف روح الإخاء الإسلامى بين المسلمين .

٤ – محاولة إبراز كلمات العروبة والعرب والفكر العربى والحضارة العربية بغرض إثارة الشعوب الأخرى التى ساهمت فى صنع الحضارة الإسلامية وتأليبها ضد العرب .

٥ – إبراز دور الأقليات غير المسلمة وتحريكها ضد الأمة والزعم بأنها ظلمت وانتهكت حقوقها .

٦ – كراهية كل الدول والجماعات التى أنقذت المسلمين ووقفت ضد الزحف الصليبى مثل المماليك والأيوبيين والعثمانيين ويفوز العثمانيون بالنصيب الأوفر من حق هؤلاء .

٧ – محاولة إرجاع ما يوجد من صور النهضة فى الحياة الإسلامية إلى الاحتلال الأوربى مثل الحملة الفرنسية على مصر وبعثات غرب أوربا .

٨ – تمجيد كل الذين خانوا الإسلام وحاربوه مثل مصطفى كمال أتاتورك فى تركيا ، وأكبر شاه فى الهند ، والانتقاص من قدر المجاهدين المصلحين وتلفيق التهم ضدهم .

٩ – التشكيك فى التراث الحضارى الإسلامى بدعوى أن الحضارة الإسلامية منقولة عن الحضارة الهلينية ، وأن المسلمين بالتالى لم يكونوا إلا نقلة ومترجمين .

١٠ – تشويه منصب الخلافة الإسلامية ووصفه بأبشع الصفات ، وإعلان حرب دائمة على المنصب بعد زواله « عبد الحليم عويس » .

الحملة على منهج التاريخ الإسلامى
التفسير المادى للتاريخ : المعركة الأولى

أولاً : أخطر ما واجه التاريخ الإسلامى تلك الحملة الشديدة التى قام بها الماركسيون فى سبيل تدمير قيم التاريخ الإسلامى ومعطياته .

نظرة الإسلام إلى التاريخ بالمقارنة مع نظرة المادية واليهودية والمسيحية :

نظرة الإسلام إلى التاريخ تقوم على أساس مفهوم الإسلام للإنسان وعلاقته بالله تبارك وتعالى وبالكون ، فالإسلام يقدم فى هذا الشأن مفهوماً متميزاً يختلف عن نظرية وحدة الوجود (بمعنى أن الله تبارك وتعالى والعالم والإنسان شىء واحد) أو عن نظرية الحلول (حلول الله تبارك وتعالى فى الكون أو الإنسان) أو نظرية وحدة المصدر التى تقضى بوجود حقيقة واحدة وتلغى الوجود الشخصى الفردى للظواهر .

ففى الإسلام تقوم العلاقة بين الله تبارك وتعالى والكون (ومعه الإنسان) على أساس علاقة مخلوق بخالقه ، خالق ذى سيطرة كاملة شاملة فى كل ملكه ، ففى كل طاقة ، وفى كل عضو من الكيان الإنسانى شاهد ناطق بهذه العبودية (وهى عبودية لاتفقد الإنسان مقوماته الذاتية التى هى منحة من الله تبارك وتعالى) فالإنسان يصنع تاريخه بحكم الدور الإيجابى الذى يقوم به حيث يستعمل فى صنع ذلك طاقاته وملكاته التى هى من صنع الله تبارك وتعالى .

إن (قانون الضرورة) أو الحتمية التاريخية ليس فى حقيقته سوى تسجيل إنسانى أملاه الإلف والعادة ، وهو فى هذا الفهم يختلف اختلافاً واضحاً عن النظرة المادية للتاريخ ، إنها ترى التاريخ تطبيقاً لمبدأى الضرورة والتناقض والذى لامكانة فيها لأى عنصر إنسانى .



نظرة المسيحية :

يرى المسيحية أن التاريخ سلسلة ممتدة ومتتابعة ، فهى تعتبر أن الحقب التى سبقت ظهور السيد المسيح فترات تمهيدية وإعداد لهذا ، غير أنها ترى هذا الظهور تجسيد للوجود الإلهى عن طريق الحلول ، وبهـذا يدخل الإله فى التـاريخ ثم تأتى فكرة الفـداء الإلهى والصلـب لتبدأ بعد ذلك فترات تحقيق الوعـد الإلهى الخاص بالنجاة والخلاص الإلهى للبشر .

وبـذلك لايبـدو السيد المسـيح مجرد رسـول بل يبـدو الكلمة الإلهيـة المتجسـدة أو « اللاجوس » .

وهم يرون أن الأديان تلتقى عند فكرة وحدة التاريخ بل عند وحدة الحياة من حيث كونها مشروعاً إلهياً ونظاماً سماوياً ينبغى أن يكون مقودنا إلى غاية محدودة ، وهناك خيط عام ينظم الأديان السماوية كما ينظم السمط الحياة المتناثرة ، وكان الأنبياء والرسل قمماً بشرية طويت على أيديهم صحائف تاريخية ونشرت صحائف أخرى ينفردون بوجود الضمان الوثيق لتصحيح صحائفهم أولاً بأول وبالتعويض السماوى الكامل .

نظرة الماديين :

معنى التفسير المادى أو الطبيعى هو تفسير وقائع التاريخ على أنها أفعال وردود أفعال متبادلة بين أفراد الإنسان أو الأمم فى عالم أرضى مغلق هو كل مايوجد ولايوجد وراءه قوى أخرى (يستبعد أى مبدأ روحى أو إلهى) .

وأوضح مثل للتفسير المادى للتاريخ هو التصور الماركسى أو الشيوعى :

١ – إن الناس وحدهم هم الصناع الحقيقيون للتاريخ وخاصة الطبقة الكادحة العاملة.

٢ – إن الإنتاج المادى والوضع الاقتصادى يشكلان أساس الطور الاجتماعى .

٣ – صنع الشعب للتاريخ ليس بمحض الإرادة وقوة الاختيار ، وإنما هو رهن الظروف الموضوعية وفى مقدمتها حالة الإنتاج المحددة (الضرورة التاريخية) .

٤ – كلما تقدمت البشرية مادياً زاد دور الشعب فى صنع التاريخ .

٥ – الضرورة والحتمية التاريخية لايمكن أن تتخلف .

خلاصة ذلك : أن التاريخ سُجل لتفاعل الإنسان مع الطبيعة فى واقعها الملموس ليحقق فى النهاية السيطرة الجماعية أو الشعبية على صيغة الظروف المادية التى هى تقرر وتحدد ظهور المواهب ، هذه النظرة المقيدة بحدود المادة والمركزة على الجانب الاقتصادى تعجز تماماً عن إعطاء هدف واضح للتاريخ .

- الزعم بأن الاقتصاد وحده يفسر كل شىء فى حياة الإنسان زعم باطل .
- فصل الإسلام فصلاً حاسماً بين ما لله وما للإنسان .
- قدرة الله تبارك وتعالى على خرق القوانين والنواميس .
- ضرورة إقامة العلاقة بين منهج الدين ومنهج العلم .
- ضرورة إقامة العلاقة بين العلم والأخلاق ، فإن الفصل بينهما يؤدى إلى تدهور القيمة الإنسانية فى وجه المخترعات العلمية .
- تقوى الله فى استهلاك ثمار الأرض ومخزونها .

الماركسية والتاريخ الإسلامى :

وظف الماركسيون التاريخ الإسلامى لخدمة أيديولوجياتهم فخرجت كتب جامعية أعطت الصحابى الجليل أبا ذر الغفارى رضى الله عنه لقب زعيم المعارضة والداعية الأول إلى الاشتراكية ، وفسرت حركة الخوارج بتمرد مبكر على الأوضاع التقليدية ، أسقط هيبة الخلافة ، وأرخص دماء الصحابة فدية للتغيير ، وضريبة للتطور ، واعتسفت أيدلوجيا بالغ الغرابة والفحش لحركات المغامرين السفاحين الذين خرجوا على الدين فى الأمة .

وكانت حركة الزنوج ثورة على الوضع الطبقى الأرثوقراطى ، وبعدها كان ظهور القرامطة بالبحرين ثم اكتساحهم ديار العراق والشام والحجاز ، وثم انتزعوا الحجر الأسود وحملوه إلى عاصمة ملكهم .

★ ★ ★

ثم أرجعوا التفسير المادى للتاريخ لأسباب القتال بين المسلمين والمشركين إلى أسباب مادية إذ يرون أن العامل الاقتصادى هو السبب فى الدعوة الإسلامية ، إذ يرجعون معارضة المشركين للدعوة والخلافات التى جرت بين الصحابة وبينهم نتيجة للصراع الطبقى ،

وذهب بعضهم إلى تقسيم الصحابة إلى يمين ويسار ، وجعلوا عثمان وطلحة والزبير رضى الله عنهم من اليمين ، وعلياً وعماراً وأبا ذر رضى الله عنهم من اليسار ، وأبا بكر وعمر رضى الله عنهما من الوسط ، وجعلوا رسول الله ﷺ على رأس قائمة اليسار ، ولكنه هادن اليمين ويرون أن مقتل عثمان رضى الله عنه هو ثورة مسلمة من اليسار بعد أن سيطر اليمين على الحكم ، وهذا كله مجرد تزييف وضلال . .

ورسم أحدهم صورة لمجتمع الجزيرة العربية فجعلها تتمثل فى مصارف يوظف التجار فيها أموالهم وبساتين تعج بالنخيل ، وترعى فيها الخنازير وتستقطر الخمر ، وجعل كبار المرابين من أصحاب القوافل والمصارف والخمارات ، ولهم بيوت فاحشة مترفة لبيع المتعة للتجار الوافدين .

وهذه كلها صورة غريبة كل الغرابة منقولة من التراث اليونانى وليس لها صلة بجزيرة العرب خاصة فيما يتعلق بتربية الخنازير واستقطار الخمور وبيوت اللهو الفاضحة .

والواقع أن أهل الجاهلية عبدوا الأصنام كما يحكى القرآن عنهم لأنها تقربهم إلى الله زلفى ، ولم يتخذوها آلهة ليعيشوا من ورائها .

★ ★ ★

ومن يراجع كتابات ماركس وغيره يجدهم يؤمنون بأن المادة تخلق أفكاراً ، وأن العقل انعكاس من انعكاسات المادة وأن (الكون) مادة ولاشىء غير المادة ، وأن التاريخ الإنسانى لهذا كله ليس أكثر من تاريخ صراع على الطعام والشراب .

وقال الدكتور عدنان زرزور : إن الماركسية بفلسفتها المادية التى تصيب أهل الكون ، وتفسيرها الاقتصادى الذى يصيب تاريخ الإنسانية زى من أزياء الفكر الأوربى لا الإنسانى وإن تعميم أمرها على الإنسانية جميعاً واحد من أوهام الأوربيين عموماً فى وضع أنفسهم موضع العالم جغرافياً وتاريخياً وحضارياً .

★ ★ ★

ويحاول بعضهم تفسير انتصار الإسلام وأحداثه تفسيراً مادياً .

وقد حاولوا أن يجعلوا العوامل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية الدافع إلى هذه الحركة الدينية وهى الدافع إلى استجابة الجماهير لها .

وقد كان من تعدد صور فساد هذا التصور الغربى للتاريخ الغربى للتاريخ الإسلامى آثارها البعيدة فى كتابات العرب والمسلمين مما دفع :

(أولاً) طه حسين إلى القول ببشرية القرآن وقضية الشك الفلسفى وامتهان الصحابة كما دفع الآخرين إلى إنكار المعجزات فيما سوى القرآن أو إعلاء العبقرية على النبوة ، وهو الذى حمل عبد الرحمن الشرقاوى إلى تصور النبى ﷺ المؤيد بالوحى : داعية للحرية .

والحرية فى مفهوم الغرب كلمة سيئة السمعة لأنها مرتبطة بالماسونية والفكر الإباحى والوثنى ، وكلها محاولات ترمى إلى تفسير أحداث التاريخ الإسلامى لتلائم الفلسفة الأوربية المادية .

ويرى ماركس وأتباعه أن المادة تخلق أفكاراً ، وأن العقل انعكاس من انعكاسات المادة .

★ ★ ★

وهكذا امتدت محاولة التفسير المادى إلى تطويع مفاهيم القرآن والسنة لشعائر المذهب الماركسى فى تفسيره المادى للتاريخ ، وكان الرواد الأوائل فى ذلك بعض غلمان الرأسمالية ثم أتباع الماركسية من الأعراب ، وبعض من تحولوا عن الماركسية ولكن لازالت آثارها فى فكرهم .

وكان أخطر ذلك ما قال به طه حسين وأحمد عباس صالح وعبد الرحمن الشرقاوى .

وكان مفكرو الإسلام بعد أن حرروا السنة النبوية من دس الدساسين واختلافاتهم حتى استأصلوا شأفة الوضاعين .

أما فى مجال التاريخ فقد جمع المؤرخون فى مصنفاتهم كل ما سمعوه أو قرأوه فانضم إلى ذلك الكذابون والقصاص وأهل الأهواء والمذاهب السياسية .

وكان مما تأثر به العلمانيون والملاحدة فلسفة التاريخ الأوربى فطبقوها على أحداث التاريخ الإسلامى حيث أنها تختلف اختلافاً كبيراً عن الفكر الأوربى :

١ – لا كهنوت .　　　　٢ – لاصراع بين العلم والدين .

٣ – لاصراع بين الدين والدولة .　　٤ – لاصراعات قومية .

والواقع أن النبوءات التى قال بها ماركس باسم (الحتمية التاريخية) قد كذبها التاريخ نفسه فلم تظهر الماركسية فى البلاد الرأسمالية .

ومن الفوارق العميقة بين التاريخ الإسلامى والتاريخ الأدبى أن رسالة الإسلام إلى النبى لم تكن وليدة انفعال بين النبى والمجتمع ، وإنما هى وحى من الله تبارك وتعالى ، وأن المنهج الإسلامى للحياة الإنسانية لم يكن رد فعل لعوامل اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية بل كان وحياً من الله تبارك وتعالى يخضع له الغنى والفقير والحاكم والمحكوم .

وليس صحيحاً أن رسالة الإسلام تأثرت بالعوامل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية .

كما أن هذا الدين ليس محاولة إصلاحية من محمد ﷺ كبشر فلم يكن محمد مصلحاً ، ولكنه كان رسولاً من عند الله تبارك وتعالى .

كذلك فإن التصور الغربى للإسلام كان خاطئاً :

١ – خطأهم فى جعل مقاييس الحكم فى أوربا تنسحب على العالم كله ، كذلك فإن الشرق الإسلامى لم يعرف عصر الإقطاع أو عصر الرأسمالية المحتكرة .

٢ – لم تطبق الشيوعية التى قطع ماركس أنها أمر حتمى ونتيجة صراع الطبقات وانتصار طبقة العمال فى المجتمعات الصناعية .

٣ – جعل ماركس المجتمعات الأوربية حكماً عاماً على الإنسانية فمظالم الكنيسة جعلته يرفض الأديان .

٤ – خطأ ما رسمته الماركسية حيث تختفى الحكومات ويتحول العالم إلى أسرة عالمية حيث لم تستطع روسيا التمسك بنظريات ماركس وحتميته التاريخية .





الباب الخامس

المؤامرة على الإسلام : الاستشراق والتبشير

حاول الكثيرون أن يصموا تاريخنا الإسلامي بكثرة الفتن والحروب والمكائد والاضطرابات ، والحقيقة أن هذه الوصمات لا أصل لها صحيح ، وأن كل ما في الأمر أن هناك تفاعلات في المجتمع الإسلامي العربي كانت تأخذ طريقها ، ولابد أن تأخذ طريقها في ذلك المجتمع ، وأن هذه التفاعلات سنة من سنن الله تبارك وتعالى ، ﴿ **ولن تجد لسنة الله تبديلاً** ﴾ [الأحزاب : ٦٢] وهي تفاعلات تحدث في كل أمة بل إن الأمم الأخرى كانت تتلقاها بعنف أكثر مما تلقاها بها المسلمون والعرب .

وتاريخ الأمم ممزوج بالحروب والفتن والاضطرابات أكثر من تاريخ العرب والمسلمين ، فهذا تاريخ فرنسا وألمانيا منذ الثورة الفرنسية وإن تاريخهما مليء بالحروب :

(حروب الثورة الفرنسية ، حروب نابليون ، حروب ١٨٧٠ ، حرب ١٩١٤ ، حرب ١٩٣٩) كل ذلك في مدى لايتجاوز قرناً ونصف قرن والضحايا التي وقعت في هذه الحروب تتجاوز أضعافاً مضاعفة ضحايا الحروب في تاريخ الإسلام جميعه .

★ ★ ★

لقد كان عمل الاستشراق والتبشير في خدمة قوى الاستعمار الغربي في زحفه على العالم الإسلامي « تشويه التاريخ » حيث يحاولون تحقيق أهداف مسمومة .

أولاً : لايريدون عرض أدوار الجهاد والاستشهاد والبطولة التي قام بها العرب والمسلمون في فترة من الفترات ، وفي مقدمتها حرب فلسطين وحرب القنال ، ونسبة هذه البطولات إلى آخرين بل إعطاء القائمين بها صورة مشوهة .

ثانياً : الإصرار على تقسيم التاريخ الإسلامي إلى دول أيوبية وعباسية وعثمانية ، وهم لايعترفون بالوحدة الإسلامية أو امتداد الدولة الإسلامية ووحدتها عبر العصور المختلفة منذ نشأتها في يثرب (المدينة المنورة) .

فالدولة الإسلامية ممتدة منذ إعلانها إلى أن أسقطها الاستعمار حين أسقط الخلافة العثمانية على يد صنيعتهم مصطفى كمال أتاتورك عام ١٩٢٤ .

ثالثاً : الإشادة بالحركات الانفصالية عن جسد الدولة الإسلامية ووصفها بالثورية وإسباغ الدول الاستقلالية عليها ، فإن الخطر الدفين يتضح ، ذلك أنهم يريدون أن يتحكموا بذلك على قصر الدولة القومية وإجهاض مفهوم الخلافة ، والترويج للشعوبية والأممية والضرب على أوتار القوميات والأقليات ، وتشجيع تمزيق جسد الأمة الإسلامية ، وقطع الصلة بين حاضر المسلمين وماضيهم فى حين أن الدولة الإسلامية ممتدة امتداد التاريخ الإسلامى ، الذى تنتهى حدوده إلى رسول الله ﷺ ، وسنة الحياة أن تتعاقب الأجيال .

رابعاً : محاولتا المسيحية بالنسبة للحروب الصليبية وبيت المقدس ، واليهودية فى تزييف التاريخ الإسلامى بالنسبة لفلسطين وتشويهه بطمس دور العرب والمسلمين ، إبراز النقاط السود فيه ، وتوظيف المواقف الهدامة .

ولقد كشف القرآن الكريم الدور الذى ظل المؤرخون الغربيون من اليهود والنصارى يدعونه سواء فى مسألة وجودهم فى فلسطين أو خروجهم منها ، أو نفيهم وتدمير مملكة يهودا ، أو بالنسبة لعلاقتهم بأبى الأنبياء إبراهيم ووعد الله تبارك وتعالى له ، وكذلك دعوى (شعب الله المختار) أو أرض الميعاد ، ويتصل بموقف اليهود من الإسلام (المؤامرة الكبرى) التى رسمتها بروتوكولات صهيون كمخطط لنشر الدعوة الماسونية وإدخال الغافلين من المسلمين فيها لخدمة أهدافهم .

خامساً : تنكر المؤرخين اليهود لقضايا كبرى : كتنكر بروكلمان للإشارة إلى دور اليهود فى تأليب الأحزاب على المدينة ، ولا إلى نقض قريظة لعهدها مع الرسول ﷺ فى أشد ساعات الأزمة ولكنه يقول :

« ثم هاجم المسلمون بنى قريظة الذين كان سلوكهم غامضاً على كل حال » كما يتغاضى إسرائيل ولفنسون عن حادثة نعيم بن مسعود رضى الله عنه فى معركة الخندق كسبب فى انعدام الثقة بين المشركين واليهود ، ولعله كان يريد أن يوحى أن اليهود لايمكن أن يخدعوا وليس بروكلمان وإسرائيل ولفنسون فحسب ، ولكن هناك مكسيم رودنسون ، فيليب حتى ، برناردلويس .

سادساً : يقول الدكتور رجب البيومى :

لقد تجرأ الأب لامنس على تاريخ الصدر الأول من الإسلام فعمد إلى تشويهه استجابة

لحقد داخلى يملأ جوانب نفسه فهو يتعرض إلى تاريخ الجاهلية ليرفع من قدر (أمية) بن شمس مفضلاً إياه على (هاشم) بن عبد مناف ، لأمور يبالغ فيها دون دليل ، ثم يمضى بالكلام إلى ولده حرب بن أمية ليفضله على شيخ قريش عبد المطلب بن هاشم جد رسول الله ﷺ .

فإذا انتقل إلى تاريخ الإسلام أكثر من الإشادة بأبى سفيان بن حرب ليجعل منه شيئاً أمام رسول الله ﷺ .

ثم يتدلى إلى معاوية بن أبى سفيان ليذكر له كل مآثره فى مواجهة على بن أبى طالب الذى يخصه بصفات هو منها براء ، فإذا جاء إلى يزيد بن معاوية فإنه يضع فيه كتاباً كبيراً يملؤه باللوم على الحسين رضى الله عنه .

ومن أشنع ما أذاعه لامنس مازعمه بعد وجود مؤامرة يوم السقيفة قام بها أبو بكر وعمر وأبو عبيدة ضد على بن أبى طالب رضى الله عنهم إذ اتفق ثلاثتهم فى مرض الرسول ﷺ على أن يجمعوا المسلمين على مبايعة أبى بكر وإقصاء على ليكون عمر بن الخطاب ولى عهده ثم يليه فى الخلافة أبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنهم أجمعين .

وهكذا ورث الأب لامنس الحقد على نبى الإسلام فساقه مساق من يحتفل بكل من عارض نبيه الطاهر فى الجاهلية والإسلام .

ووجد من ضعيف الأخبار ماجرأه على صياغة بناء متهافت .



نعم لقد امتدت المؤامرة على يد بعض المستشرقين إلى اعتبار تغيير أحداث التاريخ الإسلامى لتتلاءم مع الفلسفة الأوربية ثم امتدت إلى تطويع مفاهيم القرآن والسنة لتساير المذهب الماركسى فى تفسيره المادى للتاريخ .

سابعاً : لماذا اتسم التاريخ السياسى للدولة الإسلامية بكثرة الدماء والصراعات ؟ كان من أخطر اتهامات الأمة الإسلامية هذه الدعوى الباطلة .

يقول الدكتور أحمد شلبى :

نريد أن نؤكد أن مايقال عن الدماء والصراعات لم يكن صحيحاً تماماً ، كان يوجد

دماء وصراعات لم تكن مظلمة تماماً ، فالخلط الذى يقع فيه الكثير من الباحثين سواء كانوا مسلمين أو مستشرقين أنهم لايقارنون العهود الماضية لعصرنا الحالى ، وهذا خطأ لأن معايير كل القوى تختلف تماماً ولكنه لو قارنا بين ما حدث فى الدولة الإسلامية من ١٢٠٠ سنة وماحدث فى نفس الوقت مع أوربا والهند والصين ، نجد أن المسلمين كانوا أكثر تحضراً ومراعاة للحرمات أو أقل توحشاً وسفكاً للدماء .

الإسهام بالدكتاتورية وخاصة المماليك تقول رغم نشوزهم فإن العلماء كانوا يعتمدون عليهم ويأمرونهم بالشورى والعدل .

وحتى هذا فيه تجاوز لأننا لو قارنا المماليك بالملك هنرى فى انجلترا أو لويس فى فرنسا وغيرهم نجد هؤلاء مفرطين فى سفك الدماء ، أى إن الأمر كان صفة العصر وهو الحكم الوراثى وليس صفة العرب فقط .

وهناك خطأ آخر هو أن الذين كتبوا التاريخ الإسلامى ركزوا على العرب فقط على أن الإسلام امتد حتى الصين والهند وفى أفريقيا حتى موريتانيا .

وخطأ آخر فى كتابة التاريخ تجدونه فى عصر الرسول ﷺ حتى سقوط بغداد ٦٥٦هـ على يد المغول فى القرن الثالث عشر الميلادى بالنسبة لسفك الدماء لم تكن مذابح كما وصفها بعض المؤرخين .

إن كل الذين قتلوا من المسلمين ١١٢ والكفار ١٢٠ فى كل الغزوات ، أما بالنسبة للدولة العباسية فإن الفرس ساعدوهم على إسقاط الأمويين بعد السيطرة على العباسيين ولكن هؤلاء كانوا الأقوى من الفرس وأحب أن أقول إن مؤامرة فارسية هى التى دبرت مقتل كل من عمر وعلى وعثمان رضى الله عنهم .



التفسير الإسلامى للتاريخ

أجمع الباحثون على أن التفسير الإسلامى للتاريخ تفسير أخلاقى ، وأن التاريخ الإسلامى لا يبدأ من محمد ﷺ ، ولكن يبدأ من آدم عليه السلام ، وأن تاريخ البشرية الحقيقى هو تاريخ الأنبياء إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وقد أشار القرآن الكريم إلى أهمية دراسة التاريخ وعبرته فى قوله تعالى : ﴿ **قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين** ﴾ [آل عمران : ١٣٧] .

فالتفسير الإسلامى للتاريخ هو التفسير الذى يجعل الإنسان ومن ورائه قدر الله تبارك وتعالى ، هو المؤثر الأول فى خط سير التاريخ ، وفى الأطوار التى انتقلت فيها الحياة ، والذى يحيل كل تفسير وكل تطور إنما يبدأ أولاً من ضمير الإنسان وعقله ثم يتخذ طريقه للتحقيق فى عالم الواقع باعتبار أن الإنسان هو الكائن المستخلف فى هذه الأرض الذى ينفذ قدر الله فى الأرض من خلال نشاطه الشعورى والحركى .

ومن هنا نرى أن التصور الذى قرره الله تبارك وتعالى والمنهج الذى وضعه الله خالق الحياة لينمو ويتجدد فى إطاره الثابت مشدود إلى محوره الثابت فلا تعارض بين ثبات مقومات هذا التصور الذى يقابل ثبات الفطرة الإنسانية ، وثبات السنن الحيوية ، وبين تجدد أوضاع الحياة فى إطاره .



ويعود الباحثون فى تحقيق التاريخ إلى رسالة القاضى عياض فى علم المصطلح .

يقول الدكتور أسد رستم : على الرغم من مرور ستة قرون عليها فإنه ليس بإمكان رجال التاريخ فى أوربا وأمريكا أن يكتبوا أحسن منها فى بعض نواحيها ، وأن ما جاء فيها من عناصر الدقة فى التفكير والاستنتاج تحت عنوان تحرى الرواية والمجىء باللفظ يضاهى أدق ماورد فى الموضوع نفسه فى أهم كتب الإفرنج فى ألمانيا وفرنسا وأمريكا وانجلترا .

وأشار الدكتور أسد رستم إلى أن العلماء الصادقين أخذوا طرق نقد الحديث النبوى وسلكوا بها فى سبيل تحقيق التاريخ حيث طالب علماء الحديث بتعيين رواة الحديث والتدقيق فى معرفة قيمة المحدث ووضع القواعد لتجريحه وتعديله .

قال الإمام مالك بن أنس : لايؤخذ العلم من أربعة ويؤخذ من سوى ذلك ، لايؤخذ من سفيه ، ولامن صاحب هوى يدعو الناس إلى هواه ، ولامن كذاب يكذب فى أحاديث الناس وإن كان لايتهم فى أحاديث الرسول ﷺ ولا من شيخ له فضل صلاح وعبادة إذا كان لايعرف مايحدث به .

كذلك قسم العلماء الحديث بحسب قوته والأخذ به إلى أقسام ، وأطلقوا على كل قسم اسماً ، فقسموه إلى متواتر وآحاد ، والآحاد قسموها بحسب قوتها ، وكان للحديث أثر كبير فى أسلوب العرب وتفكيرهم ، فهو من آكد العوامل فى نشر الثقافة فى العالم الإسلامى .

وقد بدأت كتب التاريخ على خط الحديث ، وقد ثبت أن المسلك الذى اتبعه العرب فى تلقى الحديث وتبيين صحيحه من موضوعه قد أثر إلى حد كبير فى أساليب العلماء إذ أبان لهم اتباع الطرق التى تؤدى إلى الحقيقة وإلى الصحيح من الوقائع والأخبار والأحوال وأصبحت القواعد التى ساروا عليها فى تحرى الحقيقة هى المعول عليها لدى المؤرخين المعاصرين ، ومحل تقديرهم وإعجابهم .

وكذلك كان لعلماء الحديث فضل على التاريخ وأثر على الأسلوب الذى يسير عليه المؤرخون المعاصرون .

وكان الإمام الشافعى هو أول من وضع مصنفاً فى أصول الفقه على أسس علمية ، وأول من وجه الدراسات الفقهية وجهة علمية فهو أيضاً أول من وضع مصنف فى العلوم الدينية على منهج علمى بتصنيفه فى أصول الفقه .



قدّم القرآن الكريم للمسلمين مفهوم فلسفة التاريخ وأهميته وعبرته حين يتحدث عن الأمم الغابرة : ﴿ **لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب** ﴾ [يوسف : ١١١] .

كما يتحدث عن تجربة التاريخ : ﴿ **قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين** ﴾ [آل عمران : ١٣٧]

﴿ **أولم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون فى مساكنهم إن فى ذلك لآيات أفلا يسمعون** ﴾ [السجدة : ٢٦]

﴿ وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلاً وكنا نحن الوارثين ﴾ [القصص : ٥٨]

﴿ أو لم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ [الروم : ٩]

وقد عرض القرآن الكريم لأمر الأمم والحضارات وسقوطها فى أكثر من موضع فى سورة « يوسف » و « آل عمران » و « السجدة » و « ق » و « القصص » و « الروم » .

١ – مطالبة القرآن المسلمين بالسير فى الأرض والنظر إلى مصير الأمم السابقة وأخذ العبرة .

٢ – الاعتبار بأن هلاك هذه الأمم كان نتيجة خروجها عن منهج الله تعالى وإسرافها فى الترف والفساد .

٣ – إهلاك هذه الأمم التى كانت أشد قوة من العرب وقد أثاروا الأرض وعمروها وجاءتهم البينات فأعرضوا عنها .

٤ – على الإنسان أن يلتمس العبرة ويسدد حاضره ويحرره من العوامل التى كانت مصدراً لسقوط الأمم وأهمها الظلم والفساد والانحراف .

٥ – دعوة الإسلام الناس إلى التماس وسائل التغيير وأنه لايمكن تغيير الأمة إلا بتغيير النفوس : **﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾** [الرعد : ١١]

٦ – التحرر من الغفلة والاستعداد واليقظة والمرابطة والحفاظ على الأسلحة بعد إعدادها ، فإذا نظرنا إلى تراث اليهودية والصهيونية وجدناها تصوراً مختلفاً .

فهم يوجهون دعوتهم إلى بعث الحس التاريخى والعقدى وتأصيلهما فى نفوس الناشئة اليهود منذ الصغر .

يقول البروتوكول ١٤ ، ١٦ من بروتوكولات حكماء صهيون : سنوجه عناية خاصة إلى الأخطاء التاريخية للحكومات الأممية التى عذبت الإنسان خلال قرون كثيرة جداً ، وسنطمس من ذاكرة الإنسان العصور الماضية التى كانت شؤماً علينا ولا نترك إلا الحقائق

التى ستظهر أخطاء الحكومات الأممية فى ألوان قاتمة .

وبينما نجد توراة للعبرانيين ، وتوراة للسامريين ، وكل منهما مختلف عن الآخر نجد القرآن الكريم الذى هو بشهادة علماء الغرب أنفسهم لم يصب بأى شبهة حول نصوصه التى لم يحدث لها أى تغيير .

وقد شهد لذلك من علماء الغرب وليم موير ونولدكه الذى يقول : (ترى النص القرآنى على أحسن صورة من الكمال المطابق) .

وقد مرت محاولة اليهود على تزييف التاريخ الإسلامى حتى لا يتحقق للمسلمين الانتفاع به ، فهم يدعون إلى اعتبار القرامطة والزنج دعوات فى سبيل العدل والحرية يقودهم فى ذلك طه حسين ومحاضرة الدكتور طه حسين فى المدارس الإسرائيلية بالإسكندرية عام ١٩٤٤ .

يقول : الصراع على أشده فى فلسطين فقد أكد أن العرب قبل الإسلام قد تأثروا ببناء يهود المدينة وقضائهم ، وأنهم أخذوا عنهم فلسفتهم فى أن الحياة وسيلة لاغاية ، وأن اليهود المستقرين فى بلاد النصارى عاونوا أبناء عمومتهم العرب على الفتح بعد الإسلام ، وأنهم كانوا عنصراً أساسياً فى فتح بلاد الأندلس ومساعدة طارق بن زياد ضد القوط ، وأن العرب فى سواحل غزوهم الشمالى إفريقيا وأوربا وحتى فلسطين كانوا يقدمون جيوشهم ، وكان اليهود يعاونون معهم فى إدارة البلاد سياسياً واقتصادياً وفى تسهيل السبل لتسيير هذه الجيوش الغازية ولولا هذا التعاون الوثيق لما كانت الإمبراطورية العربية الضخمة ، وإليهم يرجع الفضل فى نقل ثقافة العرب إلى أوربا ، ومما جعل الأدب العربى أدباً عالمياً ، وأن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه أجحف بهم يوم أجلاهم من الجزيرة العربية بحجة أنهم لايمكن أن يكون بالجزيرة إلا دين واحد (مجلة الشمس العدد ٤٧٣ ، ٧ يناير ١٩٤٤) .

ومما قاله محرر مجلة الشمس : (إن المحاضرة قوطعت فى كثير من مواضعها بالتصفيق حضرها الحاخام إيرانو والحاخام متورا ولتون) .

وقد خصصت المدارس جائزة باسم الدكتور طه حسين تعطى سنوياً للفائز فى اللغة العربية فى شهادة إتمام الدراسة الابتدائية .

ويتحدث اليهود عن اتجاههم إلى توظيف الأحقاد التاريخية فى لاشعور الغربيين على

الإسلام والمسلمين واستخدامهم من خلاله للمساهمة فى خدمة أغراض اليهودية وتحقيق مخططاتها وأنهم يدركون أن خيال الحروب الصليبية لا يزال يرفرف فوق الغرب حتى يومنا هذا ، ويقول ليوبولد فابس فى كتابه (الإسلام على مفترق الطرق) : « أما فيما يتعلق بالإسلام فإن الاحتقار التقليدى أخذ يتسلل فى شكل تحزب غير معقول إلى بحوثهم العلمية حيث أصبح احتكار الإسلام جزءاً أساسيًا من التفكير الأوربى ، وقد فقد المسلمون كثيراً من مميزات الشخصية الإسلامية بفعل عوامل الاحتكاك الحضارى التى واجهته ، وهو فى حالة لا تؤهله للاستجابة الملائمة لهذا التحدى وللرد عليه ردًا مناسباً منذ وقف مبهوراً ، وأخذ يخبط خبط عشواء » . (إسماعيل كيلانى) .

حيث يقول : « عمد اليهود فى مقدمتهم وأهدافهم لتحقيق غايتهم إلى تزييف التاريخ الإسلامى وتشويهه بطمس محاسنه وإبراز النقاط السود فيه وتوظيف المواقف الهدامة وبعث الحياة وإثارة الجدل حول قضايا الشعوبية والباطنية من جديد » .

★ ★ ★

فى التفسير الإسلامى للتاريخ

لقد كشف كثير من كُتاب الغرب عن أصالة الإسلام وتاريخه :

فنرى جوستاف لوبون يقول : إن جميع الوسائل التى اتخذت لمحو الحضارة الإسلامية من سجل التاريخ لم تحقق شيئاً وهذا كلام خطير يتطلب منا اليقظة ومن أجل ذلك زور الكتاب الغربيون التاريخ الإسلامى حتى ظهر فى عيون من أخذ عنهم كما يريدون .

ولقد كان من أكبر مطامح النفوذ الأجنبى فى غزواته المتوالية وحملاته المتصلة أن يحقق هدفاً بالغ الخطورة وهو احتواء الإسلام وتفريغ العقل المسلم من قيمه ومفاهيمه وتزييف عقيدته وذلك كحل أساسى .

وبالرغم من كل ماوجه إلى الإسلام وتاريخه خلال أربعة عشر قرناً فإن هذه الأمة لم تمت ولن تموت ومامن أزمة ألمت بها إلا تمخضت وانتفضت وتجاوزت التحدى وأعادت تشكيل حياتها من جديد واليوم يتجمع حولها التحديات حيث يتجمع اليوم القوى الغربية والمسيحية والصهيونية والماركسية جميعاً لضرب الإسلام ضربة واحدة ولكنها عجزت ومازالت

عاجزة وسوف لا تستطيع ﴿ **لن يضروكم إلا أذى** ﴾ [آل عمران : ١١١] . ولو تنبه المسلمون لما حذرهم منه القرآن الكريم من التوقى من خطر الأعداء فى آيات كثيرة وأحاديث نبوية عديدة لما أصابهم شئ ﴿ **ودّ الذين كفروا لَوْ تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة** ﴾ [النساء : ١٠٢] .

★ ★ ★

الكلمة التى جاءت من الصحراء

يرسم بعض كُتاب الغرب المنصفين صورة باهرة حيث يقول (خوان جبيسولو) الكلمة التى جاءت من الصحراء وانتشرت مثل الحريق .

لم يستطع الغرب احتواء عالم الإسلام بالرغم من كل محاولاته بين القرن الثامن والقرن السابع عشر برز تفوق الإسلام وتأثيره الواسع : إن الادعاء بتعصب الإسلام يستخدم كوصفه لتفسير كل ما يمت للعرب بصلة ونسى الغربيون أن تاريخهم وماضيهم وحاضرهم كل ذلك لا يؤهلهم لإعطاء الدروس لغيرهم ، إن عملية غسل المخ الرهيبة فيما يتعلق بالإسلام والعرب ليست بالشىء الجديد فإننا نجد ذلك الموضوع على مدار عدة قرون فى أعمال الرحالة والمؤرخين الذين تناولوا موضوعات استشراقية ، من خلال مدرسة طليطلة للترجمة انتشر العلم والفلسفة العربية والإغريقية المنقولة بواسطة العربية إلى أوربا المنفصلة عن حدودها الإغريقية اللاتينية .

إن حديثهم عن الغزو والاجتياح وقسوة السلطان العثمانى تغطّى بغلالة من التحفظ إزاء أعمال محاكم التفتيش التى تمت باسم الإيمان والرعب الأبيض والأحمر لتوريثه : إنه التعصب المسيحى .

وصار الادعاء بتعصب الإسلام يستخدم بالإجماع كوصفة تفسر كل ما يمت بصلة إلى العرب من بعيد أو قريب ، إن كلمة عربى وكلمة متعصب تكونان لفظاً واحداً ويبدو أن الغربيين قد نسوا أن تاريخهم وماضيهم وحاضرهم لا يؤهلهم لإعطاء دروس لأحد .

إن علينا أن نذكر دائماً هؤلاء الذين ينددون بصفة مستمرة بالإسلام ، إن دائرته لم تعرف أبداً محاكم التفتيش الدامية كالتى عرفناها والإبادة لشعوب بأكملها كما حدث للهنوذ فى أمريكا أو كما فعل قيصر .

الإسلام الكلمة التى جاءت من الصحراء : والتى انتشرت فى أقل من قرن من الزمان منذ الحربين فى مجتمعات ذات أصول وثقافات متنوعة تنفى قبل كل شىء أى مفارقة مبنية على أساس الجنس أو اللغة فالإسلام لم يفرض وجود كنيسة ولا أية سلطة كهنوتية بل يقبل داخل نطاقه ، وفى حدود معينة بقية الأديان التى جاء ذكرها فى الكتاب ولا يقبل هيكلاً كهنوتياً كوسيط بين المؤمن والله .

إن بساطة عقيدة الإيمان بالله الواحد الذى هبطت كلمته على محمد خاتم النبوة واتساعها لكل الطبقات والأجناس لكافة البشر الراكعين فى اتجاه القبلَة ، والذين ترتفع أصواتهم بالتسبيح من خلال الكلمات المقدسة وتطبيق أركان الدين الذى تميز ، وتربط بين جموع المؤمنين كل هذا يفسر التماسك الداخلى للإسلام وانتشاره .

إن جهاد المؤمن المختلف تماماً عن الحرب المقدسة التى يتشرف بها أعداء الإسلام من المخادعين هو الحرب الداخلية التى تشنها حقد وأنانية وهو السبيل إلى تغيير العالم ليس من خلال السيف والدعاية بل من صميم القلب والضمير .

أتى الإسلام برسالة مساواة ترفض المزايا الوراثية والتكريم وإن المكانة الحقيقية تقوم على أساس الإيمان والتقوى .

إن معظم الأحاديث المنسوبة إلى محمد تتعرض لمسائل اجتماعية مما يجعلنا نتساءل عن إمكان **قيام دولة إسلامية** على أساس القرآن والسنة » ا . هـ .

(وانتهت كلمة خوان جويتسلولو) .



تاريخنا الإسلامى فى مواجهة الغزو الفكرى

أولت الكنيسة الغربية ودوائر الاستعمار الاهتمام بتزييف حقائق التاريخ الإسلامى وتجنيد عدد كبير من المستشرقين ، وذلك لإثارة الشبهات وقد تتلمذ على أيديهم بعض النصارى العرب .

من أمثال : **سلامة موسى وجرجى زيدان وفيليب حتى ولويس عوض** ، وقد عمدوا أساساً إلى إثارة العنصريات وتعميقها بين العرب والفرس والبربر بهدف إضعاف روح الإخاء الإسلامى .

أولاً : حاولوا عرضه على أنه معارك وحروب ودماء ومؤامرات وأبعدوا عنه روح الإسلام .

ثانياً : التشكيك فى الدعوة والوحى والقرآن والطعن فى خلفاء المسلمين وقادتهم .

ثالثاً : إخضاع تاريخ الإسلام للمناهج التى يدرسون فى ضوئها تاريخ الغرب من غير أن ينظروا إلى الفوارق والظروف والمقومات ففسروا تاريخنا تفسيراً مادياً .

رابعاً : يجب أن نشير إلى سنة الله تبارك وتعالى فى زوال الدول وانقراضها وأن لذلك أسبابه وقَلَّ من كُتاب التاريخ المعاصرين من يشير إلى هذه الحقائق .

خامساً : دراسة التاريخ فى الغرب تخضع لسيطرة علوم الاقتصاد أو الاجتماع أو النفس أو تنطلق من النظرية المادية التى سيطرت على الأدب والفكر والعلوم الإنسانية ، ولذلك فهى لا تستطيع أن تقدم مفهوماً صحيحاً للتاريخ البشرى .

أما بالنسبة للتاريخ الإسلامى فهى تواجه محاذير ضخمة لأن التفسير المادى أو النفسى ينتقض المفهوم الإسلامى انتقاضاً شديداً ؛ ذلك لأن الإسلام قد قام بناؤه على مفهوم جامع للروح والمادة معاً ، ولذلك فهى نتائج كثيرة تبدو تحت المجهر ولا قيمة لها بينما هى بالنسبة للتفسير الإسلامى حقائق أساسية ذات أثر كبير فى بناء الأحداث ، وفى التغيير والتأثير الواضح على الوقائع .

سادساً : إن الغرب حين درس تاريخنا كان ذلك من أجل التوطئة لاستعمارنا عسكرياً وسياسياً واقتصادياً والمدخل للغزو التبشيرى لفكرنا الإسلامى .

سابعاً : محاولة ربط المسلم بمعتقدات غير إسلامية وإذاعة أن الغرب لم يتقدم إلا بعد

أن فصل بين الدين والدولة . حيث لا يخشى الغرب شيئاً خشيته إقامة حكم الله فى الأرض حيث إن الدولة فى نظر الإسلام جزء من الإسلام نفسه إذ لا يقوم الدين إلا بها .

ثامناً : اعتماد كتب الأدب فى مسائل التاريخ من أكبر الأخطاء التى اعتمد عليها كُتَّاب الغرب ومستشرقوه .

ومن ذلك :

(١) أن يقبل الباحث الغربى رواية من عدة روايات فيعتمد قبول رواية سيئة السمعة ويدع الأخرى : (مسأله العباسة وجعفر البرمكى) واتباع هوى النفس مع الحقد الغائر فى الصدور ، والرغبة فى تلوين الأحداث بلون منفر .

(٢) اتهام بعض الخلفاء بالمجون وغيره وترجع أصلاً إلى مصادر ليست مقبولة للبحث العلمى مثل كتابات الرافضة وفى مقدمتهم مؤلف كتاب الأغانى أو الباطنية أو الحاقدين وابن المقفع وألف ليلة .

(٣) جعل الناحية الاقتصادية هى الدافع الأساسى للفتوحات الإسلامية .

(٤) عدم الأمانة فى النقل .

تاسعاً : محاولة الصهيونية الفصل بين الإسلام وحنيفية سيدنا إبراهيم عليه السلام لتقطع المسلمين عن ماضيهم وتبرر مقولاتهم التى سفهها القرآن الكريم حيث زعموا أنهم شعب الله المختار وذلك للحيلولة دون قيام وحدة فكر بين المسلمين .

عاشراً : تجديد الكتابة عن الحركات الباطنية كالقرامطة والإسماعيلية ووصفها بأنها حركات تحرير ورفع مظالم (مؤتمر يلتيمور ١٩٤٢) .

★ ★ ★

وقد كانت أخطر تلك المحاولات المسمومة تدمير شخصية هارون الرشيد بواسطة عملائهم من أمثال جرجى زيدان وفيليب حتى وغيرهم لإعطاء المسلمين صورة مشوهة للرجل الذى كان يحج عاماً ويغزو عاماً .

وقد تصدى علماء الإسلام لمحاولات تزييف حقائق التاريخ الإسلامى وأهم هؤلاء :

١ - أبو بكر الباقلانى فى كتابه (التمهيد) .

٢ - الإمام أبو بكر العربى فى كتابه (العواصم من القواصم) .

٣ - الإمام تقى الدين بن تيمية فى كتابه (منهاج السنة) .

فقد عمل هؤلاء على تنبيه المسلمين عما فى كتب البدع من النصوص المزورة المدسوسة التى أقحمت عن قصد سيئ ، وقال ابن حجر عن الإمام أبى زرعة : إذا رأيت الرجل ينتقد أحداً من الصحابة فاعلم أنه زنديق (وقد كتب المعاصرون من الكُتاب أمثال : محمد أحمد برانق عن السيدة عائشة رضى الله عنها خمسة كتب) .

★ ★ ★

وقد جمع أحد الباحثين خطط المؤامرة التى أعدها النفوذ الغربى على النحو التالى :

أولاً : بربرية غزو الفرنجة الصليبيين للقدس وفى كل مكان ، والإبادة الجماعية للرقيق الأسود وتسليط الخمر والربا على جماعات المسلمين .

ثانياً : رفض الغرب مزاحمة الإسلام ، وهم الذين قالوا :

إن على المسلمين أن ينتهوا من أوربا بالهجرة أو التنصير من ناحية الأندلس ومن ناحية البلقان .

ثالثاً : الاستعلاء بالعنصر الأبيض .

رابعاً : إنكار فضل المسلمين على الحضارة العالمية عن طريق مؤامرة الصمت وسرقة التراث من بلاد المسلمين وسرقة نظريات الفكر الإسلامى وعدم الإشارة إليها .

خامساً : تزييف تراث المسلمين وعرضه عن طريق الحقد والتعصب .

سادساً : بث السموم والزيوف والأخطاء التى احتواها الفكر الغربى لبلبلة تفكير المسلمين وإحياء تراثهم المختلف وإحياء تراث الغنوصى والباطنى لتحريف مفهوم الإسلام عندهم .

سابعاً : محاربة الإسلام من الداخل بإدخال نصارى ويهود فى الإسلام .

ثامناً : تأسيس معاهد الإرساليات التى تقدم للطلاب المسلمين كتباً فيها هجوم على الإسلام والنبى ﷺ .

وقد رسم خصوم الإسلام مخططاً لحرب الإسلام عمل فيه المستشرقون والمبشرون والملاحدة على هذا النحو :

● ضرورة عزل الإسلام عن حركة المجتمع المسلم الفاعلة والحيلولة دون التمسك بالقرآن الكريم والسنة فى توجيه المسلم وعزل القرآن عن المجتمعات الإسلامية حتى لايكون لها تأثير فعال فيها .

● تمجيد الفرق الضالة من أصحاب النزعات المادية .

● وصف القرامطة والراوندية والباطنية بالتقدمية والثورية .

● دراسة النزعات المادية فى الفلسفة العربية الإسلامية تمجد نفس الفرق الضالة التى مجدها (القرامطة والراوندية والباطنية) .

● تصوير التاريخ الإسلامى بصورة صراع بين الإقطاع وطلائع البرجوازية .

● محاولة تقديم رؤية ظالمة للتراث العربى الإسلامى فى العصر الوسيط مؤسسة على النظرية المادية الجدلية الماركسية والاستشراق الشيوعى (كرانسكوفسكى) .

● تشويه وهدم أعلام ونوابغ الفكر الإسلامى ومحاولة تصوير ابن خلدون بأنه مفكر يسارى .

● وصف قصص القرآن بأنه خرافة ، وأنه يحوى أساطير .

● عزل الإسلام عن حركة المجتمع المعاصر وقصر تأثير القرآن على العبادات والمساجد كضرورة حتمية لتقدم المجتمع العربى المسلم .

● محاولة القضاء على التصور الإسلامى بأنه عقل غيبى ، وأن العقل التقدمى هو العقل الذى يتعامل مع الأرض والواقع فقط ووصف الفكر المعادى للإسلام بالفكر المستنير .

● الادعاء بأن التشريع الإسلامى لم يطبق إلا فى زمن واحد هو زمن الرسول ﷺ .



إعادة كتابة التاريخ الإسلامى

كانت إعادة كتابة التاريخ الإسلامى محاولة لتدمير مفهوم الإسلام الحقيقى ، على النحو الذى فعل طه حسين ، حين كتب عن الصحابة وصورهم بصورة الزعماء السياسيين ، وسار على هذا الطريق المراكسة : وفى مقدمتهم أحمد عباس صالح ، وعبد الرحمن الشرقاوى ، والدكتور محمد أنيس الذى فرض على الجامعة المنهج الماركسى لتفسير التاريخ .

وجاء القوميون والاشتراكيون يتتبعون العورات . . ومن ناحية أخرى استغل الماركسيون والعلمانيون ماكتبه بعض المؤرخين الذين كانوا على خصومة مع المماليك وفى مقدمة هؤلاء (ابن إياس) والمقريزى فى (النجوم الزاهرة) حين حاول الاستشراق التركيز عليها فى سبيل هدم مقولة : بطولة المماليك وفضل العنصر التركى .

يقول أحد الباحثين : اعتماداً على أخبار وردت فى ابن إياس والجبرتى أو غيرها ، ولما كان فى هذه الأعصر الخالية من الدعارة والتبرج والأغلال باستخدام هذا المنطلق أن تقدم بعد مائة سنة من تجمع أخبار صفحات الحوادث بالصحف اليومية الآن ، ومصور بها المجتمع بأنه غاية من الفوضى والانحلال والشذوذ فقد عمم حوادث مفردة على مجتمع بأسره وجعل الشذوذ المحلى عنه هو القاعدة ، وأهدر العموم لأنه مسكوت عليه عند تداول الأخبار .

★ ★ ★

وجاء جهاد المماليك ومواجهتهم للقوات الأجنبية فقد وقفوا أمام خطرين كبيرين هما خطر التتار وخطر الصليبيين .

وقد أقام المماليك نهضة كبرى حيث شجعوا اللغة العربية لأنها لغة القرآن الكريم ، وحرصاً منهم على تدارك النقص لكونهم غير عرب .

كما تميز عصر المماليك بظهور الموسوعات الكبرى فى الأدب والنحو وعلم الحديث والفقه والتاريخ حيث ظهر القلقشندى (صبح الأعشى) ، ابن منظور (لسان العرب) ابن تيمية (الفتاوى) ابن خلكان (وفيات الأعيان) ، ابن كثير (البداية والنهاية) ،

الذهبى (سير أعلام النبلاء) ، ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة) .

لقد كانت الدولتان : دولة المماليك والدولة العثمانية مسلمتين سنيتين ، وكان هذا سبباً أساسياً للتقريب بينهما وإزالة أسباب العداء ، ولم تكن هناك اتفاقية ما .

وقد ابتهجت مصر والشام بانتصار العثمانيين على أعدائهم الصفويين ، وكان مصدر الحملة عليهم كراهية النفوذ الأجنبى وحقده على تقدم الإسلام .

★ ★ ★

وكان هدف إعادة التاريخ عند طه حسين :

يرمى إشعال نار الفتنة الطائفية وتجديد الخلافات القديمة أمام الدفاع عن اليهودى عبد الله بن سبأ .

تشويه صورة الإسلام واعتباره صراعاً بين الغنى والفقير .

وقد تطور هذا الاتجاه فأصبح هدفاً يرمى إلى سد أبواب الفكر على الإنسان العربى نفسه حتى لا يرى ظهور الإسلام على حقيقته ، وعلى نفس الطريق سار الماركسيون والعلمانيون ، حيث عمدوا إلى عرض صورة مشوهة ونشأ سير فكرى جديد لايختلف كثيراً عن السير العقيدى فى عهد الاستشراق والتبشير .

★ ★ ★

ولقد كان مما عمل طه حسين وجماعته : الدعوة إلى إيجاد (ميثولوجية) إسلامية لإفساد العقول والقلوب من سواء الشعب ولتشكيك المستنيرين ودفع الريبة إلى نفوسهم فى شأن الإسلام ونبيه ﷺ ، وقد كانت هذه غاية الأساطير التى وضعت فى الأديان الأخرى والتى على نمطها كتب طه حسين (على هامش السيرة) حيث يقول هو فى المقدمة بالنص : « إنه قرأ كتاباً عن (ميثولوجية المسيحية) وأراد أن يعمل مثله للإسلام دون تقدير للفوارق العميقة بين الدينين » .

ومن أجل هذا ارتفعت صيحة المصلحين الدينيين فى جميع العصور لتطهير العقائد من تلك الأوهام (اقرأ مقال هيكل فى السياسة الأسبوعية ١٩٣٣) .

وقد ذكر الشيخ إبراهيم شعوط فى كتابه (أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ) عدداً من الأباطيل :

١ - الافتراء على أمهات المؤمنين رضى الله عنهن .

٢ - الحط من شأن الصحابة رضى الله عنهم .

٣ - الإساءة إلى أبطال الإسلام وخالد بن الوليد رضى الله تعالى عنهم .

٤ - دعوى حرق المسلمين لمكتبة الإسكندرية .

٥ - الفتنة الكبرى وموقف الصحابة من تبعية عثمان رضى الله عنه ومؤامرة عبد الله بن سبأ .

٦ - الخلاف بين معاوية وعلى رضى الله عنهم .

٧ - تشويه بنى أمية والتهم الموجهة إلى معاوية .

٨ - الاتهامات الموجهة للرشيد .

٩ - نسب الفاطميين .

١٠ - الطعن فى المماليك والعثمانيين .

١١ - استقلال كتابات ابن إياس وكتابات تغرى بردى .

١٢ - طمس حقائق الجهاد البحرى الإسلامى .

١٣ - وصف العصر العثمانى بالاستعمار والاحتلال .

١٤ - جهاد المماليك فى وجه الصليبيين والتتار .

★ ★ ★

من مؤامرات الاستشراق

الوحـدة الإسلاميـة الجامعـة

عمل النفوذ الغربى من خلال تجنيد عدد كبير من المبشرين الذين يلبسون ثياب المستشرقين ، وفى مقدمتهم : فيليب حتى ، وسلامة موسى ، وجورجى زيدان ، ولويس عوض لكتابة تاريخ الإسلام على مفهوم فرض نظرية الإقليميات والقوميات والتركيز عليها بهدف هدم الوحدة الإسلامية الجامعة للمسلمين ، وقد استعان على ذلك بتحريف تاريخ الأقطار العربية والإسلامية وفصله عن تاريخ الأمة الإسلامية العام والتركيز على الحفريات التى تُعْلى شأن ما قبل الإسلام من دعوات الفرعونية والفينيقية والآشورية والبابلية ودعم مفاهيم القبلية العربية والطائفية وتأكيدها فى محاولة واسعة للحيلولة دون قيام وحدة إسلامية جامعة بعد سقوط الخلافة بالإضافة إلى خلق وحماية وتوجيه الفرق الضالة كالأحمدية والقاديانية والبهائية ودعمها جميعاً وإتاحة الفرص لها للعمل فى سبيل القضاء على مفهوم الثقافة الإسلامية الجامع بالدعوة إلى التحلل الخلقى وإنكار ختم الرسالة وإحياء مفاهيم الباطنية والحلول والاتحاد والمذاهب الفلسفية الضالة .



تغييب مفهوم الوحدة الإسلامية :

يقوم منهج كتابة التاريخ الإسلامى الغربى (على أيدى المستشرقين والمبشرين وأتباعهم من العرب والمصريين) على أن يغيبوا مفهوم الوحدة الإسلامية الجامعة فى كتاباتهم حتى لاتنطبع فى أذهان الشباب والطلاب وإدراك هذا المفهوم الواجب اعتناقه والعمل له .

وقدمت الوحدة أجناساً مختلفة وشعوباً متنامية ولم يكن العرب وحدهم قوام الأمة الإسلامية ، بل ارتفعت راية الخلافة لترفرف على كل الجنسيات والبلدان وانتظم الجميع فى وحدة إسلامية كبرى حيث : « لافضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى » حتى الولاة الذين انفصلوا وكونوا دويلات كانوا يستمدون شرعيتهم من تبعيتهم للخليفة العباسى .

وقد عمد الأتراك إلى توحيد الولايات الإسلامية تحت راية الخلافة العثمانية .



استخدام منهج التجزئة وحجب مرحلة القيادات الإسلامية :

ومن مؤامرات الاستشراق التركيز على الحقبة الأولى من تاريخ الإسلام التى فتح فيها العرب المنطقة التى يعيشون فيها فيسميها التاريخ العربى تارة (إمبراطورية العرب) ومرة أخرى (حضارة العرب) أو الجامعة الإسلامية ، هذه الحقبة لاتتجاوز ثلاثة قرون من تاريخ الهجرة ظهر بعدها المسلمون من غير العرب الذين ضربوا بسهم وافر فى الحضارة وعملوا بصدق فى سبيل نشر الإسلام فى آسيا وإفريقيا ووقفوا بحزم فى وجه الهجمات التى شنها أعداء الإسلام من مغول وتتار وفرنجة على العالم الإسلامى وأحرزوا من الانتصارات الباهرة مايستحق أن نفخر به والخطأ فى ذلك هو التركيز على ماقام به القواد العرب المسلمون الأوائل (عمرو وسعد وخالد وعقبة) لأن التقسيم الغربى للتاريخ الإسلامى يقوم على الفصل بصورة متعسفة بين المرحلة الأولى من عصر الدولة الإسلامية والمراحل التالية التى آل الحكم فيها إلى غير العرب من الشعوب الإسلامية ، ولم يكن صلاح الدين هو القائد الوحيد الذى خاض غمار تلك الحروب والتى دارت مدة ثلاثة قرون وهناك غيره ممن لم يكتب عنهم ، والغرب يريد للمسلمين أن يعرفوا أنهم هزموه وقضوا على جيوشه وحطموا آماله وكبرياءه ، لذلك يتعمد استخدام منهج التجزئة فلا يتكلمون عن التاريخ الإسلامى ككل بل يتكلمون عن التاريخ العربى .

الحركـــــات الانفصـــالية :

وكان اهتمامهم بالحركات الانفصالية عن جسد الدولة الإسلامية ووصفها بالثورية وإسباغ اسم الدول الاستقلالية عليها ، فإن الخطر الدفين يوحى بأنهم يريدون أن يحكموا بذلك على قصر الدولة الإسلامية وإجهاض مفهوم الخلافة والترويج للشعوبية والأممية ، والضرب على أوتار القوميات والأقليات وتشجيع تمزيق جسد الأمة الإسلامية ، وقطع الصلات بين حاضر المسلمين وماضيهم فى حين أن الدولة الإسلامية ممتدة امتداد التاريخ الإسلامى وحدودها تنتهى إلى رسول الله ﷺ وسنة الحياة أن تتعاقب الأجيال .

كتابة التاريخ ترمى إلى تمزيق وحدة التاريخ الإسلامى :

وقد كانت كتابة التاريخ فى الدول العربية والإسلامية الواقعة تحت نفوذ العرب ترمى إلى تمزيق وحدة التاريخ الإسلامى ، وإعلاء التاريخ القومى ومحاولة تصوير كل وطن عربى

بأنه متميز ، وكل قوم يعلون قطرهم ، ويعد محمد عبد الله عفان مثلاً فى ذلك ، فقد كان يُعلى من شأن المصرية فى مؤتمرات الجزائر ويجادل جدلاً شديداً .

إعلاء شأن غير المسلمين :

فيقول فيليب حتى : إن قادة الحركة الأدبية فى بلاد العرب هم فى الغالب نصارى من لبنان تعلموا وقيسوا الإلهام من مدارس المبشرين الأمريكيين، وذكر ناصيف اليازجى ، وبطرس البستانى ، ولويس شيخو ، وجورجى زيدان ، ويعقوب صروف ، وجبران ، وأمين الريحانى .

ولم يذكر جمال الدين أو محمد عبده أو البارودى وحافظ وشوقى والرصافى والزهاوى

وصدق المستشرق إنيان رينيه :

إنه من المتعذر إن لم يكن من المستحيل أن يتحرر المستشرقون من عواطفهم ونزعاتهم المختلفة ، وأنهم قد بلغ تحريفهم لسيرة النبى ﷺ والصحابة مبلغاً يغشى على صورتها الحقيقية من شدة التحريف ، وهم مع ذلك يزعمون أن اتباعهم لأساليب النقد الغربية ، وإننا نتلمس من خلال كتاباتهم أن محمداً يتحدث بلهجة ألمانية وإذا كان المؤلف إيطالياً كان الكاتب إيطالياً وهكذا تتغير صورة محمد بتغيير جنسية الكاتب .

إن المستشرقين ليقدمون لنا صوراً خيالية هى أبعد ما يكون عن المعالم البشرية .

مشروع أسلمة التاريخ الإسلامى :

سار أحمد أمين فى طريق كتابة الحياة العقلية اعتماداً على توجيهات المستشرقين وإعلاء شأن المعتزلة والفصل بين القيم الإسلامية وله أخطاؤه المتعمدة فى السنة ، أما العبادى فإنه لم يكتب إلا فصولاً مفرقة جمعها ، أما طه حسين فالقول بأنه موسوعة إسلامية هى أكذوبة خادعة لأن هذه المؤلفات لاتمثل منهجاً متكاملاً وهى أعمال متفرقة تخضع لتيارات العصر والظروف ، وتم كل هذا فى دائرة استخدام التاريخ لخدمة دعوات أساسية إقليمية وعربية وقد تخصص :

١ – محمد عبد الله عنان فى كتابة تاريخ مصر الإقليمى .

٢ – ساطع الحصرى وميشيل عفلق : مفهوم القومية العربية الوافد .

٣ – كتابة التاريخ بمفهوم التفسير المادى للتاريخ (على أساس إنكار البطولة الإسلامية القائمة على الإيمان والتضحية والفداء) .

٤ – كتابة التاريخ بمفهوم أن الحروب الصليبية هى صراع بين العرب وأوربا متجاهلين قضية الإسلام التى هى أساس الحروب .

٥ – التهجم على الدولة العثمانية وإنكار دورها .

٦ – عدم الفصل بين الدولة العثمانية وبين حكم الاتحاديين الذى كان لهم ولاء ماسونى .

٧ – إحياء النزعات الباطنية والمنحرفة كإعلاء شأن الزنج والقرامطة .

٨ – تفريغ التاريخ الإسلامى من روح التضحية الإسلامى .

★★★

الباب السادس

الحرب على اللغة العربية

النص الصريح على أن اللغة التى نزل بها القرآن للبشرية هى اللغة العربية والقرآن الكريم دستور هذه الأمة وكتاب ربها المقدس ، وهو مصدر التشريع والسنة هى المصدر الثانى للتشريع .

قال الإمام ابن تيمية : لما أنزل الله تبارك وتعالى كتابه باللسان العربى جعل رسوله مبلغاً عنه الكتاب والحكمة بلسانه العربى ، وجعل السابقين إلى هذا متكلمين به حيث لم يكن سبيل الدين ومعرفته إلا بضبط اللسان ، وصارت معرفته من الدين .

فارتباط اللغة العربية بالإسلام لها أوثق العلاقة بعلومه الشرعية المختلفة (تفقهوا العربية وأعربوا القرآن فإنه عربى) .

ولهذا أصبحت معرفة القرآن وإدراك أسراره ومعرفة حلاله وحرامه وناسخه ومنسوخه ومطلقه ومقيده ومتشابهه والوقوف على أسرار إعجازه أمراً أساسياً فى الدعوة الإسلامية ، حيث يجب أن يدرك كل مسلم أن اللغة العربية لغة بيان توحد المسلمين وتجمع شتاتهم وتوجههم نحو وجهة واحدة لذلك فإن لغته يجب أن يكون لها المكان الأسمى والمنزلة الرفيعة .

ومن هنا قامت جهود ضخمة ومؤامرات واسعة من الاستشراق والتبشير لمحاربة العربية الفصحى ، والعمل على تمزيق وحدة الأمة المتمثلة فى وحدة اللغة عن طريق تفكيك اللغة العربية إلى فصحى وعامية ، على هذا الوضع الخطير الذى تعلو فيه العامية وترتفع حتى تصبح لغة الكتابة والتأليف ، وعدم تحكيم مناهج علمانية غربية فى أمر اللغة العربية التى سبقت كل هذه اللغات بآلاف السنين وأقامت وجوداً خاصاً بها ، منذ ارتبطت بالقرآن الكريم ، وعجزت عمليات غزوها وتدميرها عن ذلك ، فلم تعد تصلح للخضوع أمام منهج لغوى غربى أو وافد .



ويقول دكتور خليل يحيى نامى (ديسمبر ١٩٦٥ مجلة العربى) :

إن اللغة العربية هى الأصل الذى نشأت منه كل اللغات التى عرفت باسم اللغات السامية وذلك لأن اللغة العربية القديمة كانت لغة الأعراب أو البدو الذين كانوا يعيشون فى الجزيرة العربية وهاجروا بعد ذلك فى موجات متعاقبة إلى بعض البلاد الآسيوية والإفريقية ، وكانت من نتاج تلك الهجرات نشأة اللغات التى تعرف باسم اللغات السامية .

كما أن دراسة اللهجات العربية المختلفة فى كتب القراءات والنحو واللغة تعكس لنا صوراً عديدة من السمات والخصائص الموجودة فى تلك اللغات التى أطلق عليها العلماء عام ١٨٧١ اسم اللغات السامية .

قال ابن حزم فى كتابه (الإحكام فى أصول الأحكام) :

« إن العربية والسريانية والعبرانية من أصل واحد وإنها كانت لغة واحدة فى الأصل تبدلت بتبدل مساكن أهلها ، وتشمل الكنعانية ، والفينيقية ، والعبرية وكانت العربية هى أقدم اللغات السامية وأحدثها ، كما تدل المقارنات التاريخية » .

وتذكر الإحصائيات المختلفة للمجتمعات البشرية فى دول العالم حوالى ثلاثة آلاف لغة وأكثرها لغات محلية ، وهناك إحدى عشرة لغة يستخدمها أكثر من خمسين مليون نسمة .

وقد تقدمت اللغة العربية من ١٨٦٠ إلى ١٩٧٠ من ٧٦ مليون إلى ١٠٣ مليون يتعلمونها (هذا عدا أنها لغة الثقافة لألف مليون مسلم) .

أما سر انتشار اللغة الإنجليزية وسبقها فهو النفوذ السياسى فيما بين الحربين .

أما اللغة العربية فهى لغة الدين والثقافة فى مناطق كثيرة .

إن أكبر جماعات بشرية غير عربية فى الدول العربية كجماعات الأكراد والبربر والنوبيين والمهرة وأبناء لغات جنوب السودان ، أما اللغة العربية فهى أكثر اللغات الوطنية انتشاراً فى أفريقيا ، وتستخدم اللغة العربية فى المناطق غير العربية فى أمور الثقافة والحياة العامة ودول تعتبر العربية فيها أكثر اللغات الوطنية انتشاراً (موريتانيا – تشاد – مالطة) كما أن نصف أبناء البربر فى موريتانيا يتعاملون باللغة العربية .

كما تستخدم فى البرتغال ومالى إلى تشاد ، وهى أكثر اللغات استخداماً فى المنطقة الممتدة من تمبكو (مالى) إلى كانم ودوداى إلى غرب السودان .

ثم أصبحت إحدى لغات هيئة الأمم المتحدة (قرار اليونسكو ١٩٦٨) .

ولقد ارتبط الإسلام بالعربية على نحو جعل للعربية درجة من الانتشار فى كل المناطق الآسيوية والإفريقية التى تضم جماعات إسلامية ويتضح هذا بدرجات متفاوتة فى إيران وأفغانستان وشبه القارة الهندية والملايو وإندونيسيا ونيجيريا الشمالية وتنزانيا .

وقد أولى الأوربيون اهتمامهم باللغة العربية على مستويين :

أحدهما : مستوى اللغة الفصحى فى مراحله الأولى كوسيلة لدراسة الإسلام والحضارة العربية .

والثانى : على مستوى اللهجات العامية لأهداف عملية مباشرة .

★ ★ ★

حفظ القرآن الكريم اللغة العربية وحماها من الانهيار الذى أصاب لغات كثيرة خاصة منه اليونانية ، والإغريقية فى الغرب ولغات كثيرة فى المشرق .

ومن هنا كانت الحملة على اللغة العربية بهدف التأثير فى القرآن الكريم ، وهى حملة مستمرة على القرآن الكريم على مدى العصور يحمل لواءها الملحدون والمستشرقون والمبشرون والشعوبيون ، وأصحاب الفلسفات الهدامة بإثارة أمواج من الشكوك والشبهات وهم يحاولون أن يخدعوا المسلمين عن اللغة العربية على النحو الذى حدث حين دخلت اليونانية والإغريقية المتحف ، وحين ترجم أصحاب الأديان كتبهم إلى لغات أخرى هى فى أصلها عاميات الأمم ، وجاء اليوم الذى اضطر فيه أصحاب الأديان أن ينقلوا تراتيلهم وأصولهم إلى اللغة العربية .

★ ★ ★

ومنذ اليوم الأول للنفوذ الأجنبى فى مصر وبلاد العرب والمسلمين رفع المسلمون راية القرآن عالية إيماناً بأنه هو المدخل إلى الفكر والثقافة والمجتمع .

وعلا صوت جمال الدين الأفغانى فى القرن التاسع عشر .

وهذه هى صيحة عام ١٨٩٧ التى أيقظت الدعاة إلى الله :

« مادام القرآن يتلى بين المسلمين ، وهو كتابهم المنزل وإمامهم الحق وهو القائم عليهم يأمرهم بحماية حوزتهم والدفاع عن ولايتهم وفعالية المعتدين وطلب المنفعة من كل

سبيل فإننا لانرتاب فى عودتهم إلى مثل نشأتهم ونهوضهم إلى مقاضاة الزمان ماسلب منهم فيتقدمون على من سواهم فيدفعون الملاحة والمنازلة والمصاولة حفظاً لحقوقهم » .

إن القرآن حى لايموت ومن أصابه نصيب من حمده فهو محمود ، ومن أصيب من مقته فهو ممقوت ، كتاب الله لم ينسخ فارجعوا إليه وحكموه فى أحوالكم وطباعكم ، إن الحركة الدينية بالدعوة إلى القرآن كناية عن الاهتمام بقلع مارسخ فى عقول العوام ومعظم المواجهة من فهم بعض العقائد الدينية والنصوص الشرعية على غير وجهها مثل حملهم نصوص القضاء والقدر على معنى يوجب عليهم أن لا يتحركوا إلى طلب مجد أو تخلص من ذل .

لابد إذن من بعث القرآن وبعث تعاليمه الصحيحة بين الجمهور وشرحها على وجهها الثابت من حيث يأخذ بهم إلى مافيه سعادتهم دنيا وأخرى .

القرآن وحده سبب الهداية والعبرة فى الرعاية وماتراكم عليه وتجمع حوله من آراء الرجال واستنباطاتهم ونظرياتهم ، فينبغى ألا نعول عليه كوحى وإنما نستأنس به ونحمله على أكفنا مع القرآن فى الدعوة إليه وإرشاد الأمم إلى تعاليمه لصعوبة ذلك .

هناك نوعان من المصادر فيما أثر عن تاريخ الجماعة الإسلامية :

أولهما : مصدر مؤكد هو القرآن ومافى منزلته من السنة المتواترة أعمال النبى ﷺ المتواترة إلى اليوم هى السنة الصحيحة التى تدخل فى مفهوم القرآن والدعوة إلى القرآن وحده .

ثانيهما : مصدر غير مؤكد يصح أن يستأنس به ولكن ليس له من الوجوب مثل ما تجمع حول القرآن من آراء المسلمين وشروحهم للإسلام .

« أصبح من الضرورى الرجوع اليوم إلى القرآن بعد أن آلت شروحه السابقة إلى مذاهب ، وأدى أمر هذه المذاهب إلى تفريق الأمة إلى طوائف متنابذة .

المطلوب هو العودة إلى القرآن بعيداً عن تفسيرات المفسرين التى دعت إلى الخلاف والتفكك » .



ولقد كان للغة العربية تاريخ طويل ، حاول الاستعمار والنفوذ الغربى أن يحجبه أو يشكك فيه ، ولكن الحقائق التى يخفونها ما تلبث أن تظهر وأن تحطم المقولات الباطلة ،

وآخر مثل لهذا ذلك الكتاب الذى ظهر بالإنجليزية لباحثة مصرية (تحية عبد العزيز إسماعيل) وفيه تؤكد أن اللغة العربية أصل اللغات الألمانية والإنجليزية والهندية .

تجرى المؤلفة المقارنة بين ثلاث لغات قديمة : اللاتينية والسكسونية والجرمانية التى يكتب بها الإنجليز ، وقد أسفرت الدراسة عن حقائق بالغة الأهمية تؤكد أن اللغة السكسونية واللغة اللاتينية عبارة عن شطر فقط من اللغة العربية .

وتصل من بحثها المستفيض إلى حقيقة ثانية هى أن : « **اللغة العربية هى أم كل اللغات** »

حيث أن ٨٠٪ من أفعال اللغة السكسونية من أصل عربى ، و ٧٥٪ من أفعال اللغة اللاتينية من أصل عربى ، وبالتالى فالكلمات المستعملة منها فى مجال المقارنة مع اللاتينية نجد كلمات :

ذكر Dicere ، كهف Cavas ، قارض Cares ، كنسى Cunis .

أما فى المقارنة مع اللغة الأنجلوسكسونية فنجد مثل ذلك .

ويذكر الكتاب أن بعض آلهة القبائل الجرمانية قبائل جنوب الجزيرة العربية لها أسماء مشتركة مثل : menan مناه ، wadgn دوا ، وبما أن اللغة الإنجليزية الحديثة أصلها السكسونية وتأثرت كثيراً باللاتينية نجد منها كلمات كثيرة عربية طال tall ، قال call .

ويوضح البحث أنه لايمكن أن توجد لغات بها هذه النسب العلمية من الكلمات المشتركة إلا لو كانت من أصل واحد .

وقد أجرت الباحثة إحصاء عن عدد الجذور فى اللغات اللاتينية والسكسونية والعربية : يتضح منها أن اللغة السكسونية واللغة اللاتينية عبارة عن شطر فقط من اللغة العربية على الرغم من أنها نفس الأصل وأن هذه اللغات طرأ عليها ضعف وتقلص لم يصب العربية .

وقد طرأت بعض التغيرات على كلمات كثيرة ولاتتغير أى كلمة عشوائياً بل كل تغيير معناه تغير فى قوانين اللغة وكل تغير له دلالة عند علماء اللغة .

وبالجملة فإن الباحثة قد وصلت فى بحثها إلى هذه الحقائق :

١ - اللغة العربية أصل اللغات الأوربية والهندية وأصل الكلام .

٢ - التفسير العلمى لحروف أوائل السور من القرآن الكريم توضح أن الله تبارك وتعالى صان العربية من الاندثار بعكس اللغات الأخرى التى تعدت أصلاً الرموز الصوفية التى تثرى العربية وحدها ، كما فقدت الكثير على مستوى الحروف .

وفى تقرير للدكتور يوسف الخليفة أن :

١٥٠ مليون نسمة يتكلمون اللغة العامية حتى أصبحت اللغة العربية الفصحى غريبة فى وطنها وبين أهلها .

٨٥٠ مليون مسلم يرغبون فى تعلم اللغة العربية وعطشى يرغبون تعلم لغة العرب للتعامل معهم .

إن اللغة العربية فى النصف الثانى من القرن العشرين أصبحت إحدى اللغات الرسمية فى الأمم المتحدة ، ولاتكاد جامعة فى الغرب لاتدرسها وأصبحت اللغة العربية إحدى اللغات الأوربية .

كذلك فإن هناك توجه شديد إلى كتابة لغات الأمم الإسلامية بالحرف العربى ، وكانت اللغات التى تكتب بالحرف العربى أول القرن العشرين ٧٠لغة وتسهل عليهم قراءة القرآن .

غير أن الاستعمار حارب الحرف العربى ، فانهزم أمام الحرف اللاتينى ، ومايزال الحرف العربى محاصراً بالحرف اللاتينى ، ومازال الاستعمار يتعقب الحرف العربى وآخر محاولة هى فى الصومال وتكتب من الشمال إلى اليمين ١٦ لغة ولهجة من لغات المسلمين فى الاتحاد السوفيتى .

★ ★ ★

ومن ناحية أخرى يتبين أن اللغة العربية هى مفتاح دراسة الكتب المقدسة ، وقد أدرك رجال الدين اليهود مدى أهمية العربية فى فهم عبرية العهد القديم (التوراة) .

ويقرر الدكتور « مهدى علام » أن اللغة العربية هى أقدم لغة حية تعيش حتى اليوم دون انقطاع عن جذورها وأصولها وقواعدها وعلى الرغم من كل تطور يتناول مفرداتها العلمية وقليلاً من أساليبها فإنها هى هى اللغة التى تكلم بها امرؤ القيس ، والأعشى ، والمتنبى كما تكلم بها شوقى وحافظ ، ولا كذلك أى لغة أخرى حديثة ، فليس لها إلا أقل الشبه بأصولها ولا يفهمها اليوم العلماء المتخصصون فيها ، ولاكذلك اللغات القديمة فإنها ليست الآن لغات حية مستعملة كتابة أو حديثاً ، فاللاتينية ساكنة النصوص واليونانية القديمة ساكنة الآثار .

عمق الارتباط بين العربية والإسلام :

إن الارتباط بين الإسلام واللغة العربية الفصحى عميق إلى حد بعيد حتى يمكن أن تكون تلك الثقافة متميزة عن كل لغة وعن كل دين .

ولقد كان ارتباط اللغة العربية بالإسلام ارتباط توحد وامتزاج .

وفى القرآن الكريم تنوعت الإشارات إلى العربية وحدث بين العربية كلغة وبين الأعرابية كثقافة جاهلية ، وقد ورد ذكر الأعراب فى القرآن الكريم عشر مرات أغلبها فى معرض الذم مثل : ﴿ **الأعراب أشد كفراً ونفاقاً** ﴾ [التوبة : ٩٧] ﴿ **قالت الأعراب آمنا** ﴾ [الحجرات : ١٤]

أما العربية كلغة فقد وردت أكثر من عشر مرات كما يؤكد أن العربية لغة الإسلام والقرآن ﴿ **وهذا لسان عربى مبين** ﴾ [النحل : ١٠٣] .

وهكذا جاء القرآن الكريم الذى هو النص المحورى فى الحضارة العربية الإسلامية ليشهد باقتران الدين الإسلامى باللغة العربية ويستبعد الثقافة العربية الجاهلية والأعرابية ليؤسس ثقافة جديدة هى العربية الإسلامية .

وفى الحديث النبوى وردت تأكيدات كثيرة على أصالة اللغة العربية بالدين الإسلامى وامتزاج ماهو عربى بما هو إسلامى بل جعل النبى ﷺ حب العرب من الإيمان « حب العرب إيمان وبغضهم كفر » .

وحديث « من تكلم العربية ورضى دين العرب ديناً لنفسه ورضى حكمها له وعليه فهو عربى وقد برئ من العجمة وبرئت منه » .

وحديث « ليست العربية من أحدكم بأب ولا أم وإنما هى اللسان فمن تكلم بالعربية فهو عربى » .

وتتعدد الروايات التى تمثل أن العربية مع الإسلام صارت هوية وثقافة لمن هو مسلم مادام يتحدث بها بل الإسلام ذاته موصوف بأنه دين العرب والعربية وأنها لغة الإسلام وشرط الإيمان .

وانتصار علماء الإسلام للعربية ليس قائماً على أنها مجرد لغة ولسان فهم لم يتعرضوا للعربية الجاهلية ، وإنما قام انتصارهم على أنها لغة الإسلام .

قال ابن خلدون : « العرب لاتقوم لهم قائمة إلا بالدين » من وحى أو ولاية أو نحو ذلك ، وجاءت دلالة المخالفة فى عمل أتاتورك حيث طمس الهوية الإسلامية وفصل الدولة عن كل ماهو عربى ، أوقف الأذان وقراءة القرآن بالعربية وغير نسق الكتابة إلى اللاتينية .

يقول دكتور جان جاك شربين (من كبار الشخصيات السياسية الفرنسية) :

« إن اللغة العربية قادرة علمياً على التحكم فى المعلومات والسيطرة على خباياها واكتشاف أسرارها واستعمالها بمنهج عربى قصد المساهمة فى تشييد مجتمع المستقبل .

« إن اللغة العربية اخترعت الجبر والرياضيات منهمكة فى المرحلة الراهنة فى أخذ أصول وفنون المعلوماتية عن طريق تعاونها مع اللغة الإنجليزية واللغة الفرنسية وستتمكن فى المرحلة الموالية من اختراع وابتكار الأجهزة والأدوات المعلوماتية التى سيحتاجها العرب فى مساعدتهم من أجل الرقى والنماء .

إن رفع التحدى العالمى المترتب على انتهاء عهد الصناعة الكلاسيكية يتطلب أساساً استعمال المعلوماتية وهى سر التكنولوجيا المستقبلة للزيادة فى الإنتاج بأسعار معقولة ومساعدة العالم الثالث كى يصبح عالماً متقدماً علمياً ومستقلاً اقتصادياً وطرفاً متكاملاً مع الغرب على قدم المساواة .

وقال : « إن العالم العربى والعالم الغربى بإمكانهما مع مراعاة احترام الهوية الثقافية لكل منهما أن يتعاونا فى ميدان المعلوماتية لإنقاذ أنفسهما أولاً ، وإنقاذ العالم الثالث والعالم بأسره ثانياً .

إن العرب قد بدأوا يدركون أهمية المعلوماتية كميدان للاستثمار المفيد وكشرط لبناء المستقبل ومواجهة تحديات الفكر مشيداً بالجهود التى يبذلها العرب فى ميدان التعليم الجامعى والتعاون العربى الغربى فى ميدان البحوث العلمية والتكنولوجية لضمان الرقى لشعوبهم » أ . هـ .



وهكذا تجد اللغة العربية تقديراً هائلاً من مختلف الجهات المنصفة وتنمو نمواً متصلاً وهى تقاوم محاولات النفوذ الغربى لتجميدها ولتغليب اللغتين الإنجليزية والفرنسية عليها .

يقول الأستاذ مولود قاسم : إن علينا أن ندحض الأباطيل المغرضة التى تدعى أن اللغة

ليست إلا أداة أو شكلاً أياً كان ، وأن المحتوى هو الأهم وبالتالى نستطيع أن نستمر فى تدريس العلوم باللغات الأجنبية ولهؤلاء نقول :

« إن اللغة ليست شكلاً ولا أداة بل هى محتوى أيضاً ، إذ هى قاعدة تصاغ فيها أفكارنا وأحاسيسنا نعبر بها عن كنهنا وحقيقتنا ، تصطبغ بها هذه الأفكار والأحاسيس بالضبط ، كما تتأثر هى (أى اللغة) بهذه الأفكار والأحاسيس التى تعبر عنها والتى تحملها شحنة معنوية قوية تعطيها طابعها المميز لها الخاص بها ، وإذا كانت اللغة شكلاً فقط ـ أى قالباً – فالمعروف أن القالب مؤثر فى محتواه ، إذ يعطيه شكله ، وحيث أن القالب يوضع خصيصاً للشيء الذى يراد صنعه ، فماذا نريد ياترى أن نضعه بأذهان أطفالنا الغضة ؟ .

« إنهم يرون أن اللغة ظاهرة اجتماعية تسير بسير الزمن وتتطور بتطور المجتمع ، وهى ملك لأهلها وفى وسعهم أن يغذوها بغذاء لاينقطع ، فى كتابتها وإملائها وبرهنوا على أنها فى مرونتها واشتقاقها ليست أقل كفاية عن اللغات الحية الكبرى فى مواجهة متطلبات العلم والحضارة ، واجهت ذلك فى الماضى البعيد ولاتزال أهلاً لمواجهته اليوم » .

وإذا كان المستشرقون والعلمانيون يرددون هذه الكلمات عن الظاهرة الاجتماعية وتطوير اللغة فإنهم يجهلون الفوارق العميقة بين اللغات المختلفة وبين اللغة العربية التى نزل بها القرآن فأصبحت لها أحكام أخرى مختلفة عن الدعاوى الباطلة التى يريدون بإذاعتها تجميد اللغة التى لو قام امرؤ القيس اليوم وتكلم بها لعرفه العرب من وراء أكثر من ألف وأربعمائة عام حيث نرى اللغات الأوربية وغيرها لاتستطيع أن تعيش أكثر من ثلاثة قرون .

يقول دكتور فوزى يوسف الهابط :

« إن جاز لعلماء كل لغة أن يربطوا أنفسهم بالواقع المعاش ويتطوروا منها حسب الظروف الواقعة فإنه لايجوز ذلك لعلماء اللغة العربية وذلك لسبب واضح ، وضوح الشمس، ألا وهو أن لغات العالم كلها لاترتبط بتراث دينى وتشريعى مقدس منزل بها ووعد الله تبارك وتعالى بحفظه فى قالبها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾[الحجر : ٩] .فإذا ماتطورت هذه اللغات الأخرى حسب الواقع المعاش فهذا يكون لراحة من ينطقون بها أما بالنسبة للغة العربية فإن الأمر يختلف تماماً لأنها ترتبط بالقرآن الكريم وبحديث الرسول ﷺ .

ثم بذلك التراث العربى الضخم الذى نشأ فى ظلها ، ترتبط اللغة العربية بكل ذلك لفظاً ومعنىً وصوتاً فلو ترك لتطورها العنان حتى ترتبط بالواقع المعاش لما عاشت حتى اليوم ولتناثرت بين اللهجات المختلفة التى بلغ من تطورها أن أصحابها قد لايفهمون بعضهم .

أما البلاد الإسلامية التى اهتمت بلغاتها الخاصة وأهملت دراسة اللغة العربية ولم تعمل على إحيائها أصبح أهلها غرباء عن القرآن الكريم والحديث والتراث العربى الضخم الذى نشأ فى ظلها .

وفى كل قطر من أقطار العرب والإسلام توجد مؤامرة ضد اللغة العربية على حساب اللهجات واللغات الإقليمية حيث يبرز التيار الإقليمى الداعى إلى استقلالية الكتابة والتحرر من التبعية الثقافية للعرب حيث تجرى المغريات إلى دفع كُتاب إفريقيا إلى الكتابة بالفرنسية والإنجليزية وترك لغة البلاد الأصلية ، وتجرى توزيع جوائز لمن يكتب باللغة الأجنبية .

ولاتوجد فى إفريقيا لغة واحدة بل لغات إفريقية ، ولا تجد الكتابة باللغة المحلية إقبالاً كالكتابة باللغة الإنجليزية أو الفرنسية ومن هنا يأتى استخدام اللغات الاستعمارية التى ورثناها وفى المغرب هناك محاولة لوضع اللهجة البربرية فى مقابل اللغة العربية لتأخير النهضة ، ولكن هناك مقاومة تغيير اللغة العربية أساسية فى اعتبارها لغة القرآن : يقول أحدهم نحن لم نسلم بحد السيف بل اختياراً ولم يعربنا أحد قسراً وإنما عربنا أنفسنا ، وبالتالى فإن من حقنا أن تجد لغتنا حقها من التداول .



الحرب على القرآن تركز على اللغة

كانت الحرب على القرآن تركز على اللغة منذ قديم فقد كانوا يتخفون وراء اللغة حتى لاينكشف أمرهم وقد تبين أنها كانت تمثل مؤامرة واسعة ، كان ابن سينا والفارابى من أطرافها والحلاج والسهروردى وابن سبعين وابن عربى من دعاتها ، ورسائل إخوان الصفا من قوانينها والقرامطة من غايتها ودعوة الحلاج إلى بناء بيت يطاف به واضح ، وإشارته إلى العام الذى خرج فيه القرامطة مذكور وهذا التراث المسموم كله قد جدده أدونيس وادعى فى العصر الحديث أنه منطلق النهضة الحقيقية للعرب والمسلمين .

وكان أخطر ما أحدثه التصوف الفلسفى (باعتباره مادة مأخوذة من مصادر غير إسلامية سواء عن طريق الأفلاطونية اليونانية أو الغنوصية الفارسية) .

ذلك الأسلوب وتلك العبارات الخطيرة التى تدل على مصطلحات باطنية نقلت إلى اللغة العربية وحاولت السيطرة عليها منذ ذلك الوقت البعيد وعن طريقها ظهرت فلسفات الحلول والاتحاد والاشتراكية والعقول العشرة ومايسمى بالفيض .. إلخ

كل هذه عبارة عن مصطلحات وكلمات ونظريات لم يعرفها الإسلام الذى أحاط بعلوم الإسلام كلها جاء وأكمل المنهج الإسلامى كله قبل أن يختار الرسول ﷺ الرفيق الأعلى ، ولقد كشف علماء المسلمين هذه الزيوف ، وأعلنوا فسادها وضلالها حتى جاء الفكر الغربى الحديث ، عن طريق المبشرين والمستشرقين فأعاد طرح هذه الصور والكلمات والنظريات مرة أخرى فى أفق الإسلام وظهرت أسماء كثيرة لمغربين تابعين أخذوا يعيدون الحديث عنها ، ويحاولون أن يجعلوا لها قواعد ومنطلقات .وكان أغلب الذين اهتموا بذلك وعملوا فى مجاله من الماركسيين والباطنية الراغبين فى الحصول على الشهرة والمكانة والذين كانوا بطبيعتهم من الحاقدين على الإسلام فى مجالاتهم الماركسية ، وفيها قفزوا إلى الفكر الباطنى والوثنى ليعطوه صورة جديدة على النحو الذى يكتبه : يوسف زيدان ، ونصر حامد أبو زيد ، وهما على طريق أدونيس ، وعابد الجابرى، وأخطر هذا العمل مايسمونه « تفجير اللغة » .

ولقد عمل كثير من العلمانيين فى هذا المنطلق سواء فى القديم أو الحديث .

فالدكتور خلف الله قدم تجميعاً منظماً لكل الشبهات التى أثارها المستشرقون منذ عشرات السنين فى مقولة أن بالقرآن إساطير ، وأن هذه الأساطير من عند الله وأن القرآن عبر بهذه الأساطير لتمتلك القلوب ، ولأنها هى التى كانت مألوفة لدى العرب مطابقة لمعارفهم ، ومطابقة ذلك لما فى أيدى أهل الكتاب من اليهود بينما الحقيقة أن قصص القرآن هى جزء من التاريخ ، وحق لاريب فيه ، والقرآن وإن لم يحدد وقائع ، ولم يذكر أسماء فهو لايزال يتحدى كل بحث .



أما بالنسبة للقديم فهناك كتاب المصاحف لابن أبى داود قدمه المستشرق آرثر جفرى ونقده الشيخ صادق عرجون ، ومما رواه ابن أبى داود هذه الرواية الساقطة التى يتشبث بها وبأمثالها من الأباطيل المستشرقون وتلاميذهم ، لأنها تعطى الناظر فيها وهماً بأن القرآن كان يكتب بالهوى والتشهى ، كما تدعى أن كتاب الوحى كانوا يكتبون ما يشاءون غير ما يملى عليهم ، وكان النبى ﷺ يردهم إلى الحق الذى أنزل إليه ، بل إن الرواية تمعن فى هذا العبث الخبيث فتقول إن النبى ﷺ كان يسبقهم عن المكتوب ، والذى يكتب فيقول أى ذلك كتبت فهو كذلك وليس هناك طريق لزعزعة الثقة بالنص القرآنى بل لينسفها من أساسها .



القرآن والعربية

أوجد القرآن الكريم للعرب فصحى مرجعية وأزال فروقات اللهجات القبلية ، وإن وحدة اللهجات العربية هذه تحت جناح اللغة العربية الجامعة ليست مسألة طارئة أو مستجدة بل هى تاريخية منحدرة فى الواقع اللغوى واللهجاتى العربى المتواصل ، فحتى فى زمن الجاهلية :أى قبل الإسلام وقبل أن توجد القبائل العربية كانت جميع لهجات القبائل مفهومة تماماً لدى جميع القبائل : زهير بن سلمى كان من قبيلة قيس ، وامرؤ القيس كان من قبيلة كندة وطرفة بن العبد كان من قبيلة ربيعة ومع ذلك كان شعر كل واحد من هؤلاء مفهوماً لدى جميع العرب ، وليس وقفاً على قبيلته فقط ، وفى حين أن فرنسى القرن العشرين لايستطيع أن يفهم فرنسية القرن الثامن عشر والسابع عشر دون الاستعانة

بالقواميس والمفاهيم اللغوية الخاصة ، وكذلك الأسبانى والإنجليزى والألمانى وغيره . بينما نجـد أن عربى القرن العشرين قادر وبطبيعة لامثيل لها لغوياً فى فهم لغة عرب العصر العباسى مثلاً والإسلامى وحتى الجاهلى السحيق نفسه ، وبدون أى صعوبات حقيقية .

ومما لاشك فيه أن كان للإسلام والقرآن الكريم بالتحديد الفضل الأساسى والتاريخى فى تكريس اللغة كبوتقة واحدة موحدة صهرت وجمعت تحت جناحها جميع ماكان ومابقى سائداً من لهجات عربية محلية ، قال تعالى : ﴿ **إنا أنزلناه قرآناً عربياً** ﴾ [يوسف : ٢] .

ولكن مع ذلك ومع أن القرآن الكريم نزل بلهجة معينة من قبائل العرب وهى قريش فقد كان مفهوماً من جميع القبائل ، ولم يكن هناك أية فروق لديها سوى فى التلاوات والقراءات الصوتية فقط .

أن الدور التاريخى الذى قام به القرآن الكريم لم يقتصر على تكريس فصحى مرجعية موحدة للعرب فحسب بل ساهم فى تذويب وإزالة بعض ماكان بين اللهجات العربية من اختلافات فى التركيبة والصوت واللفظة .

كان من الممكن إذا استمرت أن تؤدى فى الوقت نفسه إلى شرخ فى البنيان اللغوى المتماسك (أورنت برس) .

القضايا الكبرى المثارة حول القرآن

١ - إن هناك حقيقتين تاريخيتين يعتقد أنهما أمسكتا العالم الإنسانى أن ينهار ، والإسلام أن يزول من أية صدمة من الصدمات التى فرقته .

هاتان الحقيقتان إنما ترجعان فى واقع الأمر إلى بقاء القرآن نفسه بنجوة من كل التيارات سليماً لم يمسسه سوء فى نفوس المسلمين بما تثيره تلاوته من شعور سليم يحملهم على تصحيح المواقف التى كانت تدفعهم إليها الدسائس والحركات الهدامة دفعاً على اختلاف حظوظهم من تلاوة وفهمهم لما سيكون الحقيقة الأولى - تتجلى فى المظهر العقلى العام للمجتمع الإسلامى فى تلك العصور ، وقد كان دوام هذا المظهر سليماً إلى حد ما امتداداً لوراثة التوجيه القرآنى للمجتمع الأول وللسماحة التى اتصف بها .

أما الحقيقة الثانية فهى اتصال تاريخ الإصلاح والتجديد فى الإسلام فى مختلف عصوره [بهجت الأثرى] .

٢ – ذكر القرآن جميع الفرق والأديان السابقة للإسلام ، قال الله تعالى : ﴿ **ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً** ﴾ [النحل : ١٢٣] والحنفاء هم أتباع إبراهيم الخليل ، وهم قوم إبراهيم وقد بعث فيهم لينهاهم عن عبادة الكواكب والنجوم والأصنام ويأمرهم بعبادة الإله الواحد – وقد كان الصابئة فرقتين .. فرقة عبدة الكواكب وفرقة عبدة الأصنام .

٣ – قال تعالى : ﴿ **ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لاتسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهن** ﴾ [فصلت : ٣٧] . وكانت جماعة عبدت نجم الشعرى قال تعالى : ﴿ **وأنه هو رب الشعرى** ﴾ [النجم : ٤٩] ، وقبيلة سبأ الحميرية كانت تعبد الشمس قال تعالى على لسان الهدهد : ﴿ **وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله** ﴾ [النمل : ٢٤]

والوثنية : عبادة الأصنام .

قال تعالى : ﴿ **ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى** ﴾ [الزمر : ٣] .

قال سبحانه وتعالى عن عبدة الجن والملائكة : ﴿ **ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون * قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن** ﴾ [سبأ : ٤٠ ، ٤١] .

وبعضهم كان يزعم وجود نسب أو مصاهرة بين الجن وبين الله (جل وعلا) قال تعالى : ﴿ **وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً** ﴾ [الصافات : ١٥٨] .

وكانوا يعتقدون أن الملائكة إناث فهم يمثلون عندهم بنات الله ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ **أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثاً إنكم لتقولون قولاً عظيماً** ﴾ [الإسراء : ٤٠]

﴿ **وقالوا ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون** ﴾ [الجاثية : ٢٤] .

المجوسية :

﴿ **إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله على كل شىء شهيد** ﴾ [الحج : ١٧] .

القرآن يحدد موقف المسيحية :

﴿ وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فى ما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون * وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيراً من الناس لفاسقون ﴾

[المائدة : ٤٨ ، ٤٩]

٣ - رسم القرآن منهجاً متكاملاً فى هذا الصدد ووجه الرسول ﷺ إليه فحدد له بماذا يبدأ، وأى منكر ينكر ، وأى معروف يدعو لله إليه ، كما رسم له كيف يبنى صحابته ، وبماذا يملأ عقولهم وقلوبهم ، كما علمه بماذا يرد على مقولات المشركين ، ومتى يرد عليهم ، ومتى يسرُّ ومتى يعلن ، وما تحتاج إليه الدعوة الإسلامية فى سعيها إلى التغيير :

عقيدة وحقائق علمية ونفسية تبنى الفرد وتشريعات تبنى الجماعة وأوليات ترسم خطوات الدعوة .

٤ - القرآن جاء بثوابت الحلول للمشكلات الإنسانية وجعل منها ضوءاً كاشفاً يستنير به العقل السليم فى كل زمان ومكان ليضع الأطر الفكرية من هذه الثوابت التى تضمن للإنسان فاعليته فى الحياة وللمجتمع تقدمه ، ولذلك كانت القراءة الواعية المتبصرة للقرآن الكريم ضرورية لاستنباط أحكام المكان والزمان من أجل الربط المتواصل بين القرآن والإنسان فى كل العصور ، ولكن عندما أسيء فهم مسألة المنهج القرآنى فى التقدم الحضارى ، وقعت الأزمة وبدأ التخبط وأخذت النظريات الدخيلة تحتل الفراغ المتروك بإرادة أهله ، وبذلك حصل الانفصال الذى ولَّد ازدواجية شخصية بين المسلم الذى يتأثر بالقرآن أثناء ممارسة الشعائر التعبدية وينقلب إلى شخص آخر يخضع لتناقضات القواعد السلوكية والخلقية التى سادت الواقع ، هذه الازدواجية تركب المسلم فتعثر الخطى فلا تقوى على تحقيق التقدم ليأخذ موقعه الذى ارتضاه له رب العالمين .

ومن هنا لم يعد للآية القرآنية أثرها فى سلوك الفرد ماكان من فاعلية اجتماعية على عهد النبى ﷺ .

٥ – بالرجوع إلى كتاب الرسالة للإمام الشافعي ، ومقدمة تفسير الإمام الطبرى وكتاب التقريب للقاضى أبى بكر ابن الطيب ، وكتاب البرهان فى علوم القرآن للإمام الزركشى ، وإلى آراء بعض أئمة اللغة العربية كأبى عبيد وأبى الحسن بن فارس ، نجدهم جميعاً يتفقون على أنه ليس فى القرآن غير العربية ، لأن الله تبارك وتعالى جعله معجزة شاهدة لنبيه ﷺ ودلالة قاطعة لصدقه وليتحدى به العرب العرباء ويحاضر البلغاء والفصحاء والشعراء ومما قالوه : إن القرآن أنزل بلسان عربى مبين فمن زعم أن فيه غير العربية فقد أعظم القول ، على أنهم لايمنعون وجود أعلام أعجمية فى القرآن كنوح ولوط وإسرائيل كما يرى الطبرى أنه لايجوز أن يعتقد مسلم أن بعض القرآن فارسى أو نبطى أو رومى أو حبشى بعد ما أخبر الله تبارك وتعالى أنه جعله قرآناً عربياً ولو أن العرب العرباء الذين استمعوا إلى القرآن وجدوا فيه حرفاً واحداً من غير العربية لكان لهم حجة فى الطعن عليه وقالوا إن محمداً يخاطبنا بغير حروفنا أو بغير مانعرف من كلام ولكنهم افتقدوا هذه الحجة فلم يجدوا أمامهم إلا أن يتهموا القرآن بأنه سحر أو أساطير الأولين .

روى الشافعى : أنه ليس فى القرآن لفظ أعجمى : ولماذا لاتكون اللغات الأعجمية قد اقتبست هذه الألفاظ غير العربية أو أن العرب سبقوا القرآن إلى وضعها فى قوالب عربية .

[أحمد محمد جمال]

هذا لايمنع كون القرآن عربياً أن تكون هناك لفظة أو كلمة فيه معروفة وتستعمل عند أمة أخرى ومتداولة فى لغتها ، وتكون بذلك مشتركة بين العربية وبين غيرها من اللغات أو تكون تلك اللغات اقتبستها من اللغة العربية كما هو مشاهد فى لغة الفرس والهنود والترك من وجود ألفاظ غريبة فى لغتها أصبحت أصيلة فيها وشائعة .

٦ – آيات القرآن تؤكد أن الزمن فى الأرض والزمن فى أنحاء الكون ليسا سواء ، وأن هناك فرقاً شاسعاً بين الوحدة الزمنية والأرضية والوحدة الزمنية الكونية تبلغ تارة ٣٦٥ألف ضعف وتبلغ تارة أخرى ١٨ مليون بحساب القرآن الكريم نفسه .. قال تعالى : ﴿ **وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون** ﴾ [الحج : ٤٧] .

هذا اليوم الكونى قد يكون ثلاثمائة وخمساً وستين ألف يوم أخرى أو ثمانية عشر مليوناً ومائتين وخمسين ألفاً من أيامنا على الأرض .

٧ - يقول المستشرق المسلم محمد أسد (ليوبولد فايس) : يرجع بقاء المجتمع الإسلامى بعد الانهيار السياسى الذى استغرق أكثر من ألف عام إلى تعاليم القرآن الكريم فإن التماسك الاجتماعى فى العالم الإسلامى أرقى من أى شىء عرفه الناس عن طريق التنظيم الاجتماعى .

٨ - تعدد وجهات الخطاب القرآنى :

القرآن نص يأتى من اللازمان ليحكم الزمان ويرد من اللامكان ليحكم المكان ، ويأتى من خارج المجتمع ليحكم أسس وحركات المجتمع وإن تغيرت نظمه وأوضاعه ، فمن الناس من يؤكد على الجانب التعبدى أو الجانب الفكرى أو الجانب الاجتماعى ونحن نجد القرآن الكريم قد استجاب لكل هؤلاء وغيرهم ومد لهم حبال العون وأفسح فى العطاء والاستجابة لكل وجهة، فنجد آيات تشير إلى الإعجاز فى خلق الطبيعة ، وآيات تشير إلى البيان القرآنى ، وآيات تشير إلى الإعجاز فى تقرير الأحكام ، ونجد الخطاب القرآنى يتوجه إلى كل وجهة من وجهات البشر فى شئون العبادات والسياسة وغير ذلك .

والقرآن يخاطب كل هذه الوجهات لأنها فى الواقع وفى الحياة تتكامل لتكمل جوانب العقيدة بين الناس وتضع أسس التنظيم المترابطة وأسس بناء الإنسان فى جوانبه المختلفة .

٩ - إن القرآن الكريم كما أنزل (وسنة الرسول ﷺ) قد اشتملا منهجاً يعيد التأقلم الموضوعى لحركة الإنسان والكون والحياة تاريخياً وواقعاً ومستقبلاً ، وقدم تصوراً منهجياً كامل الأبعاد وأنصف القرآن بكونه معجزة خالدة تخرج عن حدود الزمان والمكان والجزئية والمحدودة تستجيب لحاجة الإنسان فى كل زمان ومكان .

والقرآن بهذا المنهج مع السنة النبوية التى تعيد التطبيق العملى للقرآن استطاع أن يوجد خير أمة أخرجت للناس فاحتلت مكانها واستحقت موقع الشهادة على الناس والوسطية بينهم واستمرت تتبوأ هذه المكانة عن جدارة واستحقاق فترة لا بأس بها من الزمن ثم بدأت تتراجع هذه المكانة مع بقاء الأصول كما هى (القرآن الكريم والسنة) محفوظة نقلت إلينا كما أنزلت [دكتور طه جابر العلوانى] .

١٠ - إن نزول القرآن على قلب النبى محمد ﷺ عن طريق الوحى برسالة الإسلام

يعنى أن البشرية لاتستطيع أن تهتدى إلى الحق بمعطياتها الخاصة (العقل والقلب) وأن الأمر يحتاج إلى نبى ووحى يعضد العقل ويؤكد حكمه فيما يستقل العقل بمعرفته ويرشد العقل ويهديه فيما لايستقل بمعرفته مثل المعاد والآخرة وعالم الغيب فيكشف عن وجوه الأشياء التى لايدرك العقل حسنها وقبيحها وهذا يعنى (ضرورة النبوة) .

ويقول ليوبولد فابس : إن عدم تقسيم القرآن للحياة الإنسانية إلى قسمين : روحى ومادى يجعل من الصعب على الذين نشأوا فى ظل ديانات أخرى تشدد عادة على عنصر خارق للطبيعة وتزعم أنه لابد أن يكون موجوداً فى كل تجربة دينية أصيلة أن يقدروا النظرية العقلية التى ينظر بها القرآن الكريم لجميع القضايا الدينية .

ومن هنا كانت دعوة القرآن إلى اعتناق الرأى نتيجة الاقتناع والتأمل دون إكراه حيث يرفض القرآن القول باللسان مالم يقتنع به القلب والوجدان ، وفى ذم التقليد يكشف القرآن عن منهج واحد يدعو إلى الاستقلال الفكرى ، قال سبحانه وتعالى :

﴿ مثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لايسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمى فهم لايعقلون ﴾ [البقرة : ١٧١] .

والمرء لايكون تام الشخصية فى نظر القرآن إلا إذا عقل مايؤمن به ، وعرفه معرفة مقنعة ، فمن يقبل عقيدة أو فكرة بغير اقتناع عقلى فهو مقلد » .

١١ – علم القرآن أهله أن يطالبوا الناس بالحجة لأنه أقامهم على سواء المحجة ، وجدير بصاحب اليقين أن يطالب خصمه به ويدعوه إليه وعلى ذلك درج سلف الأمة الصالح فقالوا بالدليل وطالبوا بالدليل ونهوا عن الأخذ بشىء من غير دليل ، وبذلك امتاز الإسلام عن سائر الأديان بإبطال التقليد وبالمطالبة بالبرهان والدليل وعلم الناس استقلال الفكر مع المشاورة فى الأمر .

كما دعا إلى إعمال العقل فيما يصلح الزمان ومحاربة التقليد الذى يؤدى بالمرء أن يكون شخصاً سلبياً فى الحياة يقوم علمه على ترديد آراء السابقين .

من هذا المنطلق فى إعمال النظر واستخدام المنهج العلمى فى البحث والاستنباط تشكل هذا المنهج الذى وضعه القرآن حين دعا إلى النظر فى الكون وتدبر آياته وعجائبه واستكناه سره وفهم نظامه ، وأن هذا الكون قد خلق له ، وبذلك كانت دعوة القرآن إلى

حرية الفكر وتكوين شخصية الفرد عن طريق استخدام عقله وفكره ، ومن هنا فالعقل والدين يلتقيان والعلم والدين متفقان ، وقد قام الإسلام فى مبدأه على توافق العقل والوحى فى الاقتناع والتأمل .

قال تعالى : ﴿ **لا إكراه فى الدين** ﴾ [البقرة : ٢٥٦] ؛ ولذلك فهو يرفض قولاً باللسان لم يقتنع به القلب والوجدان ، وبذلك كشف القرآن كما أبان عن أن الطبيعة الإنسانية فى مظهرها العام تتبع أسلوب « الاقتناع » أكثر مما تتبع قياس المنطق الأرسطى المستخدم فى البرهنة الكلامية ، والذى هو وقف على الخاصة دون العامة وأسلوب القرآن هو للكافة يجب أن يبقى فى حدود إفهام هذه الكثرة .

١٢ - صور الإمام السيوطى الفوارق بين منهج القرآن فى البرهان وبين الفلسفة فقال:

إن القرآن العظيم قد اشتمل على جميع أنواع البراهين والأدلة ، وما من برهان ودلالة إلا وكتاب الله قد نطق به ، لكن أورده على عادة العرب دون دقائق طرق المتكلمين ؛ لأن الذى يميل إلى دقيق المحاجة هو العاجز عن إقامة الحجة بالقليل من الكلام ، فإن من استطاع أن يفهم بالأوضح الذى يفهمه الكثيرون لم يلجأ إلى الأغمض الذى لايعرفه إلا الأقلون ، فأخرج تعالى مخاطباته فى محاجة خلقه من أجلى صورة لتفهم العامة من جليها مايقنعهم ويلزمهم الحجة وتفهم الخواص من بنائها مايربى على ماأدركه فهم العامة وليس الغرض من الأدلة القرآنية المجادلة بل الغرض منها تحصيل العقائد الحقة فى القلوب ، فأصبح من اليسير إذن أن نرى فى القراءات أدلة إقناعية سهلة قريبة الفهم فطرية الإدراك ، وهذا النوع من الفهم والضرب من الإدراك تؤديه الأدلة الخطابية .

١٣ - كان عمل القرآن الأكبر هو صهر المسلمين فى « وحدة الفكر » وقضاء على التفرقة والاختلاف والتمزق بين العناصر فقد أذهب العصبية وأحل محلها مكارم الخصال ثم وجه النفوس إلى العلم باكتناه الطبيعة والكشف عنها كما دعا إلى التجربة والبرهان والدليل ونشر اللغة العربية ودفعها إلى الآفاق وجعلها لغة السياسة ولغة العلم ولغة المجتمع .

وكانت حياة الرسول ﷺ هى التطبيق العملى للقرآن ، وقد بنى القرآن الأخلاق على فضيلة التقوى ، وبنى التشريع على قاعدة المصلحة وبنى العقيدة على أساس التوحيد ، ورد القرآن مظاهر التقوى إلى ثلاثة أشياء :

الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، والإيمان بالله .

كما غير القرآن المعالم الحضارية والمفاهيم الفكرية وجعل العمل أساساً لتقييم الإنسان ، وربط الجزاء بالعمل ووضع مبادئ أساسية ذات أهمية عالمية توجه تطور المجتمع الإنسانى على أساس روحى استهدف من ذلك كله تحقيق سعادة الإنسان وأقام القرآن الثوابت الثلاث :

١ - العقيدة فى الله تبارك وتعالى فى وجوده ووحدانيته وغير ذلك من الصفات الواجبة له .

٢ - والعقيدة فى اليوم الآخر أى من أن هناك حياة ثانية تكون بعد البعث .

٣ - والعقيدة فى العمل كقيمة أساسية فيه يكون الثواب والعقاب ، ولقد كان القرآن كتاب تحرير للعقل البشرى من قيود الوثنية وكتاب تحرير للإنسان من ربقة عبودية أخيه الإنسان بالقضاء على التبعية والرق والعبودية ومن هنا كان صلاحية القرآن لكل زمان ومكان .

١٤ - القرآن واللغة العربية إنه لابقاء لدين ولا بقاء لشريعة ولا بقاء للغة إلا ببقاء الأمة التى نزل فى لغتها هذا الكتاب الخالد وشرع فى لغتها هذا الدين العالمى فقد اندثرت أمم فاندثرت أديان قد يسبق اندثار الأمة اندثار الدين .

وقد تندثر أمة ، وقد تطوى فى سجل التاريخ ومن سجل العالم فيأتى دور الدين الذى كانت تدين به ، وقد يندثر دين ؛ لأنه قد أدى رسالته وفقد صلاحيته ثم تندثر هذه الأمة التى كانت تدين به .

أما القرآن فإنه مضمون البقاء مضمون الخلود مكفول القراءة مكفول التلاوة مكفول الفهم كما قال الله تعالى : ﴿ **إن علينا جمعه وقرآنه** ﴾ [القيامة : ١٧] .

وقد تحقق أن هذه الأمة العربية كانت ولا تزال بإذن الله مكفولة البقاء مكفولة الحياة فإنه لافائدة من بقاء هذا الكتاب إذا ضاعت اللغة وإذا ضاع أهلها فمن يفهمه ومن يفسره ومن يعرف مبادئه ، ومضموناته ومكنوناته ، إن هذه الأمة تبقى مهما توالت النكبات وتتابعت الأزمات صاحبة الرسالة الإسلامية وصاحبة النبوة الأخيرة وصاحبة الكتاب الآخر [أبو الحسن الندوى] .

١٥ - يعتبر بعض الباحثين تلك الإشارات التى ترد فى القرآن الكريم لله تبارك وتعالى وأحياناً فى جملة واحدة حيث يشار لاسم الجلالة .

(هو ، الله ، نحن ، إنا) وما يقابل ذلك يغير فى الضمائر من الهاء فى مغفرته إلى الياء فى (جنتى) أو التغيير من (إليه) إلى (الدنيا) أو (إنى) وواضح من هذه الأمثلة التى يضربونها أنهم يجهلون أن هذه التغييرات ليست عفوية وأنها ليست أيضاً مما يمكن أن نسمية بلاغة شعرية ولكنها مقصودة لذاتها ، إنها أسلوب لغوى يقصد به توكيد حقيقة هامة وهى أن الله سبحانه وتعالى ليس (ذاتًا بشرية) وبالتالى لايمكن أن تحيط به الضمائر والأسماء ، إنها أسلوب للإثارة للكائنات المحدودة الفانية [محمد أسد - ليوبولد فابس ترجمة القرآن] .

١٦ - من المحتمل أن يكون من بين الأسباب الرئيسية لعدم توفر القدر الكافى للقرآن الكريم فى الغرب ، تلك الصفة التى تميز القرآن جذرياً عن سائر الكتب المقدسة : هذه الصفة هى تركيزه على أهمية العقل باعتباره الطريق الوحيدة التى تفضى إلى الإيمان ، وكذلك إصراره على ترابط المجالات الروحية والمادية والاجتماعية للنشاط الإنسانى ، أى ارتباط عمل الإنسان اليومى وسلوكه الدنيوى بحياته الروحية ومصيره .

وهكذا فإن عدم تقسيم القرآن للحياة الإنسانية إلى قسمين (روحى) و (مادى) تجعل من الصعب على الذين نشأوا فى ظل ديانات أخرى تشدد عادة على عنصر خارق للطبيعة وتزعم أنه لابد وأن يكون موجوداً فى كل تجربة دينية أصيلة أن يقدروا النظرة العقلية التى ينظر بها القرآن الكريم لجميع القضايا الدينية وبناء على ذلك فإن تداخل التعاليم الروحية مع التشريعات العملية للحياة فى القرآن يحير العقل الغربى الذى اعتاد على قرن التجربة الدينية بنشوة الانفعال الوجدانى إزاء الأشياء الخفية المستترة بعيداً عن إدراك الحس والعقل لهذا تتولاه الحيرة حين يجد نفسه فجأة فى مواجهة المفهوم القرآنى الذى يتولى مهمة الدليل ليس فقط للسعادة الروحية فى الآخرة ، ولكن للسعادة فى الحياة الدنيا بكل مجالاتها المادية والروحية والاجتماعية .

١٧ - إن اللغة العربية هى مفتاح دراسة الكتب المقدسة وقد أدرك ذلك رجال الدين اليهود مدى أهمية العربية فى فهم عبرية العهد القديم (التوراة) .

فاللغة العربية هى أصل اللغات الأوربية والهندية والتفسير العلمى لحروف أوائل السور فى القرآن الكريم توضح أن الله تبارك وتعالى صان العربية من الاندثار بعكس اللغات الأخرى التى يحفظ أصلها الرموز الصوفية التى تثرى العربية وحدها كما فقدت الكثير على مستوى الحروب .

فاللغة العربية هى أم كل اللغات ، حيث تمثل عنصراً هاماً فى استراتيجية الدفاع عن العالم الإسلامى ، وفى قاموس لسان العرب وحده أكثر من ١٢٠ ألف مادة .

وقد تقدمت اللغة العربية من ١٩٦٠ - ١٩٧٠ من ٧٦ مليون إلى ١٠٣ مليون يتعلمونها .. هذا فضلاً عن إنها لغة الثقافة لألف مليون مسلم .

وتؤكد كل الأبحاث عن أن اللغة العربية هى أقدم لغة حية تعيش حتى اليوم دون انقطاع عن جذورها وأصولها وقواعدها ، وعلى الرغم من تطورها تتناول مفرداتها العلمية وقاية من أساليبها فإنها هى اللغة التى تكلم بها امرؤ القيس والأعشى والمتنبى كما نتكلم بها .

- وقد أوجد القرآن الكريم للعرب فصحى مرجعية وأزال فروقات اللهجات القبلية حيث كان للإسلام والقرآن الكريم بالتحديد الفضل الأساسى والتاريخى فى تكريس اللغة كبوتقة واحدة موحدة صهرت وجمعت تحت جناحها جميع ما كان وما بقى سائداً من لهجات عربية محلية ، قال تعالى : ﴿ **انا أنزلناه قرآناً عربياً** ﴾ [يوسف : ٢] ، ولكن مع ذلك ومع أن القرآن الكريم نزل بلهجة معينة من قبائل العرب هى قريش فقد كان مفهوماً فى جميع القبائل ، ولم تكن هناك أية فروق لديها سوى فى التلاوات والقراءات الصوتية فقط .

قال عبد الله الخزعلى : إن الدور الذى قام به القرآن الكريم لم يقتصر على تكريس فصحى مرجعية موحدة للعرب فحسب بل ساهم فى تدريب وإزالة بعض ما كان بين اللهجات العربية من اختلافات فى التركيبة الصوتية واللفظية .

إن دور القبائل العربية فى التأثير الهجائى على بنية الفصحى العربية قد توقف وزال مع ظهور الإسلام ورسوخ لغة القرآن - أو بعد فترة وجيزة لا تتجاوز العصر الإسلامى الأول .

اللغة العربية والمسرح :

- أبرز مظاهر الفن القصصى الغربى (المسرح والقصة) الذى يراد نقله إلى اللغة العربية ، ويرى الباحثون وفى مقدمتهم الدكتور (محمد كاظم الظواهرى) ، أن الإنتاج المسرحى فى جملته صور شائهة لاتصل إلى مستوى الأدب العربى فى قصته ، ولا فى أصالته بالنسبة لأهله ولايمثل مفاهيم أمتنا العربية الإسلامية ، ولما كان للمسرح سحر وسلطان فقد حرص الغربيون على طمس هذه الحقيقة بإيهام أن الفن شىء والفكر

والأخلاق شيء آخر . وقد ردد هذا كثير من أدبائنا ، وهذا من أخطر المفاهيم المستوردة فكان تأثيره على الأخلاق والقيم والمثل كيلا تنفذ من خلاله إلى المسرح مع فتح الباب على الأدب المكشوف وكل ما يتناقض مع القيم والمفاهيم الإسلامية مما يعرضه ويزخر به فن المسرح .

إن هناك هذا الفصل التعسفي بين الفن من ناحية وبين الدين والأخلاق ، فالأدب المسرحي الغربي الذي تأثر به كتابنا مبني على فقدان الثقة بالخالق عز وجل وعلى عدم الإيمان بجدوى الوجود والحياة ، وعدم الإيمان بمعقولية العقل ومنطق الفكر ، وأنه يزخر بروح تشاؤمية مفرطة نتيجة عدم الإيمان .

ويرى الباحث أن النص المسرحي في مصر ينكر شخصية مجتمعه ومعتقداته وأخلاقه وذوقه وفنه والدافع الأول والرئيسي للدعوة العامة هي الحقد على الإسلام والقرآن الكريم وأن المرض الذي دفع إليها وأغرى يبذل الجهد في سبيل نشرها هم ورثة الصليبية من المبشرين . إما من النصارى أو من اليهود أو من المخدوعين بحضارة أوربا وبهرجها ، وزين لهم سوء أعمالهم وأول من تولوا كبر هذه الدعوة إلى العامية كانوا من المهتمين بالمسرح .

إن المسرح منذ وجد في بلادنا ومايزال هو المجال الرحب الواسع الصدر لهذه الدعوة وقد بدأ المسرح محتضناً لكل دعوة هدامة .

وهناك قوى أربع تقود الصراع لنصرة العامية على الفصحى في سائر المجالات وخاصة المسرح :

١ – أعداء للإسلام من المستعمرين وعملائهم .

٢ – حركة التمصير باسم الفرعونية

٣ – حركة التمصير باسم الوطنية .

٤ – الهازلون .

ولم تقف ساعة هذا الصراع بين أنصار الفصحى أمثال أفراد من رجال الفكر والأدب « محمد عبده – علي يوسف – حافظ إبراهيم – الرافعي » .

وهؤلاء لم يكونوا على علم بأسلحة أعدائهم وأولها المسرح ، لم يكونوا على علم

بأهدافه ، وأنها كانت دائرة بعيدة المساحة عن التى تصوروها ، ولهذا سرى هذا الداء فى التأليف المسرحى .

أصبح الشغل الشاغل لمؤلفى المسرح – من أتباع هذه الدعوة – تحقيق غاية كبرى وأمل منشود وهو محاولة مد العامية بتراث مكتوب ودعامة تكون عموداً فقرياً لها .

ذلك أن اللغة العربية تمثل فى كيان أمتنا الإسلامية مهام شخصيتها لا إدارة حوار فقط كما فى الأمم الأخرى ، ولقد فطن الأعداء إلى هذا فحاربوا الإسلام فى شخصها ، وقد شهد القرن ١٤ تأجج نيران الحقد على الإسلام بهذا الأسلوب الخبيث قام به عدد من المستشرقين والشيوعيين ومنهم لويس عوض وسلامة موسى .

أما كتاب **لويس عوض** فقد طعن فى اللغة ودعا إلى تجديد الدعوة إلى نبذ اللغة العربية واستبدال لغة أوربية بها ، حروفها لاتينية أو على الأقل إحلال العاميات العربية محلها لتفتيت وحدة العرب وحبسهم عن تراثهم ، وتفريق المسلمين أشتاتاً ، فقصة الفصحى والعامية هى قصة إسلامية فى المقام الأول .

وكان النص المسرحى هو المجال الأرحب لتزويد العامية بأغزر تراث مكتوب ، لم يكن يحلم به وكتاب المسرح لهم دوافع قد نتفق معهم أو نختلف فى تفضيلهم الكتابة بالعامية ، وقد رد عليهم العامة بزاد طيب من القفشات والنكات والبوريات التى لها فى ذهن السامع حلقة تزيد من جرعة الإضحاك المبتغاة ولو على حساب القيمة الدينية والفن .

وهناك جماعة من الماركسيين الذين يتخذون العامية ستاراً للغة الشعب والطبقة العاملة ، وهؤلاء جميعاً يدعون إلى أن العامية تستطيع أن تقوم بمتطلبات الفن وشئون الحياة وأنها لغة شاعرة .. أ . هـ

ويقول باحث مسلم : لقد استطاع الغرب أن يفرض علينا تراثه الأدبى ونجح فى إقناع الأمم المبهورة بعالمية هذا التراث ، ووضع نصب أعيننا نماذج من كبار كتابه عبر التاريخ ، أن عالمية هذه الآداب والنماذج حكم قضى به غيرنا وسلمنا به ، وأن هذه الآداب لاتخلو من مآخذ يؤخذ عليها أمور تختلف عما ألفناه من عادات وتقاليد وحسن جمال وفن لاتخلو من لمحات كثيرة تسيء إلينا ، إن هذه النماذج مهما كانت جودتها فإنها نماذج تملك فى تراثنا الأدبى مما هو أعظم منها .

الأدب المسرحى والالتزام :

إن القضية هى فقدان التصور الإسلامى لمعنى الفن ووظيفته فى هذه الحياة وعلى المسلم أن يعى خصائص التصور الإسلامى لكل شىء ومقوماته ثم يطبقها على الفن وفى يسر متناه يجد نفسه وقد خرج من هذا التيه منها بالحقيقة المطلقة التى عناها هوجو بقوله :

« ليس المسرح بعد الواقع ولكنه بعد الحقيقة » الحقيقة التى لم يستطع بشر أن يتوصل إليها بمعزل عن الوحى الإلهى .

لقد بذل الإنسان أقصى جهد يتم بعد مجهوده أن يكون تخرصات تخطئ أكثر مما تصيب ، فكان من نتاجها المذاهب المادية فى العلم كنظرية دارون ، وفى الفلسفة « نيتشة » ، وكانت فى المجتمع والتاريخ والاقتصاد كنظرية ماركس ووجودية سارتر ، وفى النفس كنظرية فرويد ولكن أحداً لم يستطع أن يتوصل إلى الحقيقة الكاملة كما صنع الإسلام إذ حشر للناس لغز الحياة المميز وعرفهم الغاية من خلقهم ، وهى عبادة الله تبارك وتعالى بمعناه الواسع الشامل الذى يشمل الحياة كلها فى إطار من الصلاح والإصلاح والسعى إلى مرضاة الله سبحانه وتبارك وتعالى : ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** ﴾ [الذاريات : ٥٦] .





الباب السابع

الإسلام والفكر اليهودى الصهيونى

تبدأ القضية المثارة والخطيرة من نقطة واحدة أساسية :

هى تذويب الفكر الوثنى المادى الغربى فى الفكر الإسلامى عن طريق عدة أساليب ومحاولات يتقدمها الاستشراق والغزو الثقافى بنقل الفلسفة الوثنية اليونانية والمادية إلى أفق الإسلام ، حيث تقدم الفكر الباطنى والماركسى والليبرالى ، ويجرى تدمير الثوابت والقيم من خلال القوى الثلاث : « التاريخ ، واللغة العربية ، والتراث » .

فقد ركزت القوى الزاحفة على قيم الإسلام لهدمها وتدميرها وإحلال مفاهيم الغرب والفلسفة المادية ، وإعلاء شأن الفكر اليونانى ونقله إلى العقل الإسلامى لتزاحم القيم الإسلامية القرآنية وتضاربها فى محاولة لتثبيت الضلال والإلحاد والإباحيات ، وإدخال هذه السموم إلى الفكر الإسلامى فى محاولة لإحلاله محل القيم الإسلامية القرآنية وفى مقدمتها الأساس الثابت الراسخ : الذى هو التوحيد الخالص والإيمان بالله تبارك وتعالى وحده خالقاً ورازقاً ، ومنه تبدأ الأشياء وإليه تنتهى ، من خلال منهج يسير نقى واسع الأفق مرن ، أهم عناصره الوسطية التى تحمى المسلم من الانهيار أو التمزق أو التحول .

وقد جاءت محاولة اختراق الإسلام من عدة طرق ومنافذ :

١ – من خلال الاستشراق ومفاهيمه المسمومة .

٢ – من خلال الفلسفة المادية اليونانية القديمة وإعادة نشرها وفرضها على الدراسات الجامعية وجعل لغتها ومفاهيمها أسساً لايمكن تجاوزها .

٣ – من خلال نشر الإسرائيليات القديمة التى حاولت أن تصطدم بقيم الإسلام منذ اليوم الأول لنزول رسالة الحق .

٤ – من خلال إنشاء الجامعات والمعاهد الثقافية المرتبطة باللغتين الإنجليزية والفرنسية من خلال استعمار بريطانيا وفرنسا للوطن الإسلامى .

٥ – من خلال حجب الشريعة الإسلامية والقوانين الصادرة منها وراء القانون الوضعى .

٦ - من خلال طبع أكثر من ستة آلاف كتاب عن الفكر الإسلامى تحمل سموم التغريب .

وكان من أخطر أعمالها دائرة المعارف الإسلامية وما تحمله من أخطاء وسموم .

ولقد ركزت دعوة التغريب والغزو الثقافى على إحلال قيم جديدة على قيم الإسلام بعد أربعة عشر قرناً فى مقدمتها إحياء الوثنيات الفرعونية والفينيقية والآشورية والبابلية فى إحلال هذه السموم المضللة بديلاً من النور الربانى الأصيل فى القرآن والإسلام .

تلك هى الدعوى المضللة التى عاشت تلك السنوات لتموت ، والتى كانت من آن لآخر تعود لتبحث عن غلمان الاستشراق والتغريب الذين يعطون دائماً منبراً واسعاً وحافلاً يغرى به بعض السذج والأغرار .

ويمضى ركب الغزو فى عدة جوانب : من الداخل فى القاديانية والبهائية ، ومن الخارج من الماركسية والعلمانية .

وعن طريق الاستشراق بدأت البعثية إلى الغرب فى نفس الوقت الذى انتشر فيه خريجو جامعة بيروت التى خرّجت « مكاريوس وصروف وفارس نمر » دعاة الماسونية وأول من كتب عنها بالعربية ، وتقاسمت الماسونية رجالها من أتباع فرنسا وأتباع انجلترا فى صحافة ، والت الفرنسيين كالأهرام أو البريطانيين مثل المقطم ، فى محاولة لإثبات أن نهضة العالم العربى صدرت عن نصارى لبنان والبعثات التبشيرية حاملة لواءها .

(وكان الهلال - جرجى زيدان - والمقتطف - صروف) فى مقدمة حملة لواء الاستشراق والماسونية .

وكان كل ذلك يمهد للصهيونية من كلٍ من المبشرين البروتستانت والكاثوليك .

وفى الجامعة بدأ **لطفى السيد** يعمل فى كلية الآداب (جامعة القاهرة) بإحياء أرسطو حيث بدأت الإسرائيليات فى الأدب والفكر الإسلامى والتركيز على ماركس نوردو ، والاهتمام بإسرائيل ولفنسون وأطروحته عن اليهود فى الشرق الإسلامى ، وجاء بعد ذلك الاهتمام بالبهائية ، ثم إحياء مذاهب الزنج والقرامطة حيث كان طه حسين يقول عنهم إنهم دعاة العدل .

ومن خلال إيماءات كثيرة تظهر المخططات الصهيونية الماكرة والأيديولوجية التلمودية التى كانت تنطلق فى ذلك الوقت من خلال الإعلام : أمثال طه حسين ، ومحمود عزمى الذين كانوا يعملون على تقديم أعلام الماركسية والعلمانية أميل دور كايم ، أستاذ طه حسين ومحمود عزمى وليفى بريل أساتذة زكى مبارك ومنصور فهمى ، أما الذين سافروا إلى أوربا فكانت لهم توصية إلى كازانوفا ولويس ماسينيون وجولدسيهر .

وكان على ألسنة هؤلاء وكتاباتهم كلمة واحدة هى الفكر الإغريقى ، وكانت فى هذا الوقت علامات أخرى :

١ - تكريم أبى نواس وإعلاء شأنه (عدد الهلال ١٩٣٦) أطروحات عن المأمون والغزالى وابن خلدون وعمرو بن العاص رضى الله عنه ، وهناك طابع مفهوم اليهودية والتلمودية والصهيونية واضح منذ وقت مبكر ، وكان أبرز ذلك مسألة اليهود وأثرهم فى جزيرة العرب بقلم يهودى من تلاميذ طه حسين .

وبالرغم من اتساع نطاق تلاميذ طه حسين فقد أكد قادة التبشير الغربى بأن الإسلام لايسقط بقول :

لا أعتقد أبداً أن الدين الإسلامى يسقط أمام النصرانية لأن المسلم محتاط أشد الاحتياط لمقاومة النفوذ النصرانى فهو يعرف النصرانية ، وهى ليست عنده شيئاً جديداً غير مألوف ، وهو يرى أن النصرانية شيئاً مضى ، ويرى أن اعتناقها يمثل خطوة إلى الوراء (كما يقول ذلك الدكتور ستوك هرجرنج) .

ويقول : لايمكن أن يقع انحطاط تدريجى فى الإسلام لأنه توجد بواعث خارجية تمنعه ، فالإسلام قوى لم يضعف لاسيما فى القرن الماضى ، وقلت فيه الانشقاقات الداخلية ورد على ذلك : أن الإسلام يربح أكثر من النصرانية تابعين له من الوثنيين ، فالذى يصير مسلماً لايطلب منه شىء كثير ، إذ لايوجد تقديس ولا طقس دينى ولا تعليم طويل فكل مايطلب منه أن يعترف بالله أنه كل القوة ، ومن ثم يتدرج إلى تعلم الفرائض الإسلامية ، وعندما يصير مسلماً يتغير مركزه الاجتماعى ، ولكن إذا تنصر فإنه يبقى دون غيره ويظل المرسل الدينى غريباً معلماً متنحياً عنه .

ولقد ظهرت روح العبرية فى آراء كثير من الكُتاب العرب وخاصة ماكتبه طه حسين

عن القرآن المدنى والقرآن المكى ، وآراء زكى مبارك عن العرب قبل الإسلام .

ولقد كان حديث طه حسين فى كتابه الأدب الجاهلى عن إنكار وجود إبراهيم وإسماعيل فى الجزيرة العربية من أهم هذه الإشارات حيث يقول : « وللتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل وللقرآن أن يحدثنا عنهما أيضاً ، ولكن ورود هذين الإسمين فى التوراة والقرآن لايكفى لإثبات وجودهما التاريخى فضلاً عن إثبات هذه القصة التى تحدثنا بهجرة إسماعيل بن إبراهيم إلى مكة ونشأة العرب المستعربة فيها » .

ويقول : « ونحن مضطرون إلى أن نرى فى هذه القصة نوعاً من الحيلة فى إثبات الصلة بين اليهود والعرب من جهة وبين الإسلام واليهودية والقرآن والتوراة من جهة أخرى ، وأقدم عصر يمكن أن يكون قد نشأت فيه هذه الفكرة إنما هو هذا العصر الذى أخذ اليهود يستوطنون فيه شمال البلاد العربية ويبنون فيه المستعمرات » .

وكان لقدوم إسرائيل ولفنسون إلى مصر والتحاقه بالجامعة وقيامه بإعداد أطروحتة عن (اليهود فى جزيرة العرب) وقيامه أيضاً بنشر كتاب (أنساب الأشراف) وتولى المعهد الشرقى بالجامعة العبرية بالقدس إصداره (المقدمة وضعت بالعبرية والترجمة بالإنجليزية) .

وقد حفلت الصحف وفى مقدمتها (الأهرام والمقطم) بأحاديث عما يسميه اليهود (الجامعة السامية) صحف ٥ / ١ / ١٩٣١ تحت عنوان (فكرة يطرحها صاحبها على بساط البحث ، ويدعو الشعوب السامية إلى دراستها وتمحيصها) وهذه الفكرة هى الصهيونية التى كانت تنكشف قليلاً قليلاً والتى تحاول أن يقول إنها وحدة بين العرب واليهود (الوحدة بين الساميين) .

كما ظهر فى هذه الفترة مايسمى إنشاء الجامعة العبرية .

كما جرى فى نفس الوقت الدعوة إلى البهائية ونشر الفصول الضافية عنها فى الهلال والمجلات الأخرى .

كما تحدث البعض عن زيارة المركز البهائى فى جبل الكرمل لزيارة ضريح قطب الدائرة البهائية عباس عبد البهاء .

كذلك فقد جرى الاحتفال بذكرى موسى بن ميمون فى الأوبرا الملكية فى القاهرة .

كما قدم اليهودى إيزال شموس بحوثاً فى السياسة الأسبوعية وأثر السلطان عبد الحميد

كما بدأت الحملة على السلطان عبد الحميد فى صحف يعقوب صروف وفارس نمر ومكاريوس وخليل ثابت وسليم سركيس وجرجى زيدان وشبلى شميل . وهم طليعة عاصفة التغريب .

كما نشرت دراسات عن إحياء اللغة العبرية (هلال فارحى وإسرائيل ولفنسون) .

ومن خلال ذلك ظهر الطابع التوراتى فى الأدب العربى من خلال كتابات جبران خليل جبران وإيليا أبو ماضى وميخائيل نعيمة .

وجاء الاهتمام فى الصحافة بشخصية (ماكس نوردو) على أنه من كُتاب الأدب ، ولكن الواقع أن الاهتمام تركز عليه لأنه خليفة هرتزل ، وقد ظهر ذلك فى كتابات العقاد والمازنى وإسماعيل مظهر .

وفتح (العصور) أبواب صفحاته لعمر عنايت حين كتب عن فابس المدينة اليهودية المستقبلة حيث يقول :

وإنك إذا بحثت عن أى حركة هدامة أو مجددة فى الوقت الحاضر تجد أن محورها الدعاية اليهودية الأمر الذى يمكننا مشاهدته فى موقعين :

الأول فى روسيا ، والثانى فى فلسطين .

ففى روسيا نجد الدعوة تزكيها الدعوة اليهودية التى تجد المجال فسيحاً لمهاجمة المسيحية ، أما فى فلسطين فسياسة اليهود تختلف فيها عما هو فى أرض البلشفية .

فاليهود يريدون أن يشيدوا فى فلسطين نقطة ارتكاز يوجهون منها جهودهم حيث شاءوا حيث يجدون ذلك (العصور فبراير ١٩٢٦) فإذا جئت إلى صحيفة الجامعة المصرية ١٩٢٤ (يصدرها عبد الكريم السكرى) تجدها تكتب عن مملكة يهوذا بقلم إسرائيل ولفنسون ؛ وذلك بعد أن ألقى محاضرة عن تأثير اليهود فى الأدب العربى (ألف ليلة وليلة) وقد حضر افتتاح الجامعة العبرية أستاذ الجيل : لطفى السيد !

وقد ظهرت فى هذه المرحلة أسماء كُتَّاب اليهود أمثال هلال فارحى وإيزاك شموس وإسرائيل ولفنسون فى حضانة الدكتور طه حسين .



الاستشراق والبروتوكولات

فرض اليهود أنفسهم على حركة الاستشراق لتحقيق أهدافهم فى النيل من الإسلام وإضعافه والتشكيك فى قيمه لأسباب سياسية ومن ذلك كان :

١ - محاولة احتضان الاستشراق والسيطرة عليه وتقديم تصور غير صحيح أن فلسطين كانت يهودية قبل الإسلام وتشويه الفتح الإسلامى .

٢ - تشويه التاريخ الإسلامى وتقديم تصور غير صحيح عن مفهوم الاقتصاد الإسلامى على النحو الذى كتبه (ردنسون) فى كتابه (الإسلام والرأسمالية) والذى يرمى إلى رفع العنصر اليهودى على حساب العرب والتشكيك فى صلاحية الاقتصاد الإسلامى .

٣ - قدم المستشرق اليهودى مرجليوث عملين خطيرين :

- انتحال الشعر للقضاء على مصدر هام من تفسير القرآن وفهمه .

- دعواه بأن الخلافة ليست من الإسلام .

٤ - أما بروكلمان فإنه يحجب الحقائق فلا يشير إلى دور اليهود فى تأليب الأحزاب على المدينة (معركة الخندق) ولا على نقض قريظة عهدها مع الرسول ﷺ فى أشد ساعات الأزمة ولكنه يقول : « ثم هاجم المسلمون بنى قريظة الذين كان سلوكهم غامضاً على كل حال .

٥ - يتغاضى إسرائيل ولفنسون عن حادثة نعيم بن مسعود رضى الله عنه فى معركة الخندق كسبب فى انعدام الثقة بين المشركين واليهود ، ولعله يريد أن يوحى بأن اليهود لم يخدعوا المسلمين .

وما تزال خطة تزييف تاريخ الإسلام والعرب لحساب القوى المتسلطة (الصهيونية والشيوعية والغرب) من الأعمال الضخمة التى قام بها الاستشراق الغربى : المسيحى واليهودى ، فاليهودى (جولدسيهر) هو الذى قدم فرية الاقتباس من الفقه الرومانى ، وهو اتهام باطل برئ منه الإسلام ، وكان يقصد به الغض من شأن الشريعة الإسلامية ، واليهودى (مرجليوث) هو الذى كتب (الإسلام وأصول الحكم) الذى قدم باسم

الشيخ على عبد الرازق ، وذلك لهدم الخلافة الإسلامية .

ولقد كانت الخدعة الكبرى هى فرض (مفاهيم التوراة) المكتوبة بأقلام الحاخامات وفى مقدمة ذلك فكرة السامية التى وضعها باحث يهودى لتحل بديلاً عن الحنيفية الإبراهيمية التى استمدت مفهومها من الدين المنزل ، ثم دعاوى أخرى تحاول أن تخضع تراث إبراهيم عليه السلام كله لأبناء إسحق دون أبناء إسماعيل .

وقد تبين أن علماء أوربا دونوا تاريخ الشرق القديم فى ضوء التوراة قبل انتشار البعثات التبشيرية وتحليل نتائجها العلمية ، وكانوا غالباً يستفيدون من نصوص التوراة بالرغم مما فى هذه النصوص من تناقضات واضحة .

وقد أكدت هذه التناقضات بعد ظهور الكشوف الأثرية فى مناطق كثيرة أن هناك هوة واسعة بين الحقيقة التاريخية وبين ماتخيله الذين عملوا فى نقل التوراة وتحوير نصوصها لغايات أساسية كان القصد الرئيسى منها هو الحط من مكانة الشعوب المعادية لإسرائيل وتزوير الأحداث لصالح اليهود والغض من شأن العرب والمسلمين .

وبالرغم من الأبحاث الضافية التى كشفت عن مصادر (التوراة) الموجودة الآن وأنها من كتابات الحاخامات فى إبان النفى البابلى فإن هناك من لايزال يدافع عنها .

يقول الدكتور أحمد سوسة فى موسوعته الضخمة عن تاريخ العرب قبل الإسلام :

« إن من أهم الأكاذيب العلمية التى أوضحتها الاكتشافات توصل الخبراء إلى أن الكثير مما أوردته التوراة من قصص وأساطير وشرائع يرجع إلى أصل قديم وجد مثاله أو مايشابهه فى المدونات الأثرية ، وأن شرائع التوراة نفسها هى نفس الشرائع التى كان يمارسها الكنعانيون والبابليون من قبل وقد اقتبسها اليهود منهم ومارسوها ثم أدخلوها فى كتبهم المقدسة .

والمعروف أن التوراة الحالية كتبها اليهود فى القرن السادس قبل الميلاد أى بعد عهد موسى بثمانية قرون .

ويقول الدكتور أحمد سوسة : إن بين شريعة التوراة وشريعة حمورابى تشابهاً إن لم يكن تماثلاً فى ثمانى فقرات من تشريع المعاملات وفى التزوج بأكثر من واحدة مع إضافات من مدونات كنعانية جاء فى التوراة ما يماثلها .

ولم يتوقف اليهود عند إحياء الإسرائيليات القديمة ، ولكنهم عمدوا إلى تقديم إسرائيليات جديدة كان فى مقدمتها الماركسية والفرويدية والوجودية .

فقد عمد اليهود إلى أن حملوا كل الفلسفات الهدامة القديمة إلى العصر الحديث وابتعثوها وفق منهج مركز لهدم مقومات الأمم الدينية والأخلاقية ، وقد حملوا النظريات ونقيضها .. وكان من أخطر أعمالهم أن أحيوا سموم الفلسفات القديمة ، فقد أحيا سبينوزا فلسفة وحدة الوجود بهدف هدم الألوهية كما يهدمها الإلحاد ، وكانت الصهيونية مرحلة تالية للماسونية من ناحية الانكشاف كما حملت لواء الثيوصوفية والبهائية لدعاة الوحدة البشرية والروحية .

وقد أجمعت النظريات الفكرية اليهودية أساساً (الغربية مصدراً) دارون ، ماركس ، فرويد ، دوركايم ، سارتر ، لورنس على أن الإنسان حيوان ابن المصادفة ، وأنه لاغاية لوجوده ولاهدف ؛ ولذلك فلا معنى للحياة الإنسانية ولا المثل العليا الإنسانية ، وحاولوا إقناع الملاحدة بأن الحياة تخبط خبط عشوائى فى تصورها بما فى ذلك الإنسان ، فالحياة باطل ليس فيها إلا المتاع والجنس .

أما الإنسان فى قيم الإسلام فليس حيواناً ، وإنما هو خلق كريم رفعته الأديان إلى أعلى مكان .

ومن هنا ذهبت الصهيونية على التركيز على (المادية) وحيوانية الإنسان وألغت القيم والمثل العليا وإقامة حرية الغريزة ، وقد اعترف اليهود فى البروتوكولات التى نشرت فى منتصف القرن العشرين : « إن نجاح دارون وماركس ونيتشه قد رتبناه من قبل وإن الأثر غير الأخلاقى لاتجاهات هذه العلوم الذى غير اليهود سيكون واضحاً ولكن ينبغى أن ندرس أثرها على أخلاق الأمم والجماعات » . وكان الهدف هو السيطرة على الدول المستعمرة وتسخيرها حسب أهوائهم .

وقد أشارت أبحاث كثيرة إلى الدور الذى يقوم به فلاسفة اليهود حيث يبذلون كل مافى وسعهم من أجل هدم الأديان عن طريق المذاهب الاجتماعية والسياسية والفكرية والبيلوجية : مذهب دوركايم ، مذاهب الوجودية ، مذهب التطور ، السريالية ، علم الأديان المقارن ، علم الاجتماع ، علم الاقتصاد السياسى متوسلين إلى نشر الإلحاد ونسف الإيمان فى النفوس وتلاميذهم من المسلمين والمسيحيين فى كل الأقطار .

كل ذلك يعطيه اليهود صبغة علمية لايفطن إلى زيفها إلا أهل العقول الراجحة .

ويجتهد المستشرقون اليهود فى تشكيك الناس فى الديانات عن طريق النقد الحر وعلم دراسة الأديان المقارن وحرية العقيدة والحط من كرامة رجال الدين .

★ ★ ★

ولقد وضح أن هذه الدعوة تعمل على تحطيم الوحدة الإنسانية ، وأن الدارونية أظهرت أن تاريخ الإنسان قائم على التناحر والصراع لا على التعاون والمودة .

ومن آراء كارل ماركس أن الفرد ليس له وجود وإنما الناس طبقات وعلاقة الطبقات علاقة عداء وكراهية .

وجوينيو نبذ فكرة الوحدة الإنسانية وقال : إن هناك فروقاً قديمة نشأ منها تفاوت الشعوب

ويرى نيتشة أن المبدأ الذى يفصل بين الناس ليس اقتصادياً كما يرى ماركس ، ولا حيوياً كما يرى جوينيو ، وإنما هو فارق نفسى : الأشراف والعبيد ، وأن هناك ثلاث مذاهب تجعل الآريين يحاربون الساميين ، وتغرى الصعاليك بأصحاب رؤوس الأموال ، وتحرض الأرستقراطية على الديمقراطية ليظل العالم فى خلاف مستمر .

وهكذا نشأت المذاهب الهدامة وقامت على أساس مخالفة الشرائع ، والصراع بين الفكر الإنسانى الربانى المصدر وبين الفكر البشرى .

وهكذا قام فكر فاسد متكامل ، قام على الباطل والشر ، ودعوته إلى التحلل والتحرر وأن ينزل عن الإنسان عبء التكاليف وتحقيق المآرب والشهوات .

وقد أشاع ذلك فى التاريخ البعيد: مزدك فى القرن الخامس وبابك الخزمى .

وكلما تقدم على عبادة المال وجرى تقديس حرية الإنسان التى تبيح له أن يعمل .

وقد تجددت المزدكية والبابكية باسم الفوضوية والشيوعية وقامتا بالدعوة إلى الإلحاد والإباحية .

يقول الدكتور أحمد خليفة : اليهودية العالمية تعلم أن الشباب الصاعد هو مستقبل كل أمة ؛ لذا كان الشباب هدفاً محققاً لليهودية العالمية للعمل على أن تهتز أمامه كل المقدسات وكل القيم الروحية .

وقد أقاموا مذهب إفساد الشباب باسم حرية الفرد وحرية الفكر .

وقد بحثت الماسونية التى هى فى خدمة الصهيونية فى الأدب عن الخيانة والجريمة

والانحراف الإباحى ، ولذلك عنى بعضهم بدراسة الشعراء الصعاليك ، ودرس طه حسين كل شعراء الفاحشة والإثم والغزل المذكور (أبو نواس والحباب وغيرهما) وتلك مهمة المستشرقين الذين يوجهون من يلجأ إليهم من الباحثين إلى هذه الجوانب لإحيائها وتضخيمها .

كما عمل الماسون على السيطرة على معامل الملابس والمساحيق والعطور وما سواها من مستلزمات (الموضة) وهم بذلك يتوصلون إلى تحقيق الغرضين فيسيطرون على المال ، ويفسدون الدين والأخلاق .

إنهم يعملون على بيع أكبر مقدار ممكن من الملابس ومنتجات الأزياء إلى نساء العالم ، فكلما غيروا الأنماط زاد النساء شراءً وإنفاقاً وتسربت الأموال إلى جيوب اليهود ، وهم يحققون أيضاً قتل الأخلاق القومية للشعوب .

كما قدم بعض الكتاب اليهود مؤلفات ضافية عن التنويم المغناطيسى ، وتحضير الأرواح ، والتنجيم ، فشجعت هذه الأساليب من الخرافة والأوهام ، وقامت فى مجال الفن التشكيلى جماعات تنادى بالفوضى بعيداً عن كافة المفاهيم القديمة للفن ، وجاءت النزعة السريالية وفقاً لهذه الخطة على يد جماعة من الصهيونية ، وكثيراً ماكان دعاة الفساد والانحلال يفتقرون فى معظم الأحيان إلى القدرة على استحداث مذاهب فنية حديثة ، فكانوا ينقبون عن مفاهيم قديمة للفنون العالمية ينسبونها إلى أنفسهم .

★ ★ ★

وكان للماسونية أثرها البعيد فى الإخراج المسرحى والتأليف : القصة والأغنية كما ظهرت نظرية العنصرية فى آخر القرن التاسع عشر ، وكان هذا أهم ما أثاره اليهود فى العالم كله : دعوى الجنس ، والقوميات ، وإحياء العروق والدماء .

وكانوا فى ذلك يعملون على إحياء جنسهم وقوميتهم ، ولكنهم أثاروا على نحو خطير عم العالم كله وأعلى شأن العصبيات والخلاف بين الأجناس والاقتتال بين الأمم ، ولعل أضخم حربين هما الحرب العالمية الأولى والثانية التى كان مصدرها النزعة الجنسية القومية القائمة على العصبية والتفرقة العنصرية .

المهم ضرب الأجناس بعضهم ببعض ، ودفعهم إلى الصراع ، وصرف الناس عن الدين عامة باسم الحرية الدينية وهى تدعو إلى بعث الوثنيات وأفكار الغنوصية والإباحية .

★ ★ ★

قدم مفكرو اليهود الغربيون بدائل عن النظم السياسية والاقتصادية المستمدة من تراث التوراة والإنجيل إلى مناهج جديدة أخطرها : الماركسية والفرويدية ، والوجودية ، ومنهج

العلوم الاجتماعية ، وكلها تقوم على الفلسفة المادية .. فماركس يرفض الفكرة الأساسية فى الدين وهى الإيمان بالله تبارك وتعالى كموجود أزلى مستقل تماماً ومتجرد تماماً عن المادة كحقيقة واضحة وكل دين بالنسبة لماركس من حيث المبدأ لعنة وأن كل دين مخدر للشعب ، للجانب الاقتصادى بالذات من بين أحداث الحياة واعتبار الأحوال الاقتصادية هى التى تكون البواعث الأخيرة لكل الأعمال . وإن تغير الأحوال الاقتصادية يؤثر وحده على العلم والدين والمجتمع ويخلق الإنتاج الثقافى والذهنى نوعاً من الحياة الاقتصادية ، ومن هنا يجىء التفسير المادى للتاريخ تفسيراً يجعل للقوى المادية السلطان الأكبر على نشاط الإنسان ، فتاريخ البشرية كله هو هذا التاريخ المادى ، ومطالب الإنسان الرئيسية هى المأكل والمسكن والإمتاع الجنسى .

أما الدين والأخلاق والتقاليد فهى مجرد انعكاس للوضع الاقتصادى وليس لها وجود أصيل فى الحياة البشرية .

ومن هذا المنطلق رسم فرويد ، ودوركايم منهجهما المادى ، وقد أخذ الغرب كله بنظرية التفسير المادى للتاريخ وأخذت روسيا المفهوم الاقتصادى وحده تحت ستار البحث العلمى .

وإن الرسالات السماوية يدعون أنها من أكبر أوهام البشرية فحقيقة العالم تنحصر فى ماديته ، وتؤمن الفلسفة المادية بإنكار الفرد وقيمه وإنكار الأسرة ، وإنكار القيم المعنوية .

ومن هنا فإن السلوك الإنسانى يدور فى إطار المستوى المادى وحده وتقوم علاقات الأفراد على أساس مادى ، والعلاقات الأسرية لاتنظمها علاقة الدم والرحم ، وإنما يسودها التبادل فى التغير المادى ، ويأتى الإلحاد كعامل أساسى فى التوجيه .

ومن هنا كان العقل البشرى لديهم تابع للأحداث المادية وخاضع بالضرورة إلى الجانب الاقتصادى .

ولقد كان الصراع بين الدين عامة والميتافيزيقا وبين الماركسية صراع قديم منذ وجد الدين وقبل أن توجد الميتافيزيقا أو يوجد كارل ماركس ، وعن تبعية العقل للمادة أحلت (الجبر) محل الاختيار فى توجيه الفرد وأصبح الفرد لذلك مجبوراً لاخيار له .

وتصف الماركسية الدين بأنه مخدر لأنها تقف فى طرف مقابل مما تؤمن هى به وتصف المسيحية الكاثوليكية على الخصوص بأنها سلطة فوق الانتقال أو التقدم فى سير

العالم ، وتعطى الماركسية الاقتصاد هذا الاهتمام المبالغ فيه على حساب الكيان الإنسانى المنوع الأغراض فى الاجتماع .

وبالجملة : فإن الماركسية ترمى إلى مقاومة الفطرة البشرية ومحاولة إثبات أن حب التملك ليس نزعة فطرية .

وقال ماركس وإنجلز : إن الإنسان ولد بغير نزعات فطرية وبالذات بغير نزعة التملك ، وإن المجتمع هو الذى بذر فيه هذه البذور .

أما فرويد اليهودى هو من وراء علم النفس الذى يرجع كل الميول والآراء الدينية والخلقية والفن إلى الغريزة الجنسية كى تبطل قداستها ، وتحمل الإنسان فيها وزر هذه الحاسة وتسلب الإيمان بسموها مادامت راجعة إلى أدنى مايرى فى نفسه وبهذا تنحط فى نظره صلاته بأسرته ومجتمعه والكون وما وراءه .

وقل مثل ذلك فى علم مقارنة الأديان التى يحاول اليهود بدراسة تطورها ومقارنة بعض أطوارها ببعض .

الهدف هو محو قداسة الأديان وإظهار الأنبياء بمظهر الدجالين .

وكذلك يروج اليهود لكل المعارف التافهة التى تتمثل فى المجلات والقصص والكتب التى تثير الشهوات وتهيج الجوانب السيئة من الغرائز وتحبب الرذائل وتنشر الانحلال .

★ ★ ★

وقد أحدثت الأفكار اليهودية الهدامة فى العصر الحديث انقلاباً خطيراً فى الحضارة حيث كانت أفكارهم بمثابة ثقوب واسعة فى هذه الحضارة ، يمكن أن تؤدى إلى حتمية منطقية وهى الانحطاط والتأزم ، وفى مقدمة ذلك نظرية النشوء والارتقاء ، وأصل الأنواع التى تحكم بحيوانية الإنسان من حيث أصله .

وقد كان لهذه النظرية أسوأ الأثر فى كل مناهج العلوم الفلسفية والاجتماعية والنفسية ، فكانت بذلك انحطاطاً للفكر الأوربى وانحرافاً عن منهج الصواب ، وبذلك ألغت كل القيم الروحية .

تقول البروتوكولات : « إنما نسيطر عليه بإشباع الغرائز الشهوانية والجنسية المكبوتة وهذا هو السبيل إلى تحقيق العمل إلى انهيار الأخلاق فى كل مكان فيسهل سيطرتنا حتى لايبقى فى نظر الشباب شىء مقدس فتسربل سيطرتنا وحتى لايبقى فى نظر الشباب شىء مقدس ويصبح همه الأكبر هو إرواء غرائزه الجنسية وعندئذ تنهار الأخلاق .

إحياء التراث الوثنى القديم

عملت الماسونية منذ اليوم الأول لإحياء التراث الوثنى القديم السابق للإسلام والمعارض لمفاهيم التوحيد الخالص والأديان المنزلة ، أعلنته فى الفكر الباطنى والغنوصى المتمثل فى وحدة الوجود والحلول والاتحاد والتناسخ والاستشراق وغيرها .

وكان الهدف هو التركيز على مفهوم الوثنية التى جاءت الأديان لمحاربتها « عبادة المحسوس المشخص » وقد جاءت الأديان – وجاء خاتمها الإسلام – ليهاجم تعدد الآلهة وتحطيم الوثنية ودعا إلى عبادة الله الواحد الأحد جل جلاله ، كما هاجم الشرك الذى وقع فيه أهل الجزيرة العربية .

ويجرى تقديم التراث الوثنى فى العصر الحديث فى صورة أساليب جديدة فى مجال الفنون والآداب بإحياء القصص الوثنى الذى عرفته ديانات اليونان والفرس ، ومن هنا نشأت الدهرية التى تجمع بين الوثنية وإنكار البعث وكل منكرى البعث (فى الآخرة) هم الدهريون ، وهم أتباع فولتير وجان جاك روسو والمورمون والماديون والمدلسون حيث تقوم مفاهيمهم على :

١ – إنكار الخالق تبارك وتعالى والادعاء بأن الكون بلا إله ولا صانع .

٢ – إنكار البعث والإعادة .

٣ – إسقاط الفرائض وإباحة الشهوات .

٤ – إباحة تأويل الشريعة .

٥ – القول بأن للقرآن والحديث النبوى ظواهر وبواطن .

وقد كانت غاية الدعوة الباطنية هى :

١ – الإلحاد فى العقيدة .　　٢ – إلغاء الالتزام الأخلاقى

٣ – إلغاء المسئولية الفردية المؤدية إلى الجزاء فى الآخرة .

وقد ابتدعوا لكل مصطلح مفهوماً مخالفاً للحقائق الأساسية التى تعبر عنها الكلمات وقد وصفها الإمام أبو الحسن الندوى بأنها ثورة على النبوة المحمدية لإنكارها المفاهيم الدينية

التى توارثتها الأمة ويجرى تأويل الكلمات الشرعية المتواترة تأويلاً يقوم على غير أساس أصول الفقه **وجاءت الماسونية** ، حيث يوجد فى العالم اليوم خمسة ملايين من الماسونيين يتحركون وفق تنظيم دقيق لنشر أفكارهم الهدامة وسط المجتمعات ، والماسونيون مرتبطون برمز مرتبط بما يزعم عن هيكل سليمان الذى تروج له الصهيونية وتقوم أفكار الماسونية على ما يضاد الإسلام تماماً .

١ - الدعوة إلى إحياء التراث الوثنى القديم والتركيز على مفهوم الوثنية التى جاءت الأديان لمحاربتها وتتلخص الوثنية فى عبادة المحسوس المشخص وعبادته تنطوى على تعدد المعبود .

وقد عبدت الجماعات الوثنية ما فى الطبيعة من أنهار وجبال وأفلاك وكواكب .

٢ - الدعوة إلى العلمانية التى تفصل الدين عن المجتمع والدولة ، وقصره على العلاقة بين الله والإنسان (مما يعرف باللاهوت) أو الاقتصار على جانب العبادات .

٣ - الوجودية : القائمة على إنكار الله تعالى وإنكار البعث وإعلاء الجنس وإباحة الرغائب .

ولما رأت الماسونية أنها انكشفت ولم تعد تستطيع توصيل سمومها بدأت تحتضن مجموعات أخرى تحمل هذه السموم تحت أسماء أخرى فى مقدمتها : القاديانية والبهائية ، وأخطر مفاهيمهم : إلغاء الجهاد ، وإباحة الربا ، وإسقاط التكاليف ، واستئصال عقيدة الجهاد من قلوب المسلمين ، وكان أخطر دعواهم : دعوتهم إلى أن يصبح الناس أحراراً لايخجلون من أعضائهم التناسلية حين يجتمعون فى نوادى العراة ، ويلقن الشباب فى طفولتهم أسس دعوات الجنس والانحلال ويلفتهم إلى قداسة أعضائهم التناسلية .

وصدق رسول الله ﷺ حين قال : « لاتسألوا أهل الكتاب عن شىء فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا وأنتم إما أن تصدقوا بباطل وإما أن تكذبوا بحق ، والله لو كان موسى حياً ماوسعه إلا أن يتبعنى » .



تعليمات بروتوكولات صهيون

١ - تذكروا أن الشعب الذى لايهلك غيره يهلك نفسه .

٢ - يجب أن نخلق الجيل الذى لا يخجل من كشف عورته .

٣ - الجماهير عميان فاشتروها بالمال وسوقوها كالبهائم إلى أهدافكم .

٤ - سيطروا على الانتخابات ووسائل الإعلام والصحافة (وقد سيطروا عليها بالمال والجنس والمرأة فى الغرب الرأسمالى وبالحرب والسلطة فى العالم الاشتراكى) .

٥ - ادفعوا الجماهير العمياء إلى الثورة وسلموهم مقاليد الحكم ليحكموا (فعلوا ذلك فى الثورة الفرنسية ثم تخلصوا منهم جميعاً من روبسبير إلى ميرابو) .

٦ - ارفعوا شعار الحرية فاهدموا بها الأخلاق والأسرة والقومية .

٧ - ارفعوا شعار العلم واهدموا به الدين .

٨ - ارفعوا شعار الأممية واهدموا به الوطن .

٩ - الذى يعرقل أمركم أوقعوه فى مآزق مالية ثم تقدموا لإنقاذه .

١٠ - كل ما عدا اليهود حيوانات ناطقة وحلال على اليهود .

١١ - اشعلوا الحروب بين الشعوب وأججوا الفتنة واضربوا الدول بعضها ببعض .

★ ★ ★

الفكر الصهيونى العالمى

قامت الصهيونية بإنشاء الروتارى والليونز بديلاً للمحافل الماسونية بعد أن تكشفت فضيحتها – بالإضافة إلى بناى برث ومدارس الأليانس وظهرت فى نفس الوقت مؤلفات خطيرة : [كتاب الحكومة الخفية – كتاب أحجار على رقعة الشطرنج – كتاب الأفعى اليهودية فى معاقل الإسلام] .

وقد دخلت معركة كشف هذا المخطط مجلات إسلامية كثيرة فى مقدمتها :

[الاعتصام – المختار الإسلامى – النور – الأزهر – منار الإسلام – اللواء – الرابطة – الندوة – الوعى – منار الإسلام – الأمة – دعوة الحق – المجتمع – البلاغ – الإصلاح .. إلخ] .

كما وضع أساس الاقتصاد العالمى على أساس الذهب الذى يمتلكه اليهود لا على أساس قوة العمل والإنتاج ، وذلك بهدف السيطرة على الاقتصاد العالمى .

وقد تجمعت مصادر الفلسفة الماسونية من خلال :

العهد القديم ، التلمود ، القبالة ، بروتوكولات صهيون وهى تحاول أن تقرر أسساً واضحة :

١ – تأكيد مبدأ عدم التعصب للأديان .

٢ – الدعوة إلى دين البشرية ، كل البشر .

٣ – مهندس الكون الأعظم .

٤ – جعل الإلحاد سمة عامة للمجتمع المعاصر .

٥ – جعل المادية إلهاً جديداً من دون الله .

٦ – تقويض وحدة المسلمين بإلغاء الخلافة .

٧ – إطلاق الغرائز .

★ ★ ★

الدين والفكر اليهودى التلمودى

يؤكد الباحثون كيف كثف اليهود أنفسهم ليصبحوا عنصراً أساسياً فى الحركة الاستشراقية الأوربية النصرانية ، فقد فرضوا أنفسهم على الحركة الاستشراقية وكسبوا تحقيق أهدافهم فى النيل من الإسلام .

ويؤكد الدكتور محمد البهى فى كتابه « الفكر الإسلامى الحديث » :

١ - إن إقبال اليهود على الاستشراق يعود لأسباب دينية تتمثل فى محاولة إضعاف الإسلام والتشكيك فى قيمه ولأسباب سياسية تتصل بفرق الصهيونية فكرة أولاً ثم دولة وقد ارتبطت جماعات المستشرقين وعقدوا عدة مؤتمرات فى الفترة من ١٧٨٣ إلى ١٩٣٨ (ثلاثون مؤتمراً) .

وقد طبقوا مقاييس مختلفة على الدين الإسلامى فأطلقوا على الإسلام اسم المذهب المحمدى Mohammedism لإعطاء الانطباع بأن الإسلام دين بشرى من صنع محمد صلى الله عليه وسلم وليس من عند الله .

٢ - وهم يخلطون بين الإسلام كدين وتعاليم ثابتة فى القرآن والسنة وبين الوضع المتردى للعالم الإسلامى اليوم .

٣ - وهم يهتمون بالفرق المنشقة عن الإسلام ويعمقون الخلاف بين السنة والشيعة ودائماً يقيسون مايرونه فى العالم الإسلامى على مدى مالديهم من قوالب منصوبة جامدة حتى يقول أحدهم (رونسون) إنهم لم يرو فى الشرق إلا ما كانوا يريدون رؤيته .

٤ - افتقاد الموضوعية فى معظم كتابات المستشرقين عن الدين الإسلامى بينما يكتبون بكل موضوعية عند تناولهم الديانات الوضعية كالهندوسية مثلاً ، ويعود ذلك إلى أن الإسلام كان يمثل بالنسبة لأوربا صدمة مستمرة فقد كان الخوف من الإسلام هو القاعدة .

٥ - تحالف فريق من المستشرقين مع الاستعمار واضعين أنفسهم ومعلوماتهم ودراساتهم عن الإسلام والمسلمين فى خدمة الاستعمار لمكافحة الإسلام والمسلمين .

٦ - دعا المستشرقون إلى إصلاح الإسلام بزعم أنه لم يعد مسايراً لروح العصر وهذا

ما عبر عنه أحدهم بقوله : « إن على الإسلام إما أن يعتمد تغييراً جذرياً فيه أو أن يتخلى عن مسايرة الحياة » وتتمثل هذه الدعوة إلى الإصلاح فى محاولة تغيير وجهة نظر المسلم عن الإسلام ، وجعل الإسلام أقرب إلى النصرانية بقدر الإمكان .

٧ - المعركة الدائرة الآن بين الإسلام والأفكار المادية هى معركة فكرية لها أدواتها التى يجب التسلح بها وأكد على استيعاب الإنتاج الاستشراقى حول الإسلام ودراسته دراسة عميقة تمثل الخطوة الأولى لنقده نقداً صحيحاً وإثبات ما يدعى أنه تهافت أو زيف .

ويرى الباحثون المسلمون أن الاستشراق يستمد قوته من ضعف الأمة الإسلامية ووجوده نفسه مشروط بعجز العالم الإسلامى عن معرفة ذاته ، وعلينا أن نعمل على تصحيح التصورات الأوربية للإسلام .

وقد اعترف كثير من الكُتاب الغربيين وفى مقدمتهم : أميل درمنجم أنه يجب الاعتراف بأن إساءة الفهم كانت من جانب الغربيين أكثر ، فقد رموا الإسلام بالمساوئ من خلال جدلهم البيزنطى دون أن يتعبوا أنفسهم فى دراسته ووجهوا إليه تهماً باطلة ومتناقضة .

كذلك فقد وضع المستشرقون اليهود كتباً لها صفة العلم فى مختلف المسائل الإسلامية تدرس فى بعض الجامعات العلمية على أنها صورة صحيحة لما جاء فى الشريعة الإسلامية من أحكام وقواعد جاء بعضها محرفاً وبعضها لا يفيد حكم الشارع ، ثم يولغ فى تحريف مدلولاتها ومعانيها على نحو يتعذر معه فهم الأحكام الإسلامية على وضعها الصحيح .

كذلك فإن الاستشراق اليهودى يحاول إعطاء فكرة كاذبة للعالم بأن فلسطين كانت يهودية قبل الإسلام ويشوه الفتح العربى .

ومن ذلك إخضاع تاريخ الإسلام لمفهوم المسيحية وتفسيراتها ثم إخضاعه لتفسيرات المادية الغربية ثم التفسيرات الماركسية .

وأعلى دعاوى الاستشراق اليهودى فصل الدين عن الدولة بحسبان أن الدين يعوق التقدم العلمى وهى مقولة الغرب للمسيحية والكنيسة ثم نقلت إلى أفق الإسلام .

★ ★ ★

كذلك فقد عالج الفكر اليهودى قضايا القرآن فى تشويه بالغ الخطورة للحقائق كما وردت فى القرآن الكريم ، حيث يحاول بعض أصحاب الولاء اليهودى أو الغربى التهوين من

خطورة تحريف التوراة والإنجيل بدلاً من أن يصف هذا التحريف على حقيقته التى بينها الله تبارك وتعالى فى آيات كثيرة من القرآن ومنها على سبيل المثال قوله سبحانه وتعالى :

﴿ **فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً** ﴾ [البقرة : ٧٩] .

﴿ **يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون** ﴾

[آل عمران : ٧١] .

﴿ **يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكروا به** ﴾ [المائدة : ١٣] .

٢ - يحاول بعضهم الإيحاء فى انطباع واضح بأن هناك مساواة بين القرآن والتوراة والإنجيل ، وأن الفرق الوحيد هو أن القرآن حافظ على ما قبله من الكتب المنزلة ، وهو يحاول فى ترجمة كلمة (مهيمناً) فى قول القرآن الكريم : ﴿ **مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه** ﴾ [المائدة : ٤٨] ، بكلمة Guardian وهى ترجمة خاطئة لأن « مصطلح مهيمناً » يدل بوضوح على سمو القرآن الكريم على الكتب المنزلة قبله وبخاصة فى صورتها الحالية ، وذلك على الأقل فى ثلاثة أوجه :

١ - أن الكتب السابقة نزلت على رسل بعثوا لأقوامهم خاصة أما القرآن فقد نزل للناس كافة .

٢ - الكتب السابقة (وبخاصة التوراة والإنجيل) قد حرفت بينما حفظ الله تبارك وتعالى القرآن من كل تحريف .

٣ - يشتمل القرآن الكريم على الرسالة الموحى بها فى أكمل صورها ومن ثم فهو ناسخ لما قبله ولايمكن أن يكون مساوياً .

وفى كتاب (دراسة وترجمة لمعانى القرآن الذى ألفه بالإنجليزية لعل محمد شاولا بقسم دراسات الرياضيات جامعة الملك عبد العزيز ، الذى نقلت منه هذا النص السابق ، يقول تحت عنوان (القرآن وأهل الكتب) حيث يذكر المؤلف أشياء قليلة عن أهل الكتاب ويهمل ذكر الحقيقة الكاملة كما وردت فى القرآن الكريم فيهمل ذكر أوصاف وأخلاق اليهود فى القرآن ، كما يهمل وصف القرآن للنصارى الذين ادعوا (ألوهية المسيح) أو قالوا بالتثليث ، وكذلك يهمل ماورد فى القرآن من أوصاف رجال الدين اليهودى والنصارى

(الأحبار والرهبان) وتسامح الإسلام فى معاملة أهل الكتاب ، ومن أخطاء هذا المؤلف : تسمية المصطلحات بطريقة خاطئة حيث يقول :

العصر : هو صلاة منتصف النهار

جبريل : الملك الذى أوحى القرآن إلى محمد .

الجزية : الضريبة المفترضة على غير المسلمين .

الشريعة : الطقوس أو الطريقة التى ينفذ بها الدين .

الزكاة : ضريبة منتظمة للنفع العام .

[كشف هذه الحقائق الدكتور أحمد عبد الحميد غراب]

★ ★ ★

وقد جمع الاستشراق اليهودى كراهية الإسلام وكراهية كل الأجناس ماعدا العنصر الأبيض فهى كراهية دينية عنصرية مفاسدها ذلك الفزع من توسعات الإسلام ولحمتها الاستعلاء باللون والعنصر ، وخاصة من ناحية إنكار الإسلام لعقائد التثليث والصلب والخطيئة من ناحية وإحساس بذلك الاجتياح الذى قام به الإسلام لمواريث الإمبراطورية الرومانية التى امتدت ألف عام فى ثمانين عاماً للإسلام لايزيد .

وزاد من ذلك الإحساس بسيطرة الدولة العثمانية على أوربا أكثر من ثلاثمائة عام حامية للعالم الإسلامى من الغزوة الاستعمارية وحولوا هذا الحقد إلى منهج شبه علمى خادع بظاهره البراق ومحتواه الزائف فى محاولة لتحريف المنهج الإسلامى واحتوائه وكسب أنصار من المسلمين والعرب فى ولاء لمنهجهم وأهدافهم عن طريق المطامع والأهواء .

★ ★ ★

مراجعة التراث اليهودى وإحيائه

مسخت اليهودية التعاليم السماوية المقدسة ومزجتها ببعض المفاهيم الوثنية فقد تأثر اليهود بالديانات البابلية القديمة وقبل سبى بابل لم يكن المعبد اليهودى قد أخذ شكله القائم على التعصب والغدر والخيانة إلا أن اليهود مسخوا الكثير من العقائد البابلية وحولوها إلى قوى شريرة ، فقد أعادوا بناء المعابد اليهودية وجعلوا تلك المعابد مراكز للابتزاز المادى باسم الدين ، وحولوا الكثير من القيم الخيرة إلى أفكار تحث على التعصب وتؤكد على أن المعبد بحاجة إلى إراقة الكثير من دماء القرابين لكى تنتشى الآلهة العطشى التى لم تكن فى حقيقتها إلا ردود الفعل لدى بعض المتعصبين اليهود فى محاولتهم لتشويه القيم الدينية اليهودية الأصلية وإعادة كتابتها بشكل يجعل من بنى إسرائيل قوماً مفضلين على غيرهم تسرى فى عروقهم دماء التعصب فى الوقت الذى ينظرون فيه إلى غيرهم من أهل الأرض نظرة وضيعة فقد غدا الهيكل اليهودى مسرحاً للجرائم ومكاناً للصيرفة وملتقى للنخاسين مما يوضح لنا ثورة السيد المسيح ضد هذه الخطايا والموبقات .

وفى سبيل ترسيخ المخططات الإجرامية القاضية بتعصب اليهود ، أعيدت كتابة التعاليم الدينية المقدسة وثم مسخها جعل من التوراة كتاباً سرياً يحتوى على الخطط الإجرامية التى يراد بها تحطيم العالم ويصور بنى إسرائيل وكأنهم شعب مختار وبأن بداية التاريخ اليهودى لا تتصل بالرسالة الماسوية كبدائل دينية متفق عليها وإنما تبدأ عندما رجع اليهود من السبى البابلى حين ظهر المعبد اليهودى الذى عمل على ضم أشتات اليهود وانتهت تلك المنظمات إلى داود ونجمته التى تمثل فى نهاياتها التهود المنضوى تحت لوائه (تسلط إسرائيل على العالم) .

ويقول دكتور أحمد سوسة فى بحثه الضافى :

إن كل الاكتشافات التى توصل إليها الخبراء تؤكد أن الكثير مما أوردته التوراة من قصص وأساطير وشرائع ترجع إلى أصل قديم وجد مثله ، أو مايشابهه فى المدونات الأثرية ، وقد جاءت كتابة اليهود للتوراة الحالية فى القرن السادس قبل الميلاد أى بعد عهد موسى بثمانية قرون ويقرر الدكتور أحمد سوسة أن بين شريعة التوراة وشريعة حمورابى تشابهاً إن لم

يكن تماثلاً فى ثمانى فقرات من الشريعة والعقودات الجنائية والأخلاقية ، وفى ثلاث من تشريع المعاملات ، وفى التزوج بأكثر من واحدة مع إضافات من مدونات أورنثية أو كنعانية جاء فى التوراة بما يماثلها .

وإن شرائع التوراة نفسها هى الشريعة التى كان يمارسها الكنعانيون والبابليون من قبل اقتبسها اليهود فهم يمارسوها ثم أدخلوها إلى كتبهم المقدسة ، وإنما يغيب عنهم أن القرآن الكريم يتفرد ببيانه الخاص لأخبار الأولين لايتعلق فيها بذكر ماليس مناط اعتبار من بين أشخاص وأزمنة وأحداث وأمكنة ووقائع .

★ ★ ★

ويؤكد الباحثون أن اليهود كانوا وراء كل مذهب علمى أو فلسفى ليكونوا من ورائه ، وقد أفلحت الدعاية اليهودية فى طبع كثير من العقائد والنحل بما يحقق مصلحتها فترى روح الولاء والتهليل لبنى إسرائيل حيث تهيمن مقدساتهم على بعض المقدسات ، وماظهر مذهب فكان مؤدياً إلى مسهم بالأذى من قريب أو بعيد إلا قتلوه أو أولوه بما يفسده ، كذلك يروجون لكل قلم مادامت آثاره عن قصد أو غير قصد تساعد على إفساد الناس ورفع شأن اليهود كما فعلوا مع (نيتشه) الذى تهجم على المسيحية وأخلاقها ويوجهون الفكر بما يتفق مع روح اليهودية وتاريخها ويمهد لها فى الأذهان وأولوه تأويلات ماخطرت واستخدموه كما روجوا مذاهب التطور ، واستخدموه فى القضاء على الأديان والقوميات والفنون باعتبار كل شىء بدأ ناقصاً ثم تطور فلا قداسة إذن لدين ، ولاوطنية ولقانون ولا فن ولاالمقدس من المقدسات وهم يوجهون علم الاقتصاد والاجتماع وعلم مقارنة الأديان ويسخرونها لمصالحهم وإفساد الآداب والنظم والثقافات والعقول فى كل أنحاء العالم ويدرسون فيها نظريات مبهرجة لايفطن إلى زيفها إلا الموهوبون وذوو العقول المستقيمة ، وهم وراء كل زى من أزياء الفكر والعقيدة والملبس والسلوك ، مادام ينفعهم لاسيما إذا كان تفسير غيرهم إلى جانب ذلك .

ولقد تفهم المدارس الحديثة فى أوربا ما لم تفهم هذه الحقيقة التى لاشك فيها وهى أن أصبعاً من الأصابع اليهودية كان وراء كل دعوة تستخف بالقيم الأخلاقية ، وترمى إلى هدم القواعد التى يقوم عليها مجتمع الإنسانية فى جميع الأزمان .

★ ★ ★

ويتمثل الفكر اليهودى فى دعوة عامة إلى أن يصبح الناس أحراراً لا يخجلون من أعضائهم التناسلية حيث يجتمعون فى نوادى العراة وهى دعوة الماسونية إلى تلقين الشباب فى طفولتهم أسس دعوات الجنس والانحلال وتلفتهم إلى مبادئ قداسة أعضائهم التناسلية كذلك فإن من أهم دعاواهم ، الدعوة إلى توحيد الأديان والعودة بالتوحيد إلى اليهودية قال ﷺ لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا وإنكم إما أن تصدقوا بباطل وإما أن أو تكذبوا بحق ، والله لو كان موسى حياً ما وسعه إلا أن يتبعنى .

وفى العصر الحديث كانوا وراء نظرية دارون وضلالات ماركس ودعاوى فرويد وسارتر وشوبنهور ، وهم الداعون إلى إحياء الدعوة البوذية التى تقدس الجسد وكذلك يصبح الإنسان نجساً من أخمص القدم إلى منبت الشعر ، ولذلك يجب أن يتوقف الزواج والنسل ، وعليك فى البوذية أن تذل نفسك وتقهرها وتحطم بدنك لأنك نجس .

وفى العصر الحديث أشاعوا الوجودية التى دعت إلى الحرية والالتزام والمسئولية بمفهوم آخر ، لقد انطلق سارتر من قول دستوفسكى :

« إذا لم يكن الله موجود فإن كل شيء يصبح مسموحاً به » وقال سارتر : « ومن هنا تنطلق الوجودية من مسلمة إنه ليس هناك إله (جل وعلا) إذ ليست هناك قوة خارجة تصنع مثالاً أو نمطاً للسلوك لذلك اعتبرت الإنسان يوجد نفسه بمعنى أن ماهيته وحقيقته تتكون تباعاً إلى أن يتم فى أخريات عمره .

ولقد ظهرت دعوات متعددة للهدم منها لبيد بن أعصم وعبد الله بن سبأ ، ويبدو أثر التوجيه اليهودى واضحاً فى الفلسفات المادية والوجودية (سارتر وفرويد وماركس وماركفر) وكلهم يهود ، وأثرهم فى الفكر اليهودى فى الدنيا - ومنها رسالة البهاء فى توحيد المسيحية والنصارى واليهود وجمعهم على أصل نواميس موسى .

★ ★ ★

كذلك فقد رسم الفكر التلمودى ممثلاً فى بروتوكولات صهيون والفلسفات المادية الحديثة كلها ، وأجمعت النظريات الفكرية الغربية (دارون - ماركس - فرويد - دوركايم - سارتر - لورنس) على أن الإنسان حيوان ابن المصادفة ، وأنه لاغاية لوجوده ولا هدف ولذلك فلا معنى للحياة الإنسانية ، ولا المثل العليا الإنسانية ، وأن الحياة تخبط خبط عشواء فى تطورها ، بما فى ذلك الإنسان : [ليس فى الحياة إلا المتاع والجنس] .

وقد زاد من تعميق هذا الرأى الحروب المتوالية التى أكلت الملايين لاقيد من دين ولا إيمان بإله .

المادية قائمة على حيوانية الإنسان : وقل مثل ذلك فى فرويد اليهودى الذى هو من وراء علم النفس الذى يرجع كل الميول والآداب والدين والفن والمجتمع إلى الغريزة الجنسية كما تبطل قداستها وتحمل الإنسان منها وزر هذه الخطايا وتسلب الإيمان بسمو قيم النفس والروح وبهذا تنحط فى نظره صلاته بأسرته والمجتمع والكون وماوراءه .

وقل مثل ذلك فى علم مقارنات الأديان الذى يحاول اليهود دراسة تطورها ومقارنة بعض أطوارها على غيرها لمحو قداستها ويظهر الأنبياء بمظهر الدجالين ،كذلك فإن حركة الاستشراق التى تقوم على بعث الكتب القديمة القائمة على سموم الإلحاد والإباحة والتى تغرى الإنسان لتفاهة محتوياتها ، وكذلك يروج اليهود لكل المعارف التافهة التى تتمثل فى المجلات والقصص والكتب التى تثير الشهوات ، وتهيج الغرائز وتحبب الرذائل وتبشر بالانحلال وهناك الكتب الغربية التى كتبها المستشرقون وكان لها ولا يزال تأثيرها فى مجموعات من الناس ، وفى مقدمة هذا .. كتاب الإسلام لألفريد جيوم المستشرق الذى كتبه بالإنجليزية وانتشر فى مناطق إسلامية تستخدم اللغة الإنجليزية .

ولقد كان له الرواج الهائل بين جميع الأوساط فهو قسيس وسبق له العمل فى أخطر مكاتب الأمن البريطانى وهو أحد الكتب التى كونت فهم آلاف الغربيين والعاملين فى العالم الإسلامى أو المتعاملين معه وهم نجوم الوقائع الكثيرة ذات الأثر الواضح فى علاقات الشعوب ، فإسرائيل ولفنسون يتغاضى عن حادثة نعيم بن مسعود فى معركة الخندق كسبب فى انعدام الثقة بين المشركين واليهود ، ولعله يريد أن يوحى أن اليهود لم يخدعوا المسلمين .

أما بروكلمان فلا يشير إلى دور اليهود فى تأليب الأحزاب على المدينة ولا على نقض قريظة عهدها مع الرسول ﷺ فى أشد ساعات الأزمة ولكنه يقول :

ثم هاجم المسلمون بنى قريظة الذى كان سلوكهم غامضاً على كل حال ومن ذلك محاولات بعض المستشرقين فى تغيير القيم .

فكتابات بعض المستشرقين حاولت عن طريق الداروينية أن تدعو بأن تاريخ الإنسان قائم

على التناحر والصراع لا على التعاون والمودة ، وآراء ماركس تحاول أن تقول : إن الفرد ليس له وجود ، وإنما الناس طبقات ، وإن علاقة الطبقات هى علاقة عداء وكراهية بين الأغنياء والصعاليك ، وهو خلاف قائم لإراحة العالم إذا تغلب إحدى الطبقتين .

أما (جوبينو) فقد نبذ فكرة (وحدة الإنسانية) وقال : إن هناك فروقاً قديمة نشأ فيها تفاوت الشعوب وتجاهل أن الله تبارك وتعالى أنزل الأنبياء لكى تصبح الشعوب متقاربة ملتقية ، وليس الإنسان عنده (سيد الخليقة) وإنما الإنسان الأبيض خاصة وعلى قمة الإنسان الأبيض (النيتون) .

ويرى نيتشة أن المبدأ الذى يفصل بين الناس ليس اقتصادياً كما يرى ماركس ولاحيوياً كما يرى جوبينو ، وإنما هو فارق نفسى : الأشراف والعبيد .

ويرى غيرهم أن ثلاث مذاهب تجعل الآريين يحاربون الساميين ، وتغرى الصعاليك بأصحاب رؤوس الأموال ، وتحرض الأرستقراطية على الديمقراطية ، وذلك ليظل العالم فى حالة خلاف وصراع وقتال دائم .

★ ★ ★

هـامش :

لقد نشر اليهود فلسفتهم التى تقوم على تدمير الحياة والمجتمعات حسبما تورده البروتوكولات :

١ - يجب أن يخلق الجيـل الذى لايخجل من كشف عورته قـد نفذوها فى السينما والمرقص والمسرح والفن.

٢ - الجماهير عميان فاشتروها بالمال وسوقوها كالبهائم إلى أهدافكم .

٣ - سيطروا بالمال والجنس والمرأة وبالحرب والسلطة .

٤ - ادفعوا الجماهير العمياء إلى الثورة وسلموها مقاليد الحكم (وفعلوا ذلك فى الثورة الفرنسية) .

٥ - ارفعوا شعار الحرية واهدموا بها الأخلاق والأسرة والقومية .

٦ - ارفعوا شعار العلم واهدموا به الدين .

٧ - ارفعوا شعار الأممية واهدموا به الوطن .

٨ - الذى يعرقل مؤامرتكم أوقعوه فى مآزق مالية ثم تقدموا لإنقاذه .

٩ - كل ماعدا اليهود حيوانات ناطقة .

١٠ - اشعلوا الحروب بين الشعوب وأججوا الفتن .

١١ - لاتؤمن بالبعث أو الخلود (خلود النفس البشرية) .

١٢ - وسيلتهم إلى هدم الكتب السماوية هو تفسيرها بالتأويل وذلك برفض المعنى الظاهر واختراع معانى باطلة .



الباب الثامن
الفلسفة المادية

تجددت الفلسفة المادية فى أفق الفكر الإسلامى مرتين :

الأولى : فى القرن الثالث الهجرى بعد ترجمة كتب الإغريق ، وظهور فرق المعتزلة والمانوية والمزدكية والبابكية .

وقد قام علماء الإسلام بالكشف عن زيف هذه الدعوات وفسادها وتحرير الفكر الإسلامى من هذه التبعية وقاد هذه الحملة الإمامان : الغزالى وابن تيمية وفى العصر الحديث عندما بدأت الجامعة تفرض على الشباب المسلم الفكر اليونانى (أرسطو وأفلاطون) مدخلاً لدراسة الفلسفة قدم لهم أحمد لطفى السيد : الفلسفة اليونانية على أنها مصدر الثقافة والعلم الحديث .

وظهر فى هذا الإطار عديد من المثقفين الذين حملوا لواء الفلسفة المادية فى دعوة ظالمة على أن أوربا أقامت نهضتها من خلال هذه الفلسفة المادية وأن على العرب والمسلمين إذا كانوا يتطلعون إلى النهضة أن يحملوا لواء الفلسفة اليونانية وترجم لهم أرسطو وامتد هذا الحبل إلى أن قيض الله للفكر الإسلامى دعاته وحملة لوائه ، فقام الشيخ مصطفى عبد الرازق ليؤكد أن الفلسفة الإسلامية تبدأ من خلال الإمام الشافعى وكتابه « الرسالة » وأن الشافعى هو إمام هذا الفكر الإسلامى وليس أرسطو .

وإذا كان الغربيون يدعوننا إلى أن نبدأ نهضة الفكر الإسلامى من أرسطو فإنهم لم يعملوا هذا فى أوربا ، بل لقد بدأ علماء الغرب فى إسقاط منطق أرسطو ، وأصبح يطلق عليه المنطق الصورى أى الذى يجعل كل همه فى تكوين صيغ وصور كلامية يعتبرها بمقاييسه وقواعده صحيحة ، وإن خالفت الواقع المحسوس الملموس ، وعادت البشرية إلى قواعدها سالمة وهى أن المنطق هو مجموعة من البديهيات والمسلمات فى كل عقل تخضع لها العقول السليمة بغير حاجة إلى تعقيدات أرسطو .

وجاء رد ابن تيمية على منطق أرسطو والكشف عن منطق القرآن وهذا هو الذى انطلق منه علماء الكلام وشغلوا به حيزاً كبيراً فى الفكر الإسلامى ولم يلبث علماء الإسلام أن

كشفوا عن سيطرة هذا الفكر على الكنيسة المسيحية ، فضلاً عن تورط علماء اليونان وفى مقدمتهم أرسطو وأفلاطون على إعلان وقبول تميز العناصر واعتبار الفقراء والعمال لايدخلون فى نظام الديمقراطية التى تخدم أصحاب الثراء والغنى .

حتى إن حكومة جنوب أفريقيا العنصرية تتخذ من فلسفة أرسطو سنداً شرعياً لسياستها البغيضة فهو يتحدث عن العبيد وكيف أنهم يبقون عبيداً فقد خلقوا ليكونوا عبيداً ، ويجب ألا يفكروا أو يتمردوا على كونهم عبيداً .

ومع الأسف فإن الكنيسة قد قبلت هذا التقسيم وأيدته كما قبلت الربا من بعد .

جاء الإسلام ليقدم للبشرية الإجابات الصحيحة لما يشغل الفكر البشرى ويحاول الإجابة عنه عن طريق الفلسفة ، وقد جاء ليقدم منهجاً لما وراء الواقع ، منهجاً كاملاً أطلق عليه فى الغرب اسم (الميتافيزيقا) : أو ماوراء الطبيعة .

ومن هنا فقد كانت محاولات ربط الفلسفة القديمة بالإسلام محاولات فاشلة ومضللة فى نفس الوقت .

وقد قدم الغرب عشرات النظريات من خلال مفهومه القائم على الفلسفة المادية وسرعان ما سقطت لأنها عارضت الفطرة وطبيعة النفس الإنسانية وغلب عليها الهوى والظن والاستعلاء بالعلم ، وقبل الإمام الغزالى كان الفلاسفة المسلمون يتأرجحون بين أفلاطون وأرسطو ويخلطون بينهما ليقدموا لواقعهم الثقافى خليطاً من الفلسفة اليونانية ، فلما جاء الإمام الغزالى قال فى كتابه (تهافت الفلاسفة) بأن مقصده هو هدم مذاهب الفلاسفة (لا الفلسفة) أياً كانت وإطارها فى هذه المذاهب من تناقض وعجز وسفسطة وقصور والواقع أن الغزالى صحح مسيرة الفلسفة فى الإسلام .

فقد ظل الفلاسفة العرب من قبله غارقين فى مباحث لاترتبط بالوجدان الثقافى للأمة ، فالفارابى قدم فلسفة اليونان بشكل متخبط خلط فيه بين آراء أفلاطون وأرسطو وابن سينا ثم أغرق نفسه فى مباحث الفلسفة الأرسطية فى كتابه (الشفاء) ثم حلق فى أجواء أفلاطون ، أما أبو بكر الرازى فقد ظل يمهد بفكره لتقديم مذهب فى قدم المبادئ الخمسة وهو مبدأ لم يصنع جديداً فى تاريخنا الثقافى ، وكان الإبداع الحقيقى لهؤلاء ليس فى مجال الفلسفة ، فعبقرية الفارابى تتجلى فى كتابه (الموسيقى) كما ترجع عبقرية ابن سينا إلى

كتابه (القانون فى الطب) ذلك أن ريادة الرازى الحقيقية تكمن فى موسوعته الطبية (الإكلينيكية) ، ولقد كان علماء العرب فى مجال الفلسفة قبل الإمام الغزالى تابعين للفكر اليونانى وغارقين فيه (الفارابى ، ابن سينا ، ابن طفيل ، ابن رشد ، الرازى ، أبو حيان ، النظام ، ابن مسكويه ، الشبلى، السهروردى ، الحلاج) ، ثم جاء الأشعرى وابن خلدون والغزالى فى ثوب إسلامى أصيل ثم امتدوا إلى قمة هذا العلم وابن تيمية الذى أسقط الفلسفة اليونانية تماماً من خلال كتاباته وعلى قمتها (نقض المنطق) مستبدلاً ذلك بعلم (منطق القرآن) .

★ ★ ★

وقد أكد علماء المسلمين أن « المنطق اليونانى » قام على خصائص اللغة اليونانية وهى : تخالف مقتضيات لغة العرب ومن ثم كطبيعة فى البحث والتقصى قد توقع فى التناقض ، ولا شك أن أهم أسباب نفور العلماء المسلمين من الفكر اليونانى إدانة المنطق العلمى الحديث ، وجاء توجيه القرآن لهم والسنة النبوية إلى طلب حسن النظر والانطلاق فى التفكير من الواقع الموضوعى وليس من مجرد التخيل والتصور .

وقد برز ذلك فى فجر النهضة الإسلامية فى حين ظلت المجتمعات الأوربية خاضعة للمنطق الأرسطى كما فهمه رجال الكنيسة فى بداية العصور الحديثة ، ولاتزال حادثة الاغتيال الآثمة لمؤلف كتاب (كل ما قاله أرسطو وهم وضلال) هو بطرس ريموس للتعصب للمذهب وممارسة إخضاع العقل إلى الوجدان كيف يمكن تلخيص ذلك المنهج فى الجملة الآتية (آمن ثم فكر) ؟ فى حين تقتضى طبيعة المنهج فى ظل الفكر الإسلامى عكس ذلك (فكر ثم آمن) عبد الله الأوصيف .

ولقد قدم الغرب عشرات النظريات من خلال مفهومه القائم على الفلسفة المادية وسرعان ما سقطت لأنها عارضت الفطرة وطبيعة النفس الإنسانية وغلب عليها الهوى والظن والاستعلاء بالعلم المادى .

وقد حفلت الكتب المقررة وخاصة كتابى الفلسفة والمنطق لطلاب الثانوية للدكتور زكى نجيب محمود زعيم الفلسفة الوضعية الملحدة ، حفلت بعقائد وافدة مضللة كانت خطراً شديداً على المجتمعات الإسلامية عندما ترجمت و غاية ماتقدمه هذه الفلسفات (إنكار

ما وراء المحسوس) والذى يترتب عليه إنكار حقائق الوجود الكبرى وأولها وجود الله تبارك وتعالى ، فهل يصح فى منطق العقل والعلم أن تكون الحواس وحدها هى الحكم فى قضية الإيمان بالغيب ؟ وهل يعتبر كل ما لايقع تحت الحس غير موجود ؟

إن الإجابة بمنطق العلم الحديث (لا) فهناك مثلاً من الأصوات ما لاتسمعه الأذن وهذا من نعمة الله علينا وإلا كان لضربات القلب ضجيج لاينقطع على أسماعنا ، وكوننا لانحس بها ليس معناه أنها ليست موجودة وبالمثل باقى علم الغيب الذى لو قدر وكشف لنا بعضه لصعق الإنسان ، لأن طاقة حواسه لاتقوى على استقباله كما حدث لموسى عليه السلام ، وحتى المادة المحسوسة التى لايؤمن ملاحدة العصر إلا بها أثبت العلم الحديث أنها ليست إلا طاقة شكلت وفقاً لقوانين معينة فمن الذى وضع تلك القوانين التى تقف خلف هذه الطاقة ؟ .

ويجيب على هذا التساؤل عالم الذرة (أينشتين) الذى يعد أعلم علماء الأرض فى الظواهر الكونية حيث قال يوم أن فرغ من تسجيل (نظرية النسبية) :

إن العقل البشرى حين يتأمل هذا الخفاء الكونى يدرك أن وراءه حكمة ، هى أحكم ما تكون الحكمة ، وجمال هو أجمل ما يكون الجمال .. إنه الله تبارك وتعالى .

وفى هذا يقول كريس مورسون رئيس أكاديمية العلوم بنيويورك :

إن المعارف الجديدة التى كشف عنها العلم تجعلنا نعتقد بوجود مدبر جبار وراء ظواهر الطبيعة.

وبذلك جاء تفجير الذرة محطماً لكل الفلسفات المادية حيث أصبح يخالف حقوق العلم التجريبى الذى أخذ يؤمن بعالم الغيب ووجود الخالق القادر القائم وراء هذا الكون يديره ويدبره وأصبح الفلاسفة الماديون يعرفون الحقيقة ، ولكنهم سائرون فى غيهم يضلون الناس ويسخرون من وجود الله تبارك وتعالى .



رد مفكرو الإسلام منذ اتصالهم بالفكر الفارسى واليونانى على الثنوية بالدهرية ورد الغزالى على ابن سينا والفارابى .

وألّف فى الرد على مذهب التعلم : المستظهرى وحجة الحق .

وألّف فى الرد على علماء الكلام : كتاب « إلجام العوام فى علم الكلام » .

وألّف فى الرد على الفلاسفة : « تهافت الفلاسفة » .

وقال : إن الفلاسفة أرادوا أن يزنوا كل شىء غير أن العقل وإن لم يوفق بين الحكمة والتشريع ، فقد كان الدين فى يدهم آلة خادمة للفلسفة حتى انفضح أمرهم وبالغوا فيما أرادوه وأصبحوا خطراً على الدين والأخلاق .

أما خطرهم على الدين فقد اعتقدوا فى أنفسهم التميز على أترابهم ونظرائهم ، فرفضوا وظائف الإسلام والعبادات واحتقروا شعار الدين ، واستهانوا بالشرع وحدوده وكان مصدر كفرهم زعمهم أنهم سمعوا بأسماء هائلة كسقراط وأبقراط وأفلاطون وأرسطو وأمثالهم ، واطلعوا على مبالغة تعصبهم فى وصف عقولهم وحسن أصولهم ودقة علومهم وغزارة فعلهم منكرين للشرائع والنحل ، جاحدين لتفضيل الأديان ، معتقدين أنها نواميس مؤلفة وحيل مزخرفة .

أما خطر الفلاسفة على الأخلاق فيرجع إلى أنهم أهملوا أحكام الشريعة فشربوا الخمر وأعرضوا عن الصلاة ، وقالوا مع ذلك إنهم أدركوا حقيقة النبوة ، وعلموا أن صاحبها يرجع إلى الحكمة والمصلحة وأن المقصود من تعبيراتهم ضبط عوام الخلق وتقييدهم عن الاسترسال فى الشهوات فإذا ترفع الإنسان عن طبقة العوام سقط عنه التكليف وكشف عنه الغطاء وأصبح بصيراً بالحكمة .

وهكذا كانت عنايته من نقد آراء الفلاسفة إيجابية فهو لم يهدم البناء الذى أقامه الفلاسفة على أساس العقل إلا لينشئ صرحاً على أساس الكشف الباطنى والوحى والقلب .

★ ★ ★

ظهرت الفلسفة اليونانية من نهاية القرن السادس قبل الميلاد حتى منتصف القرن الخامس من الميلاد، والفلسفة كمصطلح محدد المعالم ظهر على يد اليونان ، ولم يكن له من قبل سبيل فى المعاجم اللغوية حتى عصر هومر وهريود .

والفلسفة كما يصورها الإغريق وتابعها الفكر العربى : إنما هى محاولة لوضع تصور وهمى وخيالى للجوانب الغيبية التى قررتها الأديان المنزلة من الألوهية والغيب والوحى والبعث ومن أحكام على العلاقات بين الخالق والمخلوق وبين الإنسان والمجتمع ، وقد كانت

كلها مقولات متخيلة لم تستطع أن تصل إلى الحقيقة التى قدمتها الأديان المنزلة ، فكانت بذلك دعوة إلى تعطيل الفكر الإنسانى وشجب الإيمان والتعقل والتأمل فى ذهن الإنسان .

ولقد قدم الإسلام منهجاً متكاملاً للحياة كما قدم تصوراً كاملاً لما وراء الطبيعة لايحتاج الإنسان معه إلى تصورات الفلسفة التى لاتزيد عن أن تكون فكراً بشرياً قائماً على توهم أو تصور محدود .

ولقد فرضت الفلسفة الإغريقية والغربية على نظم التعليم فى بلاد المسلمين منذ وطأت أقدام القوى المستعمرة والمسيطرة حتى استطاع الفكر الإسلامى أن يستخلص مفهوماً سليماً هو ما أورده الشيخ مصطفى عبد الرازق ، وقد جاء القرآن الكريم كاشفاً فساد المنهج البشرى وداحضاً التوجهات الفلسفية القديمة ودحض ما قاله الفلاسفة من أن الله تبارك وتعالى خلق العالم وأدار له ظهره : ﴿ **أو لم يروا أن الله الذى خلق السموات والأرض ولم يعى بخلقهن** ﴾ [الأحقاف : ٣٣] .

وكانت محاولات التوفيق بين العقيدة الإسلامية والفلسفات القديمة فشلت وتصدعت لأنها حاولت الجمع بين متناقضين .

وقد وقف الإسلام أمام غنوص الشرق (فارسياً وهندياً) كما وقف أمام غنوص الغرب (الأفلاطونية المحدثة) موقف العداوة والبغضاء يجالدها أشد مجالدة وينتقضها .

وقد كشف المسلمون فى هذا العصر زيف الرابطة بين الفكر اليونانى والمفهوم الإسلامى (مصطفى عبد الرازق - النشار) وقد قرر الإسلام أن وسائل المعرفة متعددة : « منها العقل والحدس والوحى » فالمسلمون لايفردون العقل والحدس بأنه وسيلة المعرفة ولكنهم يضيفون إليهما الوحى ويرون العقل فى ضوء الوحى ويربطون بين العقل والنقل ويجعلون العقل خاضعاً للنقل .



ولقد كانت محاولات النفوذ الاستعمارى ترمى إلى اتخاذ الفلسفة المادية منطلقاً لحجب بعض الحقائق العقيدية وتفضيل بعض المذاهب الفلسفية والإشادة بها بما يجعل الطالب غير شاعر بالانتماء لدينه وعقيدته .

ويؤكد الباحثون المسلمون أن القيادات الاستعمارية هى التى صاغت المناهج التعليمية

بطريقة تسلب الأمة عزها وكرامتها ودينها وتجعلها موالية لمبادئ الأعداء ولم يتوقف هذا العمل عند حد معين فهو مايزال مستمراً ، وقد جرت عملية فرضه على المناهج الدراسية فى هذه المرحلة (منذ اتفاقية كامب ديفيد) إلى اليوم .

والمعروف أن كرومر (الذى رسم خطة الغزو الثقافى للمدرسة والتعليم والثقافة) قال : إن مهمة الرجل الأبيض تثبيت دعائم الحضارة المسيحية إلى أقصى حد ممكن بحيث تصبح هى أساس العلاقات بين الناس .

وإنه لذلك قام بتعيين القس دنلوب مستشاراً لوزارة المعارف وأعطاه السلطة الكاملة حيث تصرف فى أسس ومناهج التعليم وخاصة تعليم الفلسفة حيث لايعلم الدين الإسلامى إلا تعليماً هامشياً فى ذاته بهدف إقامة مخطط لإخراج المسلمين عن الإسلام الصحيح وترمى الخطة إلى تجميد الأزهر وإطلاق الإرساليات وإضعاف منهج الدين واللغة العربية وتشويه التاريخ ، والهدف هو تخريج مدرسين على مذهب ديوى وتأخير خريجى الأزهر ، وإقامة الإقليمية التى تهدف إلى حجب شعور الأبناء بولائهم للأمة الإسلامية العربية الواحدة ذات الرسالة الخالدة وهى الإسلام منهج حياة ونظام مجتمع ، وكانت عملية التفريغ التى أحدثتها المناهج مما جعلهم مؤهلين لقبول أفكار معادية للإسلام مثل الشيوعية والعلمانية ، وقد جاءت هذه المناهج على نحو يفرغها من القيم الروحية والاجتماعية بما يؤدى إلى سهولة الانحرافات الخلقية لعدم وجود الوازع الدينى والعقائدى ولعدم معرفة الحلال والحرام والثواب والعقاب ، ومنها عدم تقدير الوالدين واحترامهم .

إن تطبيق الشريعة الإسلامية سيحدد للمعلم وجهته ولن يتركه يستورد مناهج من الغرب أو الشرق وإعداد المواطن للاستخلاف فى الأرض ، ولقد كان لإعادة الفلسفة المادية الإغريقية الرومانية وإدخالها فى مناهج التعليم العربى خطر عظيم على وجود الإنسان المسلم ، فالمادية تحجب العطاء الروحى والمعنوى الذى له أبعد الأثر فى تفسير التاريخ وفى المواقع الفاصلة ذلك أن المادة لاترى فى الحياة إلا حركة الافتقاد ، ذلك أنه عندما يصل مفهوم المادة إلى أنه ليس شيئاً غير الفكر وإنما الفكر فرع من فروع المادة وإنكار تصور وجود عالم غير العالم المادى ، وأن كل الموجودات غير المحسوسة التى تطلق على صفة الروحية إلا تركيبات مادية خالصة .

إن العقل المادى لا يرى الحياة إلا معركة على الشعوب تستمد مفاهيمه من دعائم الإلحاد والإباحية والتحرر من جميع القيود .

ولقد عجز العقل الغربى المادى عن إدراك حقائق الكون والحياة ولابد من نور يستهدى به العقل فى ظلام الحياة أو الفكر .

والعقل المسلم عبارة عن الجسد والروح ، يقوم على مفاهيم الإيجابية والشمول والثبات والتوازن بعيداً عن الإفراط والتفريط مصطبغاً بصبغة الله ﴿ **صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة** ﴾ [البقرة : ١٣٨] تقوم على تبليغ الإيمان ونصرة الخير .

إن العمل الخطير والضرورى هو الكشف عن حقائق الفكر المادى جملة أمام الشباب المسلم وخاصة فيما يتعلق بالمناهج الدراسية .

ولابد من إبراز ما جاء به القرآن الكريم كاشفاً فساد المنهج البشرى ، وتأكيد تكامل المنهج الإسلامى والرد على المبطلين الذين يقول أحدهم : إن الله – تبارك وتعالى عما يقولون علواً كبيراً – قد خلق العالم وأدار له ظهره ، فإن الله يعلم الجزئيات كلها : ﴿ **وما تسقط من ورقة إلا يعلمها** ﴾ [الأنعام : ٥٩] . ومقولة خلق الله العالم فى ستة أيام واستراح فى اليوم السابع ، وقد رد تبارك وتعالى على هذه الأضاليل :

قال تعالى : ﴿ **ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام وما مسنا من لغوب** ﴾ [ق : ٣٨] .

★ ★ ★

اكتمل المنهج الإسلامى قبل انتقال رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى ونزلت الآيات القرآنية تقرر ذلك : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً** ﴾ [المائدة : ٣] .

وتشكل الفكر الإسلامى قبل الاتصال بالفكر اليونانى ، ثم جاءت تلك الجماعة التى عملت على ترجمة أرسطو وأفلاطون وغيرهما ، وكان رائدها (حنين بن إسحاق) الذى قام بترجمة الفكر اليونانى فى حضانة المأمون الذى دعا إلى فتنة (خلق القرآن) ، ثم جاءت بعد ذلك موجة التصحيح التى قادها الشافعى ، والغزالى ، وابن تيمية وغيرهم .

ولقد كان (تهافت الفلاسفة) عملاً خطيراً امتد تأثيره على الفكر الإسلامى إلى اليوم ، ومازال العلمانيون واليساريون يحاربونه ويدعون أنه أقفل باب الفلسفة ، والواقع أن الغزالى كان عالماً كبيراً وخطيراً حمى الفكر الإسلامى من الانحراف ومن الحصار بأن دعا إلى مذهب السنة الأصيل .

والواقع أن الإمام الغزالى لم يقف عند الفلسفة وحدها ولكنه واجه كل الدعوات الدينية غير السنية .

يقول الدكتور يوسف زيدان : قبل الغزالى كان الفلاسفة المسلمون يتأرجحون بين أفلاطون وأرسطو ويخلطون بينهما ليقدموا لواقعهم الثقافى خليطاً من الفلسفة اليونانية ، فلما جاء الإمام الغزالى قال فى مقدمة كتابه (التهافت) : بأن مقصده هو هدم مذاهب الفلاسفة (لا الفلسفة أياً كانت) وإظهار ما فى هذه المذاهب من تناقض وعجز وقصور .

وإنى أميل إلى القول بأن الغزالى صحح مسيرة الفلسفة فى الإسلام فقد ظل الفلاسفة الإسلاميون غارقين فى مباحث لاترتبط بالوجدان الثقافى للأمة قدر ماهى بحوث علوية نخبوية لا تصلح إلا للمنعزلين عن واقعهم .

فالفارابى قدم فلسفة اليونان بشكل متخبط خلط فيه بين آراء الحكيمين (أفلاطون وأرسطو) وابن سينا وأغرق نفسه فى مباحث الفلسفة الأرسطية فى كتابه (الشفاء) ثم حلَّق فى أجواء أفلاطون بقصيدته .

أما أبو بكر الرازى ظل يجهد فكره لتقديم مذهب فى قدم المبادئ الخمسة وهومبدأ لم يصنع جديداً فى تاريخنا الثقافى ، وكان الإبداع الحقيقى لهؤلاء ليس فى مجال الفلسفة ، فعبقرية الفارابى تتجلى فى كتابه الموسيقى وأما ابن سينا فقد كان أعظم أعماله فى كتابه (القانون فى الطب) .

أما ريادة الرازى الحقيقية فهى تكمن فى موسوعته الطبية الإكلينيكية الرائعة ، أما مسيرة الفلسفة بعد الغزالى : فهى المسيرة التى صححها ذلك المفكر المسلم الإمام الغزالى ، أما مقولة إن الإمام الغزالى حجة الإسلام المتوفى ٥٠٥ هـ أغلق باب الفلسفة فى الإسلام بكتابه (تهافت الفلاسفة) . فهذا غير الحقيقة .

فلم تتوقف الفلسفة فى الإسلام بعد الإمام الغزالى وإنما صححت مسارها وانتقلت من الهيام بأفكار فلاسفة اليونان إلى تأسيس وعى فلسفى متجانس مع طبيعة الفكر العربى الإسلامى إلى تعميق المعرفة الفلسفية .

وكان ابن سبعين يقوم بنفس الدور النقدى الذى قام به الغزالى ، فقد نقد ابن سبعين الفلاسفة : « الفارابى وابن رشد وابن سينا » وانتقد المذهب الأشعرى الذى يقال : إن الغزالى كرسه .

وقد وصف بأنه صوفى مرة وفيلسوف أخرى وأشعرى ثالثة وفقيه رابعة ، وبعد الغزالى بزمن طويل جاء (نصير الدين الطوسى) ٦٧٢هـ أقام أضخم مرصد فلكى فى القرون الوسطى ، فالطوسى فيلسوف ورياضى فلكى ألف فى الأخلاق وفى التربية وفى علم الكلام الفلسفى ، وجاء بعد الغزالى عشرات الفلاسفة والمناطقة « لبطليموس ، ابن باجه ، ابن العريف ، ابن طفيل ، السهروردى ، الإشراقى ، الآمدى ، الأفضل المخزنى ، ابن النفيس ، ابن بطليموس ، ابن رشد » الذى نقد كتاب الغزالى (تهافت الفلاسفة) بكتاب (تهافت التهافت) وكان أعظم مفكر أرسطى فى زمنه .

والذى جرى بعد الغزالى هو إحياء الفلسفة بمعناها العميق ، ثم وقع التآمر على الغزالى للنيل منه بتهمة أنه جنى على العقل العربى بإغلاق باب الفلسفة ، ولم تكن له الهيمنة الموهومة على الفكر العربى الإسلامى من بعده ، ولم تكن له طريقة صوفية تجمع الناس ولا كان مثقف سلطة تسعى الجهات الحاكمة لترويج مؤلفاته باستثناء الشرح الكبير الذى وضعه الزبيدى بعنوان (إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين) ولم ينل الإحياء غاية كبيرة فى القرون التالية لوفاة الغزالى وانتشر فى العصور الأخيرة » أ هـ .

★ ★ ★

حول الفلسفة القديمة :

ورث الإسلام فى البلاد المفتوحة تراثاً ضخماً قوامه : المحيط المسيحى ، المحيط اليهودى ، بالإضافة إلى الوثنيات والفلسفات المجوسية ، وما كان سائداً فى الجزيرة العربية من عبادة الأصنام وعبادة الكواكب وما كان لدى اليونان من فلسفات ، وماعند الفراعنة والهنود والفرس من تثليث ، ومالدى الكثيرين من تصورات للإله (جل جلال الله) ، وما هناك من شرك وتعدد : (الغنوصية – الهندوسية – المجوسية) وكل هذا جاء الإسلام ليظهره على الدين كله وليكشف للبشرية فساد هذه النحل جميعاً إلا نحلة واحدة هى ما كان عليه إبراهيم عليه السلام « الحنيفية السمحة » القائمة على التوحيد الخالص والتى جاء محمد ﷺ لإحيائها .

الآن عرفنا لماذا أحب الاستشراق : الفارابى وابن سينا فإنهم يجددون الفكر اليونانى ويطرحون فى أفق الفكر الإسلامى سموم الإلحاد تحت اسم (وحدة الوجود) التى أخذت

منها النصرانية فلسفتها تحت اسم (الأفلاطونية) فقد خضعت اليهودية والنصرانية لهذه المفاهيم الفلسفية التى كتبها أرسطو وأفلاطون ولقد طرح الكتاب التغريبيون هذه المفاهيم فى أفق الفكر الإسلامى بمجرد عودتهم من الغرب فكتب طه حسين عن الفكر اليونانى والإغريقى وما يدعى أنه فضلهم على الفكر الإسلامى وقادة الفكر من اليونان كما فتح الدكتور زكى مبارك فى كتابه « التصوف الإسلامى » باباً واسعاً أمام فكرة وحدة الوجود ، وكذلك فعل كل الذين كتبوا عن الفارابى وابن سينا والفكر الإغريقى ، ولقد كشفت الأبحاث فى السنوات الأخيرة تبعية الفارابى وابن سينا إلى الباطنية وخدمتهم للمؤتمرات التى قام بها القرامطة وأن هناك من تابع ذلك بقوة من أمثال : « ابن عربى والحلاج والسهروردى » وكل هذا اهتم به كُتاب التغريب وأفاضوا فيه وكتبوا عنه مسرحيات وشعر فى العصر الحديث كما فعل السياب والبياتى وصلاح عبد الصبور وأدونيس ، ومن كتابات الفارابى وابن سينا يتبين احتضان مذهب وحدة الوجود التى تصل إلى القول بأن هذا العالم مادى ؛ الله هو الله تبارك وتعالى وأنهم يرفضون الإسلام فى الثنائية التى تفصل بين الله تبارك وتعالى وبين العالم ومن هنا جرت فلسفات الاتحاد والحلول وتناسخ الأرواح .

وإذا كان الإمام الغزالى قد حدد موقف الفكر الإسلامى من المعارف الوافدة بعد أن حمل المتكلمون والفلاسفة مقولات باطلة تختلف مع مقولات الفكر الإسلامى ، ولكن الإمام ابن تيمية تتبع هذا الفكر وكشف عن أخطائه ، حيث يرى الإمام ابن تيمية أن العقل وحده ليس كافياً للوصول إلى حقائق الدين ، بل لابد من الاستعانة بالنقل ، ويرى أن المعتمد عليه فى ذلك هو الكتاب والسنة ومعنى ذلك أن يكون العقل فى ذلك تابعاً لا متبوعاً ومن اعتمد على النقل وحده كان كحاطب ليل .

وقد حمل ابن تيمية على منطق أرسطو حملة شديدة فى كتابه (نقض المنطق) وسخر من الذين يقولون إنه لابراهين إلا مايكون المنطق دليلها وطريقها ، لما فى ذلك من غمز بالصحابة والتابعين الذين يعتبر المناطقة علومهم ظنية .

كما أثبت ابن تيمية أن المنطق من علوم الصابئة وهو دخيل على العلوم الإسلامية حيث ليس بالأحكام الشرعية افتقار إلى المنطق أصلاً ، ومايزعمه المنطقى بالمنطق من أمر الحد والبرهان فقاقيع ، فقد أغنى الله عنها كل صحيح الذهن ، ولقد تمت الشريعة وعلومها .

وقد حمل ابن تيمية رأيه أن الإسلام الصحيح مصدره القرآن والسنة عودة بالإسلام إلى معينه الصافى فى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وذلك حتى يمكن إعادة بناء المجتمع الإسلامى على أساس إسلام لا زيف فيه وبدون إضافة غريبة عن الإسلام ، مع وضوح التفرقة بين الخالق والمخلوق .

★ ★ ★

لقد عمل علماء الإسلام إلى تدمير هذه المحاولة الماكرة التى حاولت أن تصبغ الفكر الإسلامى بلون غير لونه وتطبعه بطابع غير أصالته الحقيقية المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية خالصاً نقياً .

وقد جاء المتغربون الذين ذهبوا للدراسة فى جامعات الغرب أو اتصلوا بالمستشرقين فى المشرق لإحياء الفكر الهلينى الوثنى والباطنى والغنوصى تحت اسم المنهج العلمى ، بينما تأكد أن هذا المنهج التجريبى قد أنشأه المسلمون وأخذه الغرب من المسلمين بعد وادعى أنه من صناعته .

بدأ الفكر المادى فى أفق الفكر الإسلامى من خلال نظريات خطيرة كان فى مقدمتها (مذهب دارون) المسمى : مذهب التطور ، وجاء بعدها : التحليل النفسى الذى دعا إليه (فرويد) .

وظهر الدعاة إلى هذه المذاهب والمفاهيم وفى مقدمتهم : شبلى شميل ، ومن بعده سلامة موسى ، وعبد الرحمن بدوى ، وزكى نجيب محمود ، ويعقوب صروف ، وإسماعيل مظهر .

وهاجم هذا التيار أئمة أعلام فى مقدمتهم جمال الدين الأفغانى فى كتابه (الرد على الدهريين) ورسالة التوحيد للشيخ محمد عبده وأبحاث محمد إقبال ومصطفى عبد الرازق فى التفرقة بين المطروحات الأوربية المادية وبين مفهوم الإسلام الذى حدده الشيخ مصطفى عبد الرازق حين أكد أن الإمام الشافعى هو الذى وضع منهج الفلسفة الإسلامية وليس أرسطو فى بيان وافٍ يكشف عن الفرق العميق بين الفكر الإسلامى والفكر الغربى ووضح بما لايدعو إلى شكٍ أو ريبة أن الغرب أخذ علوم المسلمين فى الأندلس وبنى عليها حضارته المادية وقد قام منهج المسلمين على أساس (التجريب) الذى استمد المسلمون مفاهيمه من

القرآن الكريم والسنة الشريفة : ﴿ **قل هاتوا برهانكم** ﴾ [البقرة : ١١١] .

وقد عمد الغرب إلى إنكار دور المسلمين فى بناء العلوم الجديدة وتطور العلوم الأخرى وتصحيح أخطاء جالينوس وأرسطو .

وكان لكلمة الدين فى الغرب مفهوماً مختلفاً عن مفهومه فى الفكر الإسلامى حيث تؤكد كل المصادر أن اليونان لم يكن عندهم غير الأساطير والتأملات ، وأن الإسلام هو الذى قدم للبشرية كلها وللغرب بالذات المنهج التجريبى ، ومن هنا كان لابد أن يكون للدين فى الإسلام مفهوم مختلف عن مفهوم الغرب حيث وضحت الفوارق بين مفهوم الفلسفة الغربية وبين التصور الإسلامى .

قامت المفاهيم الإسلامية :

أولاً : على التوحيد الخالص فى مواجهة التعدد وعبادة الأصنام .

ثانياً : الناس لآدم وآدم من تراب لا فضل لعربى على أعجمى فى مواجهة التميز .

ثالثاً : تكامل الروح والمادة فى مواجهة التصور المادى .

رابعاً : اختلاف الأصول بين مفهوم الإسلام وبين العبودية والرق فى حضارة اليونان .

هذا بالإضافة إلى جملة القيم الحضارية والمنجزات الثقافية التى أبدعها مفكرو الإسلام على مدى حقب تاريخية .

هذا بالإضافة إلى التميز الخاص الذى صنعه الإسلام ، وقد كانت ثوابت الإسلام ومتغيراته قائمة بخلافٌ نظرية التطور ونظرية الثبات الأرسطية .

ولعل أخطر صور الخلاف : أن الديمقراطية فى أثينا كانت للسادة فقط ، فالسادة فى القمة والعبيد فى السفح ، وقد كان محور تفكير اليونان هو العالم أو الإنسان بينما كان محور الفكر الإسلامى هو الله الحق والتوحيد الخالص والخلق من عدم .

وكان أكبر أخطاء الغرب قيام التصور الفلسفى على نظرية قدم العالم وقدم المادة الأولى (الهيولى) .

أما الإسلام فقد أقام منهج الفكر على أساس النقل والعقل ، حيث قامت المعرفة الإسلامية على التوحيد لله الواحد لا شريك له والدين الواحد (الإسلام) والأمة الواحدة ،

وكل هذا يختلف مع المجتمع العبودى اليونانى ، فليس الفكر الإسلامى عقلانى أو وجدانى بل جامع .

ولقد اعتبر الفلاسفة : الكندى وابن سينا والفارابى وابن رشد وابن طفيل من المشائين المسلمين ، وهذا وجه الخلاف بين كلمة الدين فى الإسلام وبين كلمة دين فى الغرب فهى فى الإسلام تشمل كل مفاتيح العلم والمعرفة ، حيث يقوم منهج المعرفة على تقديم الوحى على العقل ، ويقوم فيه صريح المنقول مع صحيح المعقول .

ولقد جاء التقدم التقنى الأوربى بعد ألف وخمسمائة سنة من المسيحية بعد أن وصلت علوم المسلمين إلى أوربا عن طريق جامعات المسلمين فى الأندلس وبعد أن خلعت أوربا رداء الدين المسيحى كله ، وأعلنت العلمانية تماماً وهكذا لم يكن الإسلام عقبة فى سبيل التقدم التكنولوجى .

(والعلم فى الإسلام) هو العلم جملة وليس العلم الدينى وحده .

فى ظل التبعية الغربية لبلاد المسلمين جاءت التبعية للفكر المادى وسيطرة الفلسفة المادية ومعها الخضوع للقانون الوضعى وتدمير النظام التربوى الإسلامى حيث حل التصور المادى فى مجالات الفكر والاجتماع التى سرعان ما تصدعت معه نظريات العصر :

فلسفة الاجتماع ، ومقررات الاقتصاد ، ومقولات دارون وسارتر وماركس وفرويد .

وأصيب المجتمع الإسلامى بالاضطراب العميق لاضطرابه بين حقائق الإسلام وقيمه الأساسية فى مجال التربية والاجتماع والاقتصاد وبين النظريات الوضعية التى لم يكشف الغرب عن فسادها واضطرابها إلا بعد مرور أغلب سنوات هذا القرن العشرين حيث أخذ الغربيون يكشفون عن اضطراب هذه المذاهب والدعوات حيث تبين أن : نظرية دارون فى التطور فاسدة ، ونظرية ماركس مضطربة ونظرية فرويد باطلة ونظرية العلوم الاجتماعية خادعة ذلك لأن هذه النظريات كلها قامت على أساس القاعدة المادية التى لا تعترف بالألوهية والوحى والغيب وتكامل الروح والمادة .

وكان أسوأ ما أصاب المجتمع الإسلامى اعتماده نظم الغرب دون تمحيص ودون تصور ما تحمله هذه النظريات من اضطراب عقلى ونفسى واجتماعى ، وكانت دعواها أن هذه النظريات تمثل نظماً أصيلة صالحة للتطبيق فى مختلف البلاد بينما هى قد تحطمت فى

أرضها وعجزت عن العطاء فى قلب بلادها ، وكانت نظريات التحليل النفسى لفرويد ونظريات الاجتماع لدوركايم ودرمنجهم مستقاة من التلمود اليهودى بمفهومه القائم على احتقار الإنسان ورؤى دارون القائمة على الصلة بين الإنسان والقردة .

ومضت القوى التغريبية تنفث هذه السموم فى أجيال المسلمين جيلاً بعد جيل من خلال التشكيك ، التهجير ، المعونات .

ومن خلال البحث عن مواطن الضعف للاستفادة بها فى الاحتجاج على الإسلام ودعوة المسلمين إلى التخلى عن العقيدة بأى وسيلة ممكنة .

والحقيقة أن المدرسة الحديثة لم تقدم لنا شيئاً ذا بال ، وإذا أعطت فليس عندها إلا مناهج بشرية مشوهة وافدة لاتمكن من فهم دور الإنسان المسلم أو بناء المجتمع المسلم .

ذلك أن الفهم الإسلامى للمجتمع هو وحده الذى يمكننا من تكوين أنفسنا تكويناً إسلامياً أصيلاً ، وعلينا ألا نأخذ الفكر الغربى قضايا مسلمة ولا نعتبره علماً ثابت الأساس فهو فى الحقيقة ليس إلا عبارة عن استجابات أو مواجهة لتحديات مجتمع متغير ، فليس هو علم بقدر ما هو تجارب تصح أو تخطئ ، وفكر بشرى مرهون بالأهواء والظروف والأوضاع فى مراحل معينة لاتلبث أن تتغير ، ومن هنا كانت فكرة اللهث وراء التغيير التى يفرضها دائماً الفكر الغربى ويمكن القول بأن الفلسفة المادية واضحة الأثر :

(١) فى عدم القدرة على استيعاب التصور والبيئات وقصورها فى مرحلة من عصر أو قطر .

(٢) عجزها عن العطاء فسرعان ما يصيبها العطب نتيجة المتغيرات .

(٣) ظهور طابع الهوى والمطامع البشرية الخاصة ، وبالجملة فإن هدف الفلسفة المادية التى تتصدر الآن الفكر الغربى كله إنما ترمى إلى محاولة هدم النبوة والغيب .

وآية ذلك دعوتها إلى التحرر من الدين وإعلاء العقل ، والنظر إلى العقل على أنه ذا قداسة وبمعزل عن العى والحصر .

وكذلك التحرر من الوحى فى محاولة لإعطاء العقل سلطاناً وقداسة بينما يدعو الإسلام العقل إلى النظر والاعتبار . ﴿ **فاعتبروا يا أولى الأبصار** ﴾ [الحشر : ٢] وهى لا تعنى أن العقل يتقدم الشرع لأن ملكات الإنسان ومنها العقل الاستدلالى محدودة لأن

العقل لايكون فى كل حالاته بمعزل عن الهوى أو العاطفة .

وكذلك الأمر بالنسبة للوحى ، فالعقل فى الإسلام مقيد بالوحى وإذا كان العقل يخطئ ويصيب فإن الوحى يعصمنا من الخطأ لذلك يجب دائماً تصحيح ما يصل إليه العقل ، على أساس ماجاء به الوحى حيث لا تتعارض عقائد الإسلام مع العقل وقد عرض القرآن الكريم عقائد الإسلام على العقل ودعا إلى مناقشتها لتمييز الحق من الباطل ودلل على ذلك بالحجج الدامغة .

★ ★ ★

وكما كانت نظرية دارون (التطور) قد تكشفت كثيراً من أخطائها فكذلك وجدت أخطاء فادحة فى نظرية العلوم الإنسانية والاجتماعية كما وجدت ثغرات وتجاوزات ، ذلك أن هذه التى أطلق عليها اسم علوم النفس ، الاجتماع ، الأخلاق ، التربية ، الأدب كلها مفاهيم مادية خالصة تختلف تماماً مع حقيقة هذه القضايا ومع المفهوم الإسلامى الجامع القائم على الوسطية والتكامل والتى ترتبط فيها الروح بالمادة والعقل بالقلب والدنيا بالآخرة .

وفى كل هذه القضايا التى تطرحها المفاهيم المختلفة تقوم القيم الإسلامية على أساس الجمع بين المادة والروح ، وكل ما يطلق عليه اسم علوم ، هو مجموعة مقولات ارتبطت بظروفها القائمة وقد جاءت استجابة لأوضاع مختلفة ومن هذا وصف الفلسفة بأنها علم ، وأن العلوم الإنسانية فى الإسلام ومنهج دراستها يختلف عن المنهج المادى .

★ ★ ★

ونظرية المعرفة فى الإسلام تختلف اختلافاً واضحاً وعميقاً حيث تقوم نظرية المعرفة الغربية على أن الإنسان مفطور على معرفة حقائق الكون والحياة من ذات نفسه دون أية مساعدة خارجية ، وقد تقبل هذه النظرية المشاءون المسلمون وفى مقدمتهم : ابن سينا وجاء ابن طفيل فحاول أن يثبت ذلك بقصته عن حى بن يقظان التى تقول : إنه وقد أقام فى جزيرة مجهولة استطاع أن يصل بالملاحظة والتفكير إلى أن يدرك بنفسه أرفع حقائق الطبيعة (ماوراء الطبيعة) وهذه النظرية لا يقبلها الإسلام .

فقد قرر الإسلام أن الإنسان غير مؤهل لتحصيل المعرفة على النحو الذى يعتقده هؤلاء الفلاسفة ، ولكن عن طريق مصدر أعلى : هو الوحى الإلهى .

فالعقل البشرى هو أداة الإدراك الوحيدة فى الإنسان وإن الحواس وسائله إلى المعرفة ذلك أن العقل البشرى يفقد من قدرته على إدراك الحقيقة وتحصيل العلم اليقينى بقدر ما يرتكب من المعاصى والآثام ذلك أن السرف والترف هو أشد المعاصى تدميراً لقدرة العقل على تحصيل العلم اليقينى .

نحن نؤمن بأن الله تبارك وتعالى خلق الكائنات لتعرفه وتسبح بحمده والغاية التى اختارها الله تبارك وتعالى هى معرفة الله تبارك وتعالى والإذعان لله وعمارة الأرض .

ومصدر المعرفة هو العلم الإلهى فقد بعث الله تبارك وتعالى الرسل بالمعارف التى تثرى حياة الإنسان وترده عن المفاسد والمهالك وتأتى معرفة عالم الشهادة بمعرفة فطرة النفس البشرية وقدرتها ومعرفة بالأرض وطبيعتها ووسائل استعمارها .

وهذا المفهوم الإسلامى للمعرفة بين زيف مفهوم الفلسفة الإغريقية وقدم المنهج التجريبى الذى قامت عليه الحضارة الإسلامية والذى انتقل بعد ذلك إلى أوربا حتى إن بيكون اعترف بأن المعرفة هى التى قدمها العرب لعلومهم فكان (المنهج التجريبى) هو مصدر الحضارة الغربية وإقامة المنهج العلمى .

كما كشف المفهوم الإسلامى للمعرفة ، أن دورة الحضارة تخضع لسنة من سنن الله تبارك وتعالى العاملة فى فلكه ، ومن ثم فلا توجد قوة على ظهر الأرض تستطيع منعها حين تبدأ الدورة التالية حيث يتمثل دور الغرب فى الإضافة أما الأساس فقد وضعه الإسلام للحضارة . فهو إيمان بمفهوم التوحيد الخالص (لرد الأمور إلى مصدرها) وأخلاقية العلم والحضارة (......) .

★ ★ ★

إن الفارق بين الفكر الإسلامى والفكر الغربى هو : الربط بين الوحى والعقل فى الإسلام بينما يفصل الفكر الغربى بينهما فقد فصل فرويد بين العقل والجسم وفصل بين الجسم البيولوجى وبين علم النفس السيكولوجى ، وظلت الفلسفة تفصل بين العقل والوجدان .

إن فكرة تجزئة الإنسان وتمزيقه إلى وحدات معزول بعضها عن بعض يتناقض مع الفطرة الإنسانية إذ أن الإنسان فى مفهوم الإسلام غير قابل للتجزئ والفصل وملكاته متعاونة

ومتكاملة ، وقد أدى هذا إلى فقدان التوازن حيث تضخمت النزعة المادية الإباحية بينما ضمرت النزعة الدينية والأخلاقية .

يقول الدكتور أبو الوفا التفتازانى : لم يختلف الفكر الإسلامى فى مختلف عصوره عن الاتجاه الذى يربط بين نظر العقل وأحكام الوحى فكان علماء التوحيد حريصين على إثبات ما جاء به الوحى من عقائد بواسطة النظر العقلى .

فقد بيّن ابن تيمية موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول ، حيث لاينبغى أن يتطرق إلى الذهن أن ما جاء به الإسلام من عقائد وأحكام يتعارض مع العقل وكيف يتعارض وقد عرض القرآن عقائد الإسلام على العقل ودعاه إلى مناقشتها لتمييز الحق من الباطل ودلل عليها بالحجة الواضحة كما يذكر العقائد المخالفة لها ثم يكر بالحجة عليها .

أما مفاهيم العلوم الغربية فهى مناقضة للإسلام حيث تنطلق من الإلحاد وأن أغلب مذاهب الفلسفة الأوربية الحديثة والمعاصر- تسير فى غير اتجاه الدين .

إن انطلاق العقل فى أوربا فى اتجاه مضاد للدين هو رد فعل لاضطهاد الكنيسة للمفكرين ، وإن الفكر العقلانى الحر الذى يسير فى طريقه مستقلاً عن الوحى وتعاليمه مخالف أيضاً للإسلام ، فإن العقل فى الإسلام مقيد بالوحى وإذا كان العقل يخطئ ويصيب فإن النبى ﷺ متى جاءنا من عقائد وأحكام عن طريق الوحى معصوم من الخطأ .

ولذا يجب دائماً تصحيح مايصل إليه العقل على أساس ماجاء به الوحى ولاريب أن التشكيك فى المنقول تشكيك فى الوحى وما جاءنا من رسول الله ﷺ من قرآن وسنة .

ودعوة الإسلام استعمال العقل فى النظر والاعتبار ﴿ **فاعتبروا يا أولى الأبصار** ﴾ [الحشر : ٢] . لاتعنى أن العقل يتقدم الشرع لأن ملكات الإنسان ومنها العقل الاستدلالى محدودة ولأن العقل لايكون فى كل حالاته بمعزل عن الهوى أو العاطفة .

إن أبرز معالم الفكر الإسلامى : التوازن بين الروحية والمادية ، والتكامل بين القيم وإن أبرز أهداف الفلسفة المادية هى محاولة هدم النبوة والغيب ، وإن أخطر مايهدم المنهج العلمى العربى هدماً شديداً ويثير كل أسباب الاضطراب والخوف واليأس هو موقف الفكر الغربى من وجود الله تبارك وتعالى وفساد وجهتهم فى تأليه الطبيعة بديلاً عن الله جل شأنه .

هذا المفهوم للنظرية المادية هو الذى يصبغ مختلف النظريات والعلوم والمفاهيم بصبغة

مظلمة وهو الذى يفرض على منهج المعرفة طابعه الانشطارى بينما يقدم الإسلام منهج التوحيد الخالص والإيمان بالله وتكامل القيم فنظرية المعرفة الإسلامية تجمع بين العلم والدين ومفهوم المنهج فى الفكر الإسلامى يقوم على الدليل والبرهان ومحاربة الظن .

إن كل هذه المذاهب المطروحة على الساحة من (مادية ووجودية وماركسية وعلمانية) تتسابق على تقديم بديل مضلل عن قدرة الله وسلطانه ، حيث ترجع مدرسة الاجتماع الفرنسية (دوركايم) الأمور لسلطان المجتمع وحاكميته بينما ترى المدرسة الماركسية أن الأمور الاقتصادية ممثلة فى الصراع الطبقى ونتائجه المحتومة .أما الطبيعيون فينسبون إلى الطبيعة الخلق والحركة وكل شىء ولقد كان المتصور أن المنهج التجريبى سيحرر الفكر من الماديات ولكن مناهج الطبيعة والبيولوجيا وعلم الإنسان وكل ما يتصل بالخلق فيما تقدمه العلوم الحديثة هى تصورات خاطئة من خلال نظرية دارون وغيرها على نحو يجعل هناك ثنائية متعارضة مع مفهوم الإسلام لكل هذه القيم .

قدم الفكر الغربى علوماً زائفة لهدم الدين بعامة والإسلام بخاصة منها :

(١) نظرية النسبية الاجتماعية .

(٢) نظرية التطور (دارون) .

(٣) نظرية الجنس (فرويد) .

(٤) التطور المطلق والتطور الاجتماعى (سبنسر) .

(٥) مادة التاريخ (ماركس) .

(٦) إلغاء الفطرة والدعوة إلى بشرية الدين (دوركايم) .

(٧) إحياء الأسطورة (فريزر) .

(٨) الدعوة العنصرية وإعلاء الجنس الأبيض والآرى : (جوبنيو)

(٩) إطلاق الحريات وهدم الضوابط : الوجودية : (سارتر).

يقرر الفلاسفة أن المادية جاءت نتيجة غلو الكنيسة الشديد فى رهبانيتها المبتدعة التى أهملت الجانب المادى فى الإنسان من جهة والتى غالت فى جانبه الروحى من جهة أخرى مغالاة انتهت إلى رفع الإنسان من بيئته البشرية إلى مرتبة الألوهية تماماً كما فعلت المذاهب الوضعية فيما قبل التاريخ .

أمثال البوذيين والكرشيين (كرشنا) والهنود الذين رفعوا كرشنا وبوذا إلى مصاف الآلهة ، وكانت هذه المغالاة العامل الرئيسى ، والسبب المباشر فى انتشار فكرة التطور المادية ، وهى فكرة أبى أصحابها الاعتراف بمبدأ الخالقية ومايترتب عليه من استغلال الإنسان فى نشأته على الرغم من تصريحاتهم الصريحة بخلو فكرة التطور وخوائها من أى دليل إطلاقاً على وجه الخصوص إن أصحاب نظرية التطور يؤمنون بها كبديل عن الإيمان بالخلق المباشر الذى يرفضونه تماماً .

ويرى آخرون أن نظرية دارون كانت بمثابة ثورة حقيقية على الأوضاع ، وكان مبدأ الانتخاب الطبيعى مبدأ بيولوجياً فى الأرض ولكنه ترك أثره على العلم الكلى ، فقد دفع العلماء فى القرن ١٩ إلى البحث عن أصول الأشياء ، وظهرت كتابات كثيرة تناولت أصل اللغة وأصل الحضارة وأصل المجتمع وأصل العائلة وأصل الدين بنفس الطريقة التى تناول بها دارون مشكلة أصل الأنواع ومبدأ الانتخاب الطبيعى الذى يعرف عن الناس بمبدأ (البقاء للأصلح) ، وهو تعبير صدر عن هربرت سبنسر وليس عن دارون .

والمعروف الآن أن عدداً من الولايات الأمريكية ترفض تدريس نظرية التطور فى المدارس الثانوية إلا إذا درست إلى جانبها قصة خلق العالم كما ورد فى الكتاب المقدس ، واليوم تكسب فكرة الخلق مزيداً من الأنصار والمؤيدين فى أمريكا حتى بين صفوف العلماء .

وقد ظهر اليوم علم جديد هو علم الخلق اعتمد فيه العلماء على الحفريات والبحوث البيولوجية والأنثربولوجية .

قد أدلى سبعة من كبار العلماء قدموا بطلان نظرية التطور وصدق نظرية الخلق ، وصدر الحكم بتدريس قصة الخلق فى المدارس كجزء من التربية الدينية ، ونتيجة لذلك انخفضت المادة الموجودة فى الكتب البيولوجيا المقررة على المدارس الثانوية من ١٣٧٣ كلمة إلى ٤٥ كلمة فقط ، وهذا معناه فى الأخير انتصار فكرة الخلق وقد أفلح أنصارها فى تغيير الكتب والمعلومات التى يتلقاها النشء على الرغم من فشلهم فى الحصول على حكم رسمى من القضايا باعتبار القصة الدينية نظرية علمية .

واتسع النقد لنظرية التطور (الداروينية) :

قال العالم الفرنسى (باستير Pastear) :

إن ما قام به دارون وأتباعه فى تفسير أنواع الحياة تفسيراً تطورياً ليس إلا مبنياً على ظنون وافية لوجود بعض التقارب والتماثل فيما بين هذه الأنواع ، إن نظرية التطور نظرية غير وافية .

وقد أعلن عدد من المتأخرين لنظرية النشوء والتطور هم من الماديين وغيرهم رفض هذه النظرية ونسبوها على افتراض كاذب أو أسطورة من الأساطير .



الباب التاسع

الاستشراق والأديان

كشفت المستشرقة الفرنسية (آن مارى ويكلامير) أستاذة الدراسات الإسلامية بجامعة باريس النقاب عن حقيقة الدور الذى تقوم به الكنيسة ولا تزال تقوم به ضد الإسلام والمسلمين وكيف استطاعت توجيه المستشرقين وكبار الأدباء فى الغرب فى القرون الماضية لخدمة أغراضها فى تشويه الإسلام فى العالم .

وقالت إن صورة الإسلام فى المجتمع الغربى سيئة جداً فالغربيون لايعرفون إلا القليل عن الإسلام ويجهلون كثيراً من الحقائق عنه وعن نبى الإسلام ﷺ وفى أغلب الأحيان يتجاهلون الحقائق التى تصل إليهم .

كتب الفونس لامرتين عن النبى ﷺ يقول : [ما أقدر وما أعظم هذا الرجل] وأخذ يتهم الرسول اتهامات باطلة فى كتابه الكوميديا الإلهية (جهنم) وتقوم اتهامات المستشرقين على نظرة عاطفية لا علمية فى نفس الوقت الذى يدعون فيه أنهم يصدرون عن موقف عقلانى علمى بينما هم يرفضون الإسلام فى حكم مسبق ويرجع هذا إلى مسئولية الكنيسة التى لعبت دوراً كبيراً فى توجيه المستشرقين والأدباء حيث يتعرض البعض منهم لضغوط كبيرة من جانب الكنيسة تصل إلى حد الاضطهاد وقد حاول رجال الكنيسة أن يمنعونى من دراسة الإسلام وتشريعاته واليسوعيون فى لبنان لا يريدوننى أن أذهب إلى الجامعة ، والكنيسة الآن تعلن أنه لافرق بين الأديان ، والإسلام والمسيحية سواء .

فإلى أى حد يبلغ مدى جدية فكرة الحوار التى تطرحها الكنيسة .

والكنيسة لها موقف رسمى معلن إنه ليس هناك فرق بين الأديان ولكنهم فى صميم القلب هم يرفضون الإسلام .

وتقول الدكتورة آن مارى ويكلامير : حقيقة بعض المستشرقين شياطين وهؤلاء غالباً من أصل يهودى وأنا أتعامل مع كتاباتهم عن الإسلام ونبى الإسلام بحذر شديد ولها كتاب تحت عنوان (محمد مبعوث الله) موجه خصيصاً للفرنسيين الذين لا يعرفون شيئاً فيما يتعلق بنبى الإسلام ولها كتاب عن المرأة فى الإسلام .

والسؤال هو : هل تغيرت صورة الإسلام فى الغرب بعد اتجاه عدد كبير من المفكرين

إلى اعتناق الإسلام ؟ الناس يخافون كثيراً من الدين الإسلامى وينظرون إليه على أنه دين التعصب والتشدد .

انهيار الفلسفات المـادية

جاء العصر الحديث بكل تلك الثروة الخطيرة من المذاهب الأوربية العلمانية حيث أخذ أتباعهم العرب يشكلون من النظريات المـادية فلسفة تعتمد على مذهب التطور (داروِن) كقاعدة وجاءت مذاهب فرويد وماركس وسارتر لتقدم تصوراً قوامه الفكر المادى التلمودى الذى انبعثت منه المـاركسية .

وقد شهد كتاب (برتوكولات صهيون) بأنهم اعتبروا (داروِن وماركس وسارتر) وهم من اليهود فى مقدمة قافلة الفكر الحديث فأصبح كُتاب العلمانية يقسمون أنفسهم على المذاهب كل منهم تابع لفكر أجنبى .

زكى نجيب محمود : الفلسفة الوضعية والوجودية .

طـه حسين : الفلسفة الاجتماعية .

سـلامـة موسى : الفلسفة الفرويدية .

لويس عوض : المـاركسية .

وكان قوام الفكر المـادى هو إنكار كل ما يتصل بالدين والوحى والغيب والنبوة .

وقد ظهر فى هذه المرحلة عدد من الفلاسفة الغربيين : سان سيمون ، أوجست كونت ، كارل ماركس ، هربرت سبنسر ، سارتر . قوام فكرهم التمرد على الإله الحق وهدم صروح الإيمان بمعاول أقلامهم وهدم الرموز الدينية .

قال رشدى فكار فى كتابه (نهاية العمالقة) باللغة الفرنسية : إنه كان هناك تطلع إلى العمالقة كقدوة وكمثال بالنسبة لإنسان باحث عن الحقيقة ، ثمة علامة استفهام كانت تلوح دواماً بعد قراءتى لأفكار متعددة ، لحضارة الغرب انطلاقاً من الفكر الماركسى والوجودية أين الذات ؟ وإلى أين تسير ؟ وما هى الغاية وتفسير الوجود ؟ وحقيقة الخلق والخالق ؟ .

وكانت محاولة اكتشاف القوانين التى تتحكم فى الكون لمعرفة أسراره ظنّاً منهم أنهم قادرون على فك طلاسمها وكيف وصلوا إلى دائرة مفرغة عادوا من دورانهم إلى نقطة البدء

حيث ينحنى جبروت العقل أمام أسرار اللانهائية فاعترفوا جميعاً بعجزهم عن التحدى والمواجهة أو بالإيمان الضبابى المقنع أو الواضح بلا أقنعة .

ولما عجز الفلاسفة الماديون عن الوصول إلى الحق (سان سيمون أو أوجست كونت أو سارتر أو كارل ماركس)ولما اقترب سارتر من الموت طلب قسّاً متواضعاً من قرية متواضعة وجاء القس واعترف له بهزيمته .

قال فكار : إن الإيمان جزء لا يتجزأ من نفس الإنسان وأنه من المستحيل عليه أن يكون ملحداً حتى ولو ادعى ذلك حتى ولو أراد .

إن رحلة الشك تدور فى حلقة دائرية ليعود إلى نقطة البدء وهو الإيمان المطلق أو إلى العجز والإفلاس وعدم القدرة على مواصلة الطريق .

وسرعان ما تحولت الفلسفة المعاصرة إلى الإنسان لتؤكد على حرية تفكيره وحقوقه ولم تلبث أن دعت إلى إطلاق رغباته وشهواته ، وبذلك قطعت صلة الإنسان عن منبع الإيمان وشغلته بالأهواء والمطالب الرخيصة التى تحرمه العواطف الإنسانية (الطهر والعفاف) ودفعته إلى الاهتمام بالمحسوسات المادية وبالجوانب الظاهرة التى تزيد الثروات والمواد البراقة فى الحياة الدنيا دون أن يكون له أى قيمة للمثل الخلقية والفضائل الإنسانية .

وهكذا وجد المسلمون فى التجربة الغربية فشلا شديداً وزيفاً كثيراً ، لقد فشلت التجربة الغربية وفشلت التجربة الماركسية وظهر زيف هذه الفلسفات والاتجاهات المـادية .

★ ★ ★

وما تزال المفاهيم الاشتراكية الشيوعية التى وضعها كارل ماركس وتابعه الفريد إنجلز ثم لينين وستالين وماوتسى تونج ما تزال حصيلة أوهام ومغالطات فكرية واقتصادية واجتماعية كان مقصوداً بها هدم الفكر الدينى عند بنى الإنسان قاطبة ، وكان بعضه تردد به خداع بعض المفكرين العقديين بالكلام المعسول بقصد تخريب عجلة التقدم الإنسانى وسحبها بعيداً (صراع الطبقات) حتى تبقى القلة اليهودية من بنى البشر هى المتحكمة فى مصير الإنسانية كلها .

وقد كان مصدر انهيار المنهج الاقتصادى والاجتماعى فى الغرب كله (فى الوجدان والعاطفة كما فى العوامل الاقتصادية) حيث ارتبط المنهجان الليبرالى والماركسى بالمنهج

المـادى الخالص حيث يربطون الحياة الإنسانية بالعوامل الاقتصادية ويلغون فوارق الطبقات والملكية الشخصية والدين والأخلاق بجرة قلم واحدة ولم تلق هذه الفلسفة المـادية أى نجاح فى أى فترة من تاريخها ، ولم تعش إلا ما يقارب سبعين عاماً بين رفض وفرض وإنكار وإلزام . وقد سقطت الشيوعية فى وقت اشتغلت فيه الصحوة الإسلامية واكتسحت موجاتها الجبال والبحار وحطمت حواجز القارات والمحيطات وتحولت إلى جبهات موسعة للدعوة إلى الله تبارك وتعالى وإعلاء كلمة الله وتعريف العالمين أن الإسلام ما يزال هو الملجأ الوحيد من كل استعمار فكرى أو نفوذ اقتصادى .

ولقد كان هذا مصير كل دعوة أو حركة تقوم على أساس الفكرة المـادية التى تفقد الأصالة وتعتمد على النعرات المحلية .

وكان الغرب خلال القرن العشرين كله قد تبجح بالفلسفات المادية والنظريات العنصرية وظن أنه هو المنقذ الأول والوحيد للإنسان اليائس المقهور على أن الرؤية الغربية نحو الكون والحياة والإنسان لا تعدو الأعراض المادية إلى شئ آخر من القيم والفضائل والعلاقات بين الإنسان وربه وبين الإنسان والإنسان .

والغرب كذلك يعمل على تقديس العلاقات المـادية ويفسر التاريخ بالمفاهيم المـادية مع إغفال العوامل المعنوية والخلقية الأخرى التى منحت الإنسان مكانة ممتازة فريدة بين الخلق كله (سعيد الأعظمى) .

★ ★ ★

ولقد وضح أن دعاة الفلسفة المـادية فى بلاد المسلمين قد فصلوا بين الدين والدولة من ناحية وبين المجتمع والدين من ناحية أخرى .

فقد دعا الإسلام إلى تزكية النفس ودعوة النفس إلى البر والتقوى ورددوا مقولات الملاحدة والعلمانية الذين يقولون أن الأخلاق تابعة للمناخ ولقد أخذوا برأى إخوان الصفا الذين تابعوا الأفلاطونية ، كذلك فإن الفارابى لم يخرج عن نظرية الأخلاق التى جاء بها اليونان وعما قبله إخوان الصفا ، وكان ابن سينا قد جمع آراءه فى الأخلاق من سقراط ثم أفلاطون وأرسطو . أما ابن باجه فقد جعل الأخلاق بمعزل عن الدين فى حيز العقل وحده ،

ويعتقد الباحثون المنصفون أن المدنية الغربية ستزول بعامل الانحطاط الأخلاقى .

ولا شك أن اضطراب الفلسفة الغربية سواء فى مجال الغرب أو مجال الماركسيين قد عجزت عن حل مشاكل الإنسان وحريته بالنسبة للإرادة وصلتها بالإرادة الإنسانية ، وأن العلم رغم تقدمه فقد أعلن عجزه عن فهم هذه المسائل وتلك القضايا . الأمر الذى يؤكد الحكمة الإلهية العظمى وضرورة العودة إلى الدين فى الأمور الغيبية والميتافيزيقية .

★ ★ ★

ويقول الدكتور أحمد عبد الرحمن : لقد وقفت الفلسفة الأوربية عاجزة عن إصلاح أدواء العصر بل كانت أحد الأسباب الرئيسية لتفشى هذه الآراء فنزعتها المادية وإباحتها للبغاء والممارسات الجنسية خارج رباط الزواج وإحتفائها باللذات الجسدية والسعارات الحسية كل ذلك أورث العصر عدداً مهولاً من التشوهات المناقضة للقوى العقلية والخلقية وخلف الملايين من أبناء السفاح ثم عادت الفلسفة تحاول أن تلعق الجراح .

فإذا جئنا لأمراض العصر وسلبياته وجدنا أن الفكر الإسلامى القرآنى الملتزم هو وحده القادر على تقديم طوق النجاة للبشرية . إنه هو الذى يملك القيم العليا الأخلاقية الكفيلة بصناعة الإنسان النبيل الذى يؤثر أخاه الإنسان على نفسه الذى لا يبادر على سلبه ، والذى يؤمن بموعود الله تبارك وتعالى .

لقد قدمت العلوم المادية قوى هائلة للإنسان ، ولكنها لم تزوده وليس بوسعها أن تزوده بالقيم العليا ، وأن توجهها وتسخرها لصالح الإنسان .

كل هذا يؤكد أنه لا يمكن أن تقوم للعرب والمسلمين قائمة دون الإسلام فهو وحده القادر على إعطائهم الشخصية المميزة فإذا توافرت لديه هذه القناعة أصبح من السهل إعادة تشكيل الشخص المسلم بواسطة رؤيا إسلامية أصيلة تتصل بالقيم ومناحى الفكر والسلوك والنظم الاجتماعية وغيرها وعندها فقط يستطيع العرب والمسلمون أن يحلوا أزماتهم والوقوف فى وجه الغرب كقوة عظمى تنافسه .

وقد أدرك الغرب هذه الحقيقة من زمن بعيد ، فهم يرون أن المسلمين وحدهم هم الذين يمثلون الخطر الداهم الحقيقى على الحضارة الغربية لأنهم فى وسعهم إذا توافرت لهم الظروف أن يقدموا البديل عن هذه الحضارة وهم يرون أن الوسيلة الوحيدة لتجميد العملاق

العربى وإبقائه فى قيوده هى الحيلولة دون استغلاله فى إمكانياته الاقتصادية والأمر الثانى أن تحول دون إحيائه لتراثه الثقافى وبناء مجتمعه المستقبلى فى ضوء هذا التراث .

وهكذا أسفرت كل المحاولات التى قصد بها تغريب الفكر الإسلامى إلى إعطائه قوة جديدة لتجديد الشريعة الإسلامية والعودة الجادة إلى الثقافة الإسلامية .

★ ★ ★

إن أبرز مظاهر الفلسفة الغربية المعاصرة هى :

(١) التمرد على الله تبارك وتعالى .

(٢) هدم صروح الإيمان فى النفوس .

(٣) إعلاء استغناء الإنسان المعاصر عن عطاء الأديان .

(٤) الادعاء بأنهم أصبحوا قادرين على اكتشاف القوانين التى تحكم الكون .

ولقد وجدت هذه الفلسفات من كشف زيفها ورد عليها وهوت كل النظريات الإسقاطية التى حالت دون جدوى إدماج الإسلام فى إطار النصرانية والتعامل معه على أساس أنه دين ينحصر فى إطار العلاقة بين العبد وربه ولا يتجاوز ذلك إلا فى بعض السلوكيات .

★ ★ ★

الاستشراق وإحياء الدعوات الهدامة

الاستشراق والفكر الغربى والفكر الماركسى

أجمعت الأبحاث الصادقة أن الاستشراق ليس علماً بأى مقياس علمى ، وإنما هو عبارة عن أيديولوجية خاصة يراد من خلالها ترويج تصورات معينة عن الإسلام بصرف النظر عما إذا كانت هذه التصورات قائمة على حقائق أو مرتكزة على أوهام وافتراضات وأن الدارس لأعمال المستشرقين لا يحتاج إلى بذل جهد كبير ليرى تعمدهم تزييف الحقائق واللجوء إلى منطق فاسد للوصول إلى نتائج تهدف في النهاية إلى رسم صورة مشوهة سقيمة عن الإسلام فى نظر القراء الغربيين وإلى زلزلة عقيدة الإسلام وتمييعها فى أعين أبنائها من المسلمين .

وقد ظل الفكر الاستشراقى عبر السنين ومن خلال الجامعات يتحكم فى تشكيل الصورة التى يفهمها الغرب عن الإسلام وظلت الكتابات الاستشراقية هى قفازات حريرية تخفى اليد الحديدية للغرب حيث يدرس الإسلام من أجل السيف ، وكانت الهجمة الاستشراقية من الصف بحيث وضعت معظم الفكر الإسلامى فى دائرة الدفاع أو الاعتذار أو الشعور بالنقص .

وقد بدأ علم الاستشراق على معلومات جمعها مبشرون ومكتشفون وتجار وجنود ومغامرون لم يكونوا متخصصين لا فى المناهج العلمية لجميع المعارف ولم يستطيعوا التخلص مما فرض على ثقافتهم القومية (المسيحية ، الغربية ، العنصرية ، الاستقلالية) وقد عمل أكثرهم تحت التوجيه المباشر لسياسيين وعسكريين غربيين مثل (كرومر واللنبى وكتشنر) .

ويؤكد إدوارد سعيد فى كتابه عن الاستشراق على مقولتين :

الأولى : أن الاستشراق لم يقم أساساً على معلومات موضوعية ولا على جهود متخصصين ثم إنه تطور حتى بعد حصوله على المعلومات الموضوعية وبعد ظهور المتخصصين بوصفه جزءاً من جهاز الفتح والحكم الاستعمارى .

الثانية : أن الاستشراق قام لصياغة تصورات مغلوطة ووعى عن الشرق الإسلامى

تصوراً يستند إلى فلسفة تقسم البشرية إلى قسمين : نحن الغرب وهم الشرق وهو تصور يؤدى إلى فهم الغرب للشرق باعتباره أعجوبة تاريخية تستحق أن تقتنى أو تملك ثم تستحق بعد ذلك أن ترغم على أن تفهم نفسها باعتبارها أعجوبة شاذة وليست مجتمعاً وأنها حضارة إنسانية لها أسسها الثقافية وأبنيتها الاجتماعية المتغيرة ، وعلى ذلك فإنها تستحق أن ترغم على التخلى عن كل خصوصيتها وملامحها الخاصة أو تحاول اكتساب الحضارة الوحيدة الممكنة التى هى حضارة الغرب .

وهم يعملون أساساً على حجب الإسلام وتقديم العروبة والهند والفرس والترك ومن المنظور الخاص بهم يعتقدون أن الإسلام كلمة تكفى للإشارة فى وقت واحد إلى الدين الإسلامى وإلى دول العالم الإسلامى سياسيًا وحضاريًا واقتصاديًا وإلى ثقافة إسلامية واحدة (أى إن كلمة الإسلام فى الاستخدام الغربى سواء فى وسائل الإعلام أو البحوث الأكاديمية أو فى كتابات المفكرين السياسية ومحللى التاريخ الحضارى وعلماء الاجتماع كلمة تستخدم لإخفاء (الوهم) أو المغلوط الذى يحاول هؤلاء ترويجه بين جماهيرهم فى الغرب وبين جماهيرهم فى مجتمعات أخرى تستخدم وهى كلمة تستخدم لتدل على الموقف الأيدلوجى أى الموقف الفكرى المسبق والجامد الذى تتخذه أجهزة الإعلام ومؤسسات البحث الأكاديمى فى الغرب إزاء العالم الإسلامى .

إنها كلمة تخفى الجهل العمدى أو الكفائى الذى تتمتع به هذه الأجهزة وهى كلمة تخفى تجاهل موقع العالم الإسلامى بين أندونيسيا ونيجيريا (التى يسميها هلال الأزمة) يستعمل أهلها مائة وخمسين لغة يمتد تاريخها لأكثر من خمسة آلاف سنة امتزجت لدى شعوبها بتعاليم الإسلام وتراثها الحضارى الخاص فأنتجت أنماطاً حضارية بالغة التمايز وعميقة الوحدة فى الوقت نفسه) .

ويقول الدكتور إدوارد سعيد فى كتاب عظماء الإسلام : إن الإسلام يتغير من مكان لآخر ، وإنه يبلور نفسه ويتكيف تبعاً للمناطق الجغرافية الشاسعة التى يغطيها العالم الإسلامى وتبعاً لنوع الثقافات فى هذه المناطق جزئياً فهو يقبل الفكرة القائلة : إن من الواجب على الإسلام أن يتفق إلى حد ما مع المفهوم الغربى القائل بأن الإسلام قد طمس معالم كل حضارة اتصل بها (وليس صحيحاً فإن تلك الثقافات التى خضعت للحكم الإسلامى قد قامت بعمل بعض التعديلات الثقافية لتتوافق مع المبادئ الأخلاقية للدين الإسلامى) مثل

أركان العقيدة ، حجاب المرأة ، منع اختلاط الجنسين ، الروابط الأسرية ، الطعام الحلال ، الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

ويؤكد إدوارد سعيد أن الكتب التى عالجت الشرق العربى والتى صدرت من سنة ١٨٠٠ إلى ١٩٥٠ تقدر بـ ٦٠ ألف كتاب تقريباً يتميز بما يتميز به الاستشراق كليًّا بالعدوانية كأداة ثقافة ؛ ويقول : إن الطلاب العرب الذين يدرسون فى أوربا خصوصاً فى الولايات المتحدة هم ضحايا هذا الاستشراق الذى يسود الجامعات هناك ، وبما أن الاستشراق يعلمهم فيما يعلمهم أن العقل العربى يتميز بالدونية عند مقارنته بتفوق العقل الأوربى وبسمات ثابتة جامدة متخلفة تتناقض مع الحضارة الحديثة .

وهذه المقولة الباطلة كاذبة مضللة ولكن بعض الذين درسوا فى الغرب يقولون هذا الكلام للمسلمين اليوم .

★ ★ ★

وقد حرص الدكتور إدوارد سعيد على كشف حقيقة الاستشراق فيما جمعه عن الباحثين الغربيين فيقول (هاريدريفن) : الهدف من الاستشراق ودراسات المتخصصين الغربيين للشرق الأوسط هو خدمة الإمبريالية الغربية أى أن الهدف هو فرض المصالح الغربية على العالم الإسلامى وقد استخدمت الحكومات الاستعمارية المستشرقين كعملاء للسيطرة الغربية .

وقد ظل الفكر الاستشراقى عبر السنين ومن خلال الجامعات يتحكم فى تشكيل الصورة التى يفهما الغرب عن الإسلام .

ويقول السيد أبو الحسن الندوى : إن طائفة كبيرة من المستشرقين كان دأبها البحث فى مواضع الضعف فى الشريعة الإسلامية والحضارة والتاريخ الإسلامى وإبرازها لغاية سياسية أو دينية فترى كثيراً من المستشرقين يركزون كل جهودهم ومساعيهم على تعريف مواضع الضعف فى تاريخ الإسلام ومجتمعه وتقديمها فى صورة مروعة مضخمة .فيثيرون بذلك فى قلوب قادة العالم الإسلامى ورعاته شبهات حول الإسلام بحيث يحدثون فى نفوس الباحثين يأساً من مستقبل الإسلام وسوء ظن بحاضره .



ولقد عمل الاستشراق على البحث فى الفكر الإسلامى عن بعض العناصر والأسماء بينما يكره عناصر أخرى وأسماء أخرى وما يكرهونه هو الأصل وما يتجاهله من الأعلام هم أصحاب الأقلام الكريمة الذين هاجموا التبعية للفكر اليونانى والشعوبية ، إنهم يحيون الاعتزال والتصوف الفلسفى والشعر الإباحى ويكرمون أبا نواس وابن عربى والحلاج ويكرهون ابن تيمية والغزالى والمتنبى هؤلاء المستشرقون المتعصبون أمثال جورج سسيل وسنوك هرجرنجى ، ما سينون ، ماكدونالد ، صمويل زويمر ، الفردجيوم ، مونتجمرى وات ، كينيت كراج ، ولقرد شميث ، برنارد لويس ، هؤلاء الذين حملوا لواء الدعوة إلى :

(١) تشجيع التنصير .

(٢) إضعاف اللغة العربية .

(٣) محاولة التفرقة بين العرب والبربر .

وقد صدرت للمستشرقين كتب ترجمت إلى اللغة العربية وأحيطت بقدر كبير من الإهتمام لفرض مفاهيمها على المسلمين وفى مقدمة ذلك كتاب (ف . بودلى) عن الرسول ﷺ ترجمة عبد الحميد السحار ومحمد فرج وكتاب تفسير جديد للتاريخ الإسلامى ترجمة م . شعبان وكتاب العرب والإسلام والخلافة العربية فى العصور الوسطى للمؤرخ الروسى : بليانتف ، ترجمة أنيس فريحة ومنها العقيدة والشريعة (جولد زيهر) وحياة محمد لأميل درمنجم وكتاب العرب والشرق الأوسط لبرنارد لويس .

وقد أشار فيه عن الباحثين أن لامنس وأمثاله تتفجر كتاباتهم حقداً على العرب والإسلام وتولى إنكار فضل الغرب على قيام الحضارة الإسلامية .

وقد عمد المستشرقون إلى ترجمة ما يرضى أهواء الاستعمار الغربى ، وأن مايدرس هو ما يكشف عن تبعية الفكر الإسلامى للفكر اليونانى .

★ ★ ★

قال دكتور سيد أمير على الهندى : إن هؤلاء المستشرقين اعتبروا معنى الانقياد الذى يشير إليه لفظ (إسلام) انقياداً مطلقاً لا إرادة ولا حدود لسلطانه فجاء يبين فى كتابه روح الإسلام إنه ليس فى استعمال كلمة إسلام لغة وشرعاً ما يدل على معنى الانقياد المطلق والخضوع المتضمن لمعنى الجبر مؤكداً أن معنى الإسلام الشرعى هو التوحيد وإخلاص الوجهة لله تبارك وتعالى .

الاستشراق والقرآن الكريم

ليس من المبالغة فى شئ أن نقول إن القرآن الكريم بوصفه كتاب الله الذى ﴿ **لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه** ﴾ [فصلت ٤٢] والنص الموثق الباقى على الزمان بعد أن أصاب الكتب كلها التزييف والتحريف ، كان الهدف الأساسى والأكبر للحملة على الإسلام ، ومن هنا كانت تلك الحملة الضارية عليه من قوى متعددة : من قوى اليهودية والمسيحية والشيوعية جميعاً بوصفه المنار الثابت المستعلى على كل المنارات والتى تطمع كل القوى فى النيل منه أو إطفاء نوره .

ولقد امتدت محاولات التشكيك فى القرآن فى محاولة تحريف القرآن والنيل منه بينما أن القرآن هو عمود هذا الدين كله وهو كلمة الله تبارك وتعالى إلى خلقه ووحيه الخاتم الذى نزل علي خاتم أنبيائه وصفوتهم محمد ﷺ وقد حفظ الله تبارك وتعالى هذا القرآن ﴿ **وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم** ﴾ [الأنعام ١١٥] .

وقد كان من معطيات الإسلام هو تصحيح مادخل إلى التوراة والإنجيل من تحريف وتزييف ويرى الدكتور رمضان عبد التواب أن افتراءات المستشرقين على الإسلام جاءت لغرض استعمارى وهم عندما يكتبون عن الإسلام ينسون المنهج العلمى الذى يتبعونه فى دراساتهم، وترى الأحقاد والكراهية للإسلام وأهله توجه هذه البحوث هذا فضلاً عن تحريف النصوص وبترها أحياناً ولى أعناقها لخدمة أهدافهم وقد انبرى للرد عليهم كثيرمن علماء العربية والإسلام .

قدم كثير من المستشرقين دعاوى باطلة فى مقدمتهم جولد زيهر الذى ادعى أن الإسلام لم يوحد العرب ، وأن فكرة الإسلام عند الله أدنى من فكرة الأديان السابقة (وهذا قول باطل) وكذلك قوله إن فضائل الإسلام منقولة من الديانات القديمة وقد تمثلت أخطاء المستشرقين فى وقائع واضحة .

فقد أفسد مرجليوث مفهوم علاقة القرآن بالشعر الجاهلى على النحو الذى نقله عنه الدكتور طه حسين فى دعواه الباطلة عن انتحال الشعر . كما أفسد مرجليوث مفهوم علاقة الخلافة الإسلامية بالحكم الإسلامى على النحو الذى نقله عنه الشيخ على عبد الرازق .

كذلك فقد أفسد جولد زيهر مفهوم تدوين السنة ، وأفسد شاخت مفهوم العلاقة بين العرف البدوى وبين الشريعة الإسلامية فى دراسات عريضة .

كذلك أفسد كثير من المستشرقين تفسير الفتوح الإسلامية ونسبوها إلى الجوع والخروج من أجل الغنائم .

كذلك اهتم المستشرقون بالقراءات فنشروا كتاب القراءات الشاذة لابن خالويه ونشر آرثر جفرى كتاب (المصاحف) لأبى داود السجستانى ، وكثير مما كتب عن رسم المصاحف ، وعمدوا إلى بث كثير من الشكوك حيال النص القرآنى .

وقد حرص المسلمون على حماية القرآن من الزيف الذى أصاب الكتب السابقة فأنشأوا علوماً لهذا الغرض :

- أصول القراءات لقراءة القرآن الكريم قراءة صحيحة .
- النحو والصرف لضبط ألفاظه .
- علم التفسير لفهم معانيه .
- علم الأصول والفقه لاستنباط الأحكام .
- علم الطبيعة لدراسة الكون .

كما أنهم تجنبوا محاولات المستشرقين فى الدعوة إلى كتابة القرآن حسب ترتيب النزول أو حسب الإملاء الحديث .

★ ★ ★

ولقد تبين أن فهم الغرب لرسالة الدين مختلفة تماماً عن مفهوم الإسلام أولاً فى العقائد حيث يقصرون الصلة فى العقائد بين الله تبارك وتعالى وبين الإنسان وأنها علاقة شخصية لا صلة لها بالمجتمع ولا صلة لها بحركة المجتمع السياسية والاقتصادية .

وهذا المفهوم مغاير تماماً لمفهوم الإسلام الذى ينظر إلى الإسلام باعتباره ديناً ودولة ونظاماً وتشريعاً شمل الفرد والمجتمع سواء بسواء وحيث ينظر الغربيون إلى الأديان جميعاً على أنها ظاهرة مرحلية تلت مرحلة الوثنية ويتبعها مرحلة العلم وهى بهذا تعتبر الشعوب الراقية لاتحتاج إلى الدين أصلاً – حسبما يقول أوجست كونت ودوركايم .

هذا فضلاً عن أنهم ينظرون إلى نبى الإسلام ﷺ نظرة حاقدة تحكمها العلاقات المتوترة بين الإسلام والغرب عبر القرون ، كذلك فإنهم ينظرون إلى القرآن الكريم على أنه انطباعات نفس الرسول بما كان يدور حوله ويقع أمام عينيه والوحى ليس إلا وحياً من داخل النفس (أى من العقل الباطن وليس من رب العالمين) .

أما الشريعة الإسلامية فهم ينظرون إليها على أنها استمرار للفقه الرومانى أو مستمدة من النظام القبلى الجاهلى .

أما السنة النبوية فهم يزعمون أنها جمعت بعد وفاة النبى محمد ﷺ بوقت طويل وهى لاتعبر إلا عن أهواء ومصالح من جمعها .

★ ★ ★

* تشكلت الحملة التى قام بها الاستشراق على القرآن والإسلام من عدة عوامل واستمرت على مدى العصور يحمل لواءها الملاحدة من الفلسفات وكتابات الشعوبيين وتجمع كل أنواع الضلال والشك والكذب والتلفيق .

وجرت محاولة اتهام القرآن بما اتهمت به التوراة والإنجيل وتقوم على التقاط كلمات ونصوص متفرقة ومحرفة لاستغلالها فى هذا ، كما قاموا بإعداد ترجمات أقحم فيها بعض الآيات الموضوعة ، كما أنكروا حديث الأحرف السبعة وما ألف فى القراءات الشاذة .

تناول ذلك كله أمثال رجيس بلاشير فى كتابه (المدخل إلى القرآن) وكتاب المصاحف لآرثر جفرى وفى القرن الماضى جمع بعض كبارقسيسى ألمانيا جميع مخطوطات الإنجيل باليونانية (وهى الأصل عندهم كالعربية للقرآن) من العالم كله وقارنوا سطراً بسطر ، حرفاً بحرف فوجدوا تقريباً مائة ألف اختلاف فى الرواية فلما رأوا هذا أسسوا معهد البحوث القرآنية عام ١٩٣٤ فى جامعة ميونخ وأخذوا يجمعون نسخ القرآن فى كل أنحاء العالم وهذا لثلاثة أجيال متوالية وقد جمعوا اثنين وأربعين ألفاً من مخطوطات القرآن كاملة وبدأوا فى المقارنة وقبيل الحرب العالمية نشروا تقريراً قالوا فيه إنهم لم يجدوا إلى الآن أى اختلاف فى الرواية ما عدا بعض أخطاء الكتابة والاختلاف يوجد فى عدة نسخ بينما سهو الكاتب يتعلق بنسخة واحدة وتوقفت المؤامرة .



وقد كان هدف الفلسفة المادية التى تشكلت منها نظريات الماركسية والعلمانية القائمة

الآن فى الفكر الأوربى كله ترمى إلى محاولة هدم النبوة والغيب .، ومحاولة دراسة منهج الطبيعة والبيلولوجرافيا (علم الإنسان) وكل ما يتصل بالخلق وما تقدمه العلوم الحديثة من تصورات خاطئة من خلال نظرياتها .

كل هذا يهدف إلى التحرر من قيد الدين . وذلك بإعلاء العقل عن الوحى . والعقل ليس بمعزل عن العىّ والحصر .

أما دعوة الإسلام إلى العقل والنظر والاعتبار﴿ **فاعتبروا يا أولى الأبصار** ﴾ [الحشر ٢] فهى لا تعنى أن العقل يتقدم الشرع ؛ لأن ملكات الإنسان ومنها العقل الاستدلالى محددة لأن العقل لا يكون فى كل حالاته بمعزل عن الهوى أو العاطفة .

والعقل فى الإسلام مقيد بالوحى وإذا كان العقل يخطئ فإن الوحى يعصمنا من الخطأ لذلك يجب دائما تصحيح ما يصل إليه العقل على أساس ماجاء به الوحى أما عقائد الإسلام فهى لا تتعارض مع العقل وقد عرض الإسلام عقائد الإسلام على العقل ودعا إلى مناقشتها ليميز الحق من الباطل ودلل على ذلك بالحجج الواضحة .

★ ★ ★

تمثلت الفلسفة المادية المعاصرة (فى سان سيمون ، وأوجست كونت ،كارل ماركس ، هربرت سبنسر ، سارتر) وهى تقوم على معارضة الأديان وهدم صروح الإيمان وهم فى محاولة اكتشاف القوانين التى تتحكم فى الكون ظنّاً منهم أنهم قادرون على فك طلاسمها ، وقد وصلوا إلى دائرة مفرغة عادوا مع دورانها إلى نقطة البدء حيث ينحنى جبروت العقل أمام أسرار اللانهائية فاعترفوا جميعاً بعجزهم عن التحدى والمواجهة أو بالإيمان الضبابى المقنع .

يقول رشدى فكار فى كتابه (نهاية العمالقة) باللغة الفرنسية :

إنه كان هناك تطلع إلى العمالقة كقدوة ومثال بالنسبة لإنسان باحث عن الحقيقة ، ثمة علامة استفهام كانت تلوح دواماً بعد قراءتى لأفكار متعددة ، لحضارة الغرب انطلاقاً من الفكر الماركسى والوجودى والتصورى .

أين الذات ؟ وإلى أين تسير ؟ وما هى الغاية ؟ وتفسير الوجود وحقيقة الخلق والخالق وتميز [سان سيمون] عن باقى العمالقة فى مواجهة العقيدة .

وانتهى هذا العملاق إلى أن الهدف فى النهاية هو كيف يمكن للدين أن يتعامل مع

العلم ؟ بمعنى أن هناك إلهاً يتمثل فى قوة الطبيعة .

وهذا ما وصل إليه أينشتين فهو يقول : إن هناك إلهاً يدير الكون دون تدخل وهذا الاتجاه هو رد فعل فكر القرون الوسطى .

لذلك فإن سان سيمون أول من تخفى فى النهاية بعد أن كان أول من هاجم الدين مع شبابه ثم عاد فى النهاية ليعلن أن الدين والعلم كلاهما ضرورى لسعادة الإنسان والمجتمع انحنى للاعتراف بقدرة العقيدة وأصالتها فى الإنسان .

أما أوجست كونت فهو يتحدث عن استمرارية الدين فهو يرى أن الإنسان فى الواقع لجأ إلى مضمون الدين أو إلى علية الدين أمام عجزه عن تعريف بعض الظواهر فحاول أن يعلل مضمون المجهول الأول هو الدين الوثنى بمعنى (صنم العشيرة) أو القبيلة حتى تطور ذكاء الإنسان فى النهاية فقاده وقاده إلى الآلهة إلى الوحدانية وحاول كونت أن يطرح الدين بهذا المفهوم الوضعى البحت دون البحث فى تأملات أخرى فسقط هو بدوره فى قاع بلا قرار فى نهاية عمره لوحظ أنه تأزم وعاد ليطرح ديناً وضعياً للحالة الوضعية .

بمعنى أن الإنسان الذى سقط على الأرض لابد له من دين وضعى يتمشى مع قدراته العقلية والعلمية وقال قولته : (ويلى ويلى من حماقات الأديان) .

ثم بحث فى دين الإسلام وكان دائماً يرشحه فى النهاية كدين وضعى يتناسب مع حالة إنسان العصر الوضعية وقال إنه لا يمكن لدين أن يتمشى مع الحالة الوضعية إلا الإسلام لأنه (دين عار من الحماقات) يتميز أى الإسلام ببساطته وعقلانيته وبقدرته على إشباع الذات .

أما سارتر فعاد إلى الدين وقد قادته فلسفته إلى الهزيمة وقبل موته طلب أن يؤتى له بقس فلما طلب له الكردينال وهو فى ذهول من أمره قال إنما أريد قساً متواضعاً من قرية متواضعة وجاء القس واعترف له بهزيمته .

قال دكتور فكار : إن الإيمان جزء لا يتجزأ من نفس الإنسان وأن من المستحيل عليه أن يكون ملحداً حتى ولو ادعى ذلك حتى ولو أراد وأعلن مادام عاقلاً .

إن رحلة الشك تدور فى حلقة دائرية ليعود إلى نقطة البدء وهى الإيمان المطلق أو إلى العجز والإفلاس ، وعدم القدرة على مواصلة الطريق العقيم اللانهائى .

أما كارل ماركس : فهو مرتد عن الإلحاد وقد استطاع أن يوظف مسيرة الأديان

فى المجتمع ومن تدفق فى الأيديولجية المـاركسية (كما رسمها منهجاً خلال ١٢عاماً متصلة) ويلاحظ أن ماركس وقف من الدين موقف تحية برغم مقولته الشائعة (الدين مخدر الشعوب) والمقصود منها الاستغلال الكهنوتى الطبقى لأوضاع وأحلام الكادحين قال ماركس لا يعنينى جوهر الدين كدين وإنما يعنينى دوره فهو يحاسب الدين على دوره فى المجتمع وعن طريق إساءة دوره كان التعتيم وكان الاستغلال للكادحين .

أما (سبنسر) : فقد اعترف بالفشل وهو يتميز عن هؤلاء جميعاً بأنه لم يتعامل مع الدين من خلال جوهره دائماً تصدى له من أوله . وقال : إن الدين جاء نتيجة لظاهرة نفسية بحتة، وأن الذى أدى إلى الدين هو الخوف ، الخوف من الأموات أدى إلى الدين وفى لحظاته الأخيرة نظر إلى الكون وأعلن أنه رغم انبهاره به عاجز عن معرفته .

★ ★ ★

أما الفلسفة الماركسية فقد صارعت كثيراً فى سبيل الخداع وهدم الأصالة حتى انهارت وما تزال المفاهيم الاشتراكية والشيوعية التى وضعها كارل ماركس وتابعه الفريد انجلز ثم لينين وستالين وماوتسى تونغ - مازالت حصيلة أوهام ومغالطات فكرية واقتصادية واجتماعية كان مقصوداً بها هدم الفكر الدينى عند بنى الإنسان قاطبة وكان بعضه تردد به خداع بعض المكدين الهدامين الذين يقصدون تخريب عجلة التقدم الإنسانى وسحبها بعيداً عن صراع الطبقات حتى تبقى القلة اليهودية من بنى البشر وحدها المتحكمة فى مصير الإنسانية كله .

ولقد ظل مفكرو الشيوعية وزعماؤها يربطون الحياة الإنسانية بالعوامل الاقتصادية وحدها ويلغون فوارق الطبقات والملكية الشخصية والدين والأقلام بجرة قلم .

ولم تلق هذه الفلسفة المادية أى نجاح فى أى فترة من تاريخها ، ولم تعش إلا ما يقرب من سبعين عاماً بين رفض وفرض وإنكار وإلزام حتى إذا كان الجهاد الإسلامى فى أفغانستان حيث أذاق المجاهدون المسلمون الجنود السوفيت من عذاب الخوف والذعر والهزيمة ما يعلمه العالم كله .

هناك علم الشعب السوفيتى ما للدين من قوة وما للإيمان من شأن عظيم ومعجزة باهرة يصيغ التاريخ وينقده فى تفسيره المادى الذى اعتمدته الفلسفة الماركسية وأسست عليه وجهة نظر الشيوعية وقد انهارت مع انهيار الجنود السوفيت فى أفغانستان وانسحابهم

مهزومين مدحورين .

وعادت أرض أمير المؤمنين فى الحديث الإمام البخارى إلى الإسلام من جديد وبدأ التاريخ يعيد نفسه فى ظل الصحوة الإسلامية التى تكتسح موجاتها الجبال والتى راحت تحطم حواجز القارات والمحيطات وتحولها إلى جبهات موسعة للدعوة إلى الله وإعلاء كلمة الله وتعريف العالمين أن الإسلام هو الملجأ الوحيد من كل غائلة ومن كل استعمار فكرى وعقدى .

هكذا جرب المسلمون التجربة الغربية وفشلت .

وجرب المسلمون التجربة الماركسية وسقطت .

وظهر زيف هذه الفلسفات والاتجاهات المادية والجدلية والاشتراكية والعلمانية وعلى رأس ذلك كله التلمودى الماركسى الصهيونى جميعاً .



أما الماركسية ففى حقيقتها تدمير لفكرة الألوهية وربط الإنسان ومصيره بمصير المادية وتعزيز حركة التاريخ بعوامل ليس فيها إرادة الله تبارك وتعالى وتحويل التفسير المادى للطبيعة إلى مذهب فكرى واجتماعى وأخلاقى ونفذت هذه الفلسفة المادية إلى مجالات الأخلاق والفكر والاقتصاد والسياسة وبقى الإسلام حاملاً لمفهومه الأصيل حين جمع بين الثبات والتطور فأقام الثوابت فى الفرائض والحدود وهى الأصول وأباح التغيير والحركة فى الفروع وهو اجتهاد لا يقتصر على مسلم ولا مسلمة دون الآخر .

★ ★ ★

كذلك فإن أخطر أهداف التبشير الظاهرة الآن هى :

(١) حماية أصحاب الأديان من خطر الإسلام ؛ وذلك بحجب حقائقه عنهم أو الحيلولة دون اطلاعهم على ما فيه ؛ وذلك عن طريق تقديم نقائض مزعومة وتحذيرهم من خطر الاستسلام لهذا الدين والبحث عن نقاط ضعف فيه وإبرازها والزعم بأنه دين مأخوذ من النصرانية أو اليهودية والانتقاص من قدر نبيه ﷺ ، **أما غاية الاستشراق** فهى التقليل من أهمية العرب والمسلمين فى حضارتهم الحاضرة وإدخال اليأس إلى قلوبهم ،

وأنهم لن يستطيعوا فى الوقت الحاضر أن يحققوا نجاحاً أو تقدماً .

وفى كلا الغايتين جرى العمل على تطبيق المقاييس النصرانية على الدين الإسلامى فأطلقوا على الإسلام اسم المذهب المحمدى لإعطاء الانطباع بأن الإسلام دين بشرى من صنع محمد ﷺ ، وليس من عند الله تبارك وتعالى .

ولما سقطت مذاهب فرويد وماركس وسارتر فى العقود الأخيرة من القرن العشرين ، تبين أنها لم تكن مذاهب علمية أصيلة أو صالحة لتقبل فى العقل الإسلام كدين عالمى ، وإنما وضح أنها ردود أفعال فى حضارة الغرب وأنها تعجز عجزاً تامًّا عن عطاء فى أفق الفكر الإسلامى .

وقد كشف القرآن هذه الحقائق حتى لاينخدع المسلمون قبل أربعة عشر قرناً وأضاء لهم الطريق :

أولاً : كشف زيف الكتب القديمة لأنهم رفعوا منها النص على وجود محمد ﷺ والوعد باتباعه ﴿ **النبى الأمى الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل** ﴾ [الأعراف ١٥٧] .

ثانياً : المؤامرات التى يقوم بها النفوذ الأجنبى والاستعمار والصهيونية والماركسية وكل هذه حذر منها القرآن الكريم .

ثالثاً : كشف القرآن الكريم عن فساد بنى إسرائيل وعجزهم عن حمل الرسالة الربانية ، وأن الله تبارك وتعالى نقل الأمانة إلى بنى إسماعيل بعد هزيمة بنى إسرائيل .

★ ★ ★

ولقد تبين الفرق الواضح بين الكتب القديمة وبين القرآن الكريم .

لقد تبين أن أصول الأسفار أدخلت عليها زيادات من كلام المفسرين وتأويلاتهم ، ومع مضى الزمن فقد اعتبرت هذه الرسالات جزءاً من الإنكار .

وكان من أكبر عوامل هذا التغيير أن هذه الكتب دونت بعدة لغات وكتبت بأقلام مختلفة فى أزمنة متباينة .

أما القرآن الكريم كمصدر من مصادر التاريخ فلا يرقى إليه أى شك فقد تعهد رب

العزة بحفظه ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾ [الحجر ٩] .

فلم يطرأ عليه زيادة أو نقص خلال التاريخ الطويل ، وقد أثبتت الدراسات سلامة النص القرآنى من التعديل والتبديل .

وقد انفرد القرآن الكريم بذكر بعض أخبار الأمم البائدة مثل عاد وثمود التى كانت إلى وقت قريب موضع شك من غير المسلمين من المؤرخين حتى أصبحت ذات قيمة تاريخية بعد أن أثبتت الاكتشافات الأثرية مواقعهم فى شمال الحجاز واليمن .



(ركز المستشرقين على خلافات التاريخ الإسلامى)

١ - وكان كتّـــاب (الخلافات فى الإسلام) : تمهيداً لدراسة الدين الإسلامى .

كتب هذا البحث وهو قمة تآمر الاستشراق على الإســلام : كتبه هنرى لاوســت عام ١٩٦٥ ، أستاذ التفكير الإسلامى فى الكولنج دى فرانس : استعراض وتحليل لتاريخ المذاهب والفرق الإسلامية منذ بعثة النبى ﷺ إلى أواسط القرن العشرين .

وقد اعتمد فى هذا على الحديث النبوى « افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة وتفرقت النصارى على اثنين وسبعين فرقة وتفرق المسلمون على ثلاثة وسبعين فرقة » .

وقد أنشأ اليهود المستشرقون قضايا ومؤمرات تمثلت : (أولاً) فى تحريف اليهود للآيات المتعلقة بهم بينما كان موقف القرآن تصحيح ما دخل التوراة والإنجيل من تحريف وتزييف وكانت دعوتهم إلى تغيير ترتيب القرآن بينما كان ترتيب سور القرآن ترتيبًا توقيفيـاً (ومعنى كونه توقيفياً أنه بأمر صاحب الرسالة)، ومعناه هدم لركن من أركان الإسلام وإيجاد إضطراب لهذا النظم الإلهى البليغ يحول دون سهولة حفظه التى يسرها الله تبارك وتعالى بما أودع فيه من دقة فى النظم وارتباط يمسك بالفكر ويسلس فيه الحفظ .

رد المستشرقون بلاغة القرآن كلام الله تبارك وتعالى إلى أنه من كلام محمد الذى يتميز فى بنى هاشم بأنه يملك حدساً خلاباً أو تصوراً خلاقاً كما ردوا النبوة والوحى إلى نوع من النشاط الذهنى .

★ ★ ★

نظرية المعرفة :

تقوم نظرية المعرفة الغربية على أن الإنسان منطو على معرفة حقائق الكون والحياة من ذات نفسه دون أى مساعدة خارجية (وقد تقبل هذه النظرية المشاءون المسلمون وفى مقدمتهم ابن سينا وجاء ابن طفيل فحاول أن يثبت ذلك بقصة حى بن يقظان التى تقول : إنه وقد التقى به فى جزيرة مجهولة واستطاع بالملاحظة والتفكير إلى أن يدرك بنفسه أرفع حقائق الطبيعة وما وراء الطبيعة وهذه النظرية لا يقبلها الإسلام) .

فقد قرر الإسلام أن الإنسان غير مؤهل لتحصيل المعرفة على النحو الذى يعتقده هؤلاء

الفلاسفة ولكن عن طريق مصدر أعلى هو الوحى ، فالعقل البشرى هو أداة الإدراك الوحيدة فى الإنسان وأن الحواس وسائله إلى المعرفة ، وأن العقل البشرى يفقد من قدرته على إدراك الحقيقة وتحصيل العلم اليقينى بقدر ما يرتكب من المعاصى والآثام .

وإن السرف والترف من أشد المعاصى تدميراً لقدرة العقل على تحصيل العلم اليقينى .

ويقول : نحن نؤمن بأن الله خلق الكائنات لتعبده وتسبح بحمده والغاية التى اختارها الله تبارك وتعالى هى عمارة الأرض فمعرفة الله تبارك وتعالى هى مقدمة لعمارة الأرض .

والمعرفة علمان : معرفة عالم الغيب والإيمان به ومعرفة عالم الشهادة بمعرفة فطرة النفس البشرية وقدرتها ، ومعرفة بالأرض وطبيعتها ووسائل استعمارها .

ومصدر المعرفة هو العلم الإلهى فقد بعث الله تبارك وتعالى الرسل بالمعارف التى تثرى حياة الإنسان وترده عن المفاسد والمهالك .

ولقد زيف هذا المفهوم الإسلامى للمعرفة : مفهوم الفلسفة الإغريقية وقدم المنهج التجريبى الذى قامت عليه الحضارة الإسلامية وهو الذى انتقل بعد ذلك إلى أوربا حتى اعترف بيكون بأن المعرفة هى التى قدمها العرب لعلومهم فكان المنهج التجريبى هو مصدر الحضارة الغربية وإقامة المنهج العلمى وإن دورة الحضارة تخضع لسنة من سنن الله تعالى العاملة فى ملكه ، ومن ثم فلا توجد قوة على ظهر الأرض تستطيع منعها حين تبدأ حركة الدورة التالية ودور الغرب يتمثل فى الإضافة أما الأساس فقد وضعه الإسلام .

فالحضارة : إيمان بمفهوم التوحيد الخالص (لرد الأمور إلى مصدرها) وأخلاقية العلم والحضارة فى مقدمة الأمر كله .



أبرز معانى الفكر الإسلامى: تكامل القيم .

وآفة الفكر الغربى : هى الفصل بين القيم .

فقد فصل فرويد بين العقل والجسم ، وفصل بين علم الجسم البيولوجى وبين علم النفس السيكولوجى وظلت الفلسفة تفصل بين العقل والوجدان .

شبهات يحاول الاستشراق
أن يفرضها على الفكر الإسلامى

(١) مهاجمة اللغة العربية فى قواعدها ورموزها بالعصور وصعوبة النطق والدعوة إلى الكتابة بالعامية بدلاً من الفصحى وخلق فجوة بين معايير القرآن وبين لغة الكتابة .

(٢) الطعن فى الشريعة الإسلامية والادعاء بأنها ليست إلا صورة معدلة من القانون الرومانى ووصف الفقه الإسلامى بالقسوة فى الأحكام .

(٣) بما أن الإسلام قد اتخذ موقفه بجانب القائلين بأن الأخلاق لتزكية النفس والادعاء بأن مسألة الأخلاق تابعة للمناخ ويختلف هذا مع مفهوم الإسلام الذى يجعل الأخلاق من قيم العقيدة .

وكان إخوان الصفا قد أخذوا برأى أفلاطون القائل بأن الأفضل التوسط بين نقيضين وسموها العدل ، والفارابى لم يخرج عن نظرية الأخلاق التى جاء بها اليونان وعما قبله إخوان الصفا .

وقد جمع ابن سينا آراءه فى الأخلاق من سقراط وأفلاطون وأرسطو وأصر على الجانب العقلى من الأخلاق وسمح لنفسه بشئ من اللذة إذا وجدها وبذلك جانب رأى القائلين بأن الفضائل من خير الاجتماع والدين فقط .

أما ابن باجه فقد جعل الأخلاق بمعزل عن الدين .

أما الإسلام فقد جعل من الأخلاق منهاجاً عملياً غايته التعاون فى الحياة واحترام القيم الإنسانية « أما المدنية الغربية فستزول بعامل الانحطاط الأخلاقى ، ذلك الانحطاط الأخلاقى ، الذى يتبدى من خلال النظم الأخلاقية المعقدة ستاراً للوحشية التى تفور فى نفوس الغربيين وسنرث نحن المسلمون الأرض لأن المدارك الأخلاقية لا تزال سليمة فى نفوس جماعات منا لم يكونوا مستجيبين للحياة الغربية » .

(٤) فكرة تجزئة الإنسان وتمزيقه إلى وحدات معزول بعضها عن بعض تتناقض مع الفطرة الإنسانية إذ أن الإنسان فى مفهوم الإسلام غير قابل للتجزئة والفصل وملكاته متعاونة متكاملة .

(٥) يجب الحرص حتى لايعمل العلمانيون فى غرس مبادئ المسيحية فى عقول شبابنا المسلم عن طريق وسائل الإعلام التى تعرض أفلامه المتحللة أو أفلام الكارتون التى تقلب الموازين فى عقول أطفالنا يريدون نزع الفضيلة من قلوبهم لغرس مبادئ الرذيلة .

★ ★ ★

أخطاء الفلسفة المادية

أولاً : أهم ما يزيف فيه الفكر اليونانى عن الإسلام :

١ - الدعوة إلى جعل الحكم فى يد طائفة مختارة من الناس يتصاهرون ويلدون أطفالهم بصورة جماعية ثم تربيهم الدولة محافظة على سلامة الجنس الممتاز وهى نظرية جمهورية أفلاطون .

٢ - ثم تقسيم المجتمع إلى سادة وعبيد والتأكيد بأن وجود الرقيق حقيقة لا سبيل إلى تجاوزها ، وحق السيد فى استغلال العبيد (نظرية أرسطو) .

٣ - الانحراف الخلقى الذى وقع فيه سقراط فطبع الحياة الفكرية والاجتماعية بطابعه وهو عبادة أجساد الرجال ثم انتقل ذلك كله إلى الفكر الغربى الحديث .

ثانياً : **١** - هل الإسلام دين أم منهج حياة ؟ فعلينا أولاً فهم حقيقة الإسلام ليس أن الإسلام ديناً عبادياً فحسب بمفهوم اللاهوت على النحو الذى عرفته المسيحية الغربية أو وصلت إليه بعد الصراع الطويل فيما بين السلطة الدينية والسياسية وحيث قصرت الكنيسة على السلطة الدينية وتركت لرجال السياسة السلطة السياسية .

وكل كتابنا العلمانيين والماركسيين الذين تكونت ثقافتهم فى ظل هذا التصور الانشطارى للفكر الغربى يحاولون تصور الإسلام على هذا النحو والحقيقة أنهم يعلمون أن الإسلام دين ومنهج حياة وأنه نظام جامع ولكنهم يريدون أن يقدموا تصوراً لاهوتياً قاصراً ؛ وذلك حتى يعطوا أنفسهم الفرصة للقول بأن نظام المجتمع يمكن أن يكون ليبرالياً أو ماركسياً أو علمانياً .

ولذلك فإن من الخطأ أساساً قياس الحكم الإسلامى على الحكم الدينى الذى ساد العصور الوسطى وعلينا النظر إلى الحكومة الدينية التى عرفتها أوربا فى تلك العصور حيث مارست من العسف وكبت الحريات ما قام به رجال الكهنوت المسيحى مما يتجاوز حدود وظائفهم الكنسية .

والأمر على غير ذلك فى الإسلام فالحكومة فى الإسلام تدير المجتمع المسلم وفقاً لمبادئ وأهداف الإسلام فالإسلام هو المهيمن على تشريعات وقيم مفاهيم وأهداف هذا المجتمع والحقيقة أن الإسلام أساساً هو المهيمن على تشريعات وليس لعلماء الدين أن يسمح لهم بالخروج على هذه الاختصاصات .

٢ – أما مقولة أن الإسلام مكانه القلب والوجدان ، وأنه قائم على التراتيل فى الأدعية وطلب الآخرة وأنه لا صلة له بالحكم والنظام السياسى والاجتماعى ، وأنه لا صلة له بالحكم والاقتصاد والمجتمع وهو مفهوم وافد وقد جاء الإسلام ليصحح هذا المفهوم ويقدم حقيقة الإسلام بوصفه منهج حياة ونظام مجتمع فالإسلام يجمع بين القلب والعقل وبين الروح والمادة وبين الدنيا والآخرة .

٣ – وكذلك كثير من الأفكار المنحرفة والمسمومة التى انتشرت فى فكرنا الإسلامى نقلت من المستشرقين وفى مقدمتهم رجى بلاشير الذى نقل منه الدكتور أبو زيد كما نقل من جولد زهير ، أما مرجليوث فقد نقل عنه طه حسين فى الشعر الجاهلى وعلى عبد الرازق فى كتابه (الإسلام وأصول الحكم) .

أما كل مفاهيم خلق القرآن فهى مأخوذة من الفكر اليهودى ، كما أخذت بعض المفاهيم الخاطئة من الفرق الغالية ومن الباطنية .

ثالثاً : العلمانيون يقولون عن الإسلام ما يقوله الغربيون عن الدين فهو عندهم عنصر من عناصر الأخلاق والوعظ والتراتيل أما حقيقة منهجه فى بناء المجتمع فهم ينكرونه .

إن فكرة الفصل بين الدين والدولة والتى أمد الدين التى قام عليها الفكر الغربى بعد اختلافه مع الدين المسيحى فهذه لا صلة لها بالإسلام .

كذلك فإن إنكار الغيب والوحى هو هدم لقداسة القرآن والسنة وأخطر من ذلك السيطرة على التراث القديم السابق للإسلام وإحيائه .

(١) لهدم النظم الشعرى وإحلال قصيدة النثر (أودنيس) .

(٢) إحياء فكر الفرق الهدامة وخاصة القرامطة (طه حسين) .

(٣) التشكيك فى الوحى القرآنى والسنة النبوية .

(٤) إحياء المعتزلة ونظرية خلق القرآن ووحدة الوجود وكتابات ابن عربى والحلاج .

(٥) تزييف القصـــة (خلف الله) .

(٦) تدمير التاريخ الإسلامى (فرج فوده ، حسين أحمد أمين ، رفعت السعيد) .

(٧) هدم اللغة العربية وتغليب العامية .



سقوط المنهج العلمى الغربى

لم تعطنا المدرسة الحديثة شيئاً ذا بال وإذا أعطت فليس عندها إلا مناهج بشرية مشوهة وافدة لا تمكن من فهم دور الإنسان المسلم أو بناء المجتمع المسلم أما الفهم الإسلامى للمجتمع فهو وحده الذى يمكننا من تكوين أنفسنا تكويناً خاصاً وعلينا أن لا نأخذ الفكر الغربى – فى هذه المسألة أو فى غيرها من المسائل – قضايا مُسلَّمة ـ ولا نعتبرها علماً ثابت الأساس فهو فى الأصل عبارة عن استجابات أو مواجهة لتحديات مجتمع متغير ، فليس هو علم بقدر ما هو تجارب تصح وتخطئ وفكر بشرى مرهون بالأهواء والظروف والأوضاع فى مراحل معينة لا تلبث أن تتغير ومن هنا كانت فكرة اللهث وراء التغيير الذى يعرفه دائماً الفكر الغربى .

فى الإســلام تجد : « التوازن » بين الروحية والمادية .

وتجد : « التكامل » بين الدنيا والآخرة .

وتجد : « التوافق » بين العدل والرحمة .

وتجد : « التوائم » بين القيم .

وإن أخطر ما يهدم المنهج العلمى الغربى هدماً شديداً ويثير كل أسباب الاضطراب والخوف واليأس هو موقف الغربيين من الله تبارك وتعالى ، وفساد وجهتهم فى تأليه الطبيعة بديلاً عن الله جل شأنه وتعالى وذكره .

هذا المفهوم الأسود للنظرية المادية هو الذى يصبغ مختلف النظريات والعلوم والمفاهيم بصبغة مدمرة ، وهو الذى يفرض على منهج المعرفة طابعه الانشطارى بينما يقدم الإسلام

منهج التكامل الجامع بين الإيمان بالله تبارك وتعالى وبين تكامل القيم فنظرية المعرفة الإسلامية تجمع بين العلم والدين ، ومفهوم المنهج فى الفكر الإسلامى يقوم على الدليل والبرهان ومحاربة الظن .

إن كل هذه المذاهب المطروحة على الساحة تتسابق إلى تقديم بديل عن قدرة الله وسلطانه (وهيهات) حيث تضع المدرسة الاجتماعية الفرنسية (دور كايم) الأمور لسلطان المجتمع وحاكميته بينما ترى المدرسة الماركسية أن الأمور تعود إلى الاقتصاد ممثلة فى الصراع الطبقى ونتائجه المحتومة أما الطبيعيون فينسبون إلى الطبيعة الخلق والحركة وكل شئ .

وأهم أخطاء الفلسفة المادية :

١ - عدم االقدرة على استيعاب العصور وثبات العصور وقصورها فى مرحلة من عصر أو بيئة.

٢ - عجزها عن العطاء فهى سرعان ما يصيبها العطب نتيجة متغيرات .

٣ - ظهور طابع الهوى والمطامع البشرية الخاصة .

٤ - خطأ ما يسمى سيطرة المادية على العلوم الطبيعية ومضمونها المادى .

مثل مبدأ : أزلية المادة والطاقة ونسبة كل شئ فى الكون إلى الطبيعة وقوانينها ومحاولة تفسير التدرج فى عمران الأرض على أنها عملية مادية تلقائية بحتة .



الباب العاشر

سموم الفلسفة

« إن المسلم قادر على أن يتجاوز الفكر الأوربى إلى فكر آخر نابع من تراثه الفكرى وأكبر قوة على معالجة مشكلات العصر على أسس إيمانية وأخلاقية وأن ما يصلح فى مجتمعات الشرق أو الغرب على السواء من مبادئ وأفكار لايكون صالحاً بالضرورة لمجتمعات عالمنا الإسلامى .

وإن المجتمع الأوربى ليس بالضرورة مثالاً لكل المجتمعات وقد تتجاوز البشرية حضارة الغرب إلى نوع آخر من الحضارة أفضل وأكمل ، يقيم التوازن بين الجانب الروحى والجانب المادى ويجعل دعائمها « الإيمان بالله – العلم – العدل الاجتماعى » (التفتازانى) .

« وإن المباحث الفلسفية أمام التقدم العلمى والكشوف العلمية قد سقطت ، وأصبحت مجرد تاريخ لأقوال وثلاجات من أبراج عاجية بعيدة عن الحياة الصحيحة الواقعية كما أن الدراسات الفلسفية قد عجزت تماماً عن حل مشاكل الإنسان وحريته بالنسبة للإرادة الإلهية وصلتها بالإرادة الإنسانية ومشاكل الوحدة الكونية ومفهوم الوعى الكونى ومفهوم الأثير وتركيب المادة والزمان الفلكى وقضايا الخير والشر والعجيب فى الأمر أن العلم رغم تقدمه الرهيب قد أعلن عجزه عن فهم هذه المسائل الأمر الذى يؤكد الحكمة الإلهية العظمى وضرورة العودة إلى الدين فى الأمور الغيبية والميتافيزيقية مع كل ماوراء المحسوسات والمعطيات الحسية » .

يقول بيلحيه : « إن المباحث الفلسفية أمام التقدم العلمى الكبير قد أصبحت ساحة رهيبة للرعونات والضلالات أو الجنايات الفلسفية فى أكثر النماذج ذات الصلة بالفلسفة » .

ويقول برتراند رسل : إن الفلسفة تطلب وتبتغى على النحو الذى يوفر عدم يقين إجاباتها .

ويعلق دكتور عبد القادر محمود على ذلك فيقول : « أظن أنه قد حان الوقت ليكون معروفاً أن الفلسفة لن تستطيع أن تحل مشاكل هذا الكون عن طريق العقل والنظر ، والدين وحده هو الذى قدم هذه المفاهيم والقادر على إقناع العقول والقلوب » .

وقد أعلن ابن سينا فى كتابه (الفلسفة المشرقية) إن فى بناء أرسطو الفكرى والفلسفى أخطاء وثغرات . وفى كتاب الشفاء عرض الفلسفة اليونانية وفى كتابه الفلسفة المشرقية عرض فيه خلافه مع الفلسفة اليونانية ، فيما هو خصوصية حضارة شرقية .

كذلك فقد أشار ابن طفيل فى كتابه (حى بن يقظان) عام ٥٨١ هـ حيث أكد أن فلسفة الإسلام ليست فلسفة اليونان .

كما أبرز فخر الدين الرازى ٦٠٦ هـ مقارنة الفلسفة الإسلامية للفلسفة اليونانية ، وقال : إن الفلسفة الإسلامية هى علم الكلام .

وفى رأى محمد عمارة أن الفلاسفة المسلمين الذين قدموا الفكر اليونانى وفكر أرسطو بالذات وكشفوا عن أن هناك توازناً بين هذا الفكر وبين الفكر الإسلامى ، وإن ابن رشد فى كتابه (فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال) يختلف عن منهج اليونان وكذلك فى كتابه (الكشف عن مناهج الأدلة فى عقائد الملة) .

★ ★ ★

وقد كتب الدكتور عمر فروخ[١] بحثاً مطولاً عن أخطاء الفلاسفة اليونان التى أصلحها العرب وهى أخطاء فى تاريخ الفكر الإنسانى كان لها نتائج سيئة فى الحضارة الإسلامية ثم جاء العرب فأصلحوا عدداً منها (أخطاء علماء اليونان) وأرسطو منهم فقد أخطأ كل هؤلاء أخطاء هى اليوم معروفة فأرسطو له أخطاء معروفة تبلغ عشرين أو تزيد قليلاً عن الدارسين الذين يحبون أرسطو وهى عشرين من أخطاء العلم التى لا يجوز الجدل فيها كقوله مثلاً :

- إذا ألقى جسمان فى مكان عال فإن الأثقل منهما يصل إلى الأرض أولاً .
- ليس للنبات أعضاء تذكر وأعضاء تؤنث .
- الكواكب مساكن للآلهة .
- الأرض مركز النظام الفلكى الذى تتبعه الشمس .
- المـاء والهواء والتراب والنار عناصر .

---

(١) هذا البحث ألقاه عمر فروخ فى محفل مجمع اللغة العربية فى القاهرة أمام الدكتور طه حسين الذى ينكر كل هذه الأشياء وكان لهذا البحث قضاء على عمر طه حسين كله .

وقد ثبت منذ زمن بعيد فى علم الطبيعيات من الفيزياء والكيمياء وفى علم الفلك والجغرافيا وفى علم النبات أن هذه كلها أخطاء .

أما فى العلوم الاجتماعية كالسياسة أو الفلسفة المطلقة فنجد كثيرين من المفكرين يخالفون أرسطو فى كثير من آرائه .

وقد رد أرسطو على كل من سبقه من الفلاسفة حتى على أستاذه أفلاطون وبالنسبة للشكوى من النقل والترجمة من الفلسفة اليونانية إلى اللغة العربية وقد أدرك الغزالى هذه المشكلة فى (تهافت الفلاسفة) فقال :

عامة المترجمين لكلام (أرسطو طاليس) لم ينفك كلامهم من تحريف وتبديل محجوج إلى تفسير وتأويل حتى أثار ذلك أيضاً نزاعاً بينهم ، وفهم الغزالى الترجمة فهماً خاصاً حسبما قالت وأقومهم بالنقل والتحقيق من المتفلسفة فى الإسلام :

الفارابى أبو نصر وابن سينا فتقصر على إبطال ما اختاروه ورأوه صحيحاً من مذهب رؤسائهم فى الضلال . أما ما هجروه واستنكفوه من المتابعة (أى ماتركوه ولم يأخذوا به) فلا يتمارى (لا يشك أحد) فى إضلاله ، ثم هو لا يفتقر إلى نظر طويل فى إبطاله .

إن الفارابى وابن سينا أيضاً عند الغزالى ناقلان نقلا آراء اليونان إلى العرب إن هما لم يتوليا نقل تلك الآراء من الفلسفة اليونانية إلى اللغة العربية .

ثم نأتى إلى السفسطة وهى مذهب فى التفلسف عند اليونان ، رأى ابن رشد أن أصحابها معاندون خبثاء مشعوذون يأتون بكلام لا معنى له (تهافت التهافت) ويرى ابن رشد أن السفسطائيين يقتصرون فى البحث على جانب واحد من الأمور ثم هم ينقلون القضية من مسألة إلى أخرى ويجادلون فى أمور لا تحتمل الجدل وجدلهم ذلك لا معنى له .

هذه السفسطة التى تدل على التخلف العقلى يتجادل فى الدولة وفى العدل وفى نشأة اللغة وفى فضل الرجل على المرأة أو فضل المرأة على الرجل وفى الحرب والعبودية ونحن نخضع لمثل هذه السفسطة حينما نتكلم فى الشعر الحديث على التجربة الشخصية .

وهذا رأى (برونانوراى) السفسطائى الذى قال : إن الفرد هو مقياس الأشياء وصحفنا اليوم - حتى الرصينة منها - مملوءة بأعمدة وصفحات ليس فيها شيء إلا أوهام من تجارب أشخاص ليس لأحدهم فى رأسه شعرة بيضاء وهو يريد أن يفرض تجربته الفجة على أناس لم

يبق فى رءوسهم شعر أسود ولا شعر أبيض ، أو لسنا اليوم نجادل عن مكانة المرأة وفى حقها فى الحرية كما فعل أفلاطون على لسان أستاذه سقراط آخر السفسطائيين .

● وأخطأ معظم فلاسفة اليونان وأرسطو منهم فى القول بأن العالم مؤلف من أربعة عناصر وهى الماء والهواء والتراب والنار وفى القول بأن الماء ينقلب تراباً والتراب ينقلب ماء أو هواء وأن الهواء ينقلب ماء ولكنا نعرف اليوم أن الماء والهواء والتراب والنار ليست عناصر بل مركبات وكان أرسطو أسوأ القائلين بذلك .

وقد فند بعض المفكرين اليونان هذا القول وقالوا بالنظرية التى تقرب ما يقال فى العلم اليوم ولكن أرسطو أصر بعد ذلك كله على رأيه .

لقد أدرك العرب هذا الخطأ .

● وفى الفلك مجال كبير للخطأ ، فالنجوم بعيدة عنا وللمنال منها مدخل كبير ، ولقد كان لليونان فى الفلك جهود ثمينة ولكن تلك الجهود ظلت حائرة بين العلم والخرافة ، أما العلم ففى قولهم : أن الأرض كرة ، وأنها تدور على نفسها وأنها فى فلك حول الشمس ، أما الخرافة فكانت فى قول جمهورهم أن الأرض ثابتة فى مركز النظام الشمسى وأن المتحرك هو إما الشمس أو القمر أو النجوم .

ثم قالوا : إن الأجرام السماوية كائنات بريئة من النقص ، ولا يجرى عليها الكون والفساد (أى لا تنشأ ولا تتبدل ولا تفنى) ، وأنها مساكن للآلهة وأن لها نفوساً تحركها وأن لها عقولاً تعرف بها الغيب وتلقى ببعض ما تعرف من الغيب إلى نفر من البشر .

كان أرسطو من أنصار الخرافة فى النظر إلى النجوم فلقد أصر على أن تكون الأرض ثابتة وأنها مساكن الآلهة وعلى أنها تعرف الغيب إلى غير ذلك ، ولما جاء الإسلام حسم معظم هذه الأمور .

● أبطل الإسلام التنجيم فكان ذلك حسماً للجدال الأول وجاء ابن حزم الأندلسى المتوفى ٤٥٦ هـ وأعلن أن النجوم أجسام حجرية وأنها لا نفوس لها تحيا بها ولا عقول تفكر بها وهى لا تعلم الغيب وكان رده على القدماء عنيفاً جداً .

● وفى دوران الأرض من الناحية العلمية قام السجرى السجستانى بصنع الإصطرلاب الشرورقى المبنى على أن الأرض متحركة تدور على محورها وأن الفلك بما فيه ماعدا الكواكب السبعة السيارة ثابتة .

• ثم جاء القزويني المتوفى ٦٨٢ هـ فقال : (الأرض متحركة دائماً على الاستدارة والذى نراه من دوران الفلك إنما هو من أثر دوران الأرض على نفسها لا دوران الكواكب) .

أما بطليموس الفلوزنى : فقد سمى الكواكب (الكواكب المتحدة فاخترع الأفلاك المتداخلة) . وأدرك ابن طفيل الأندلسى ٥٨١ هـ أن نظام بطليموس خطأ فأشار على تلميذه نور الدين البطروجى بالعمل على إصلاح هذا النظام ، غير أننا لا نعلم إذا كان البطروجى قد فعل ذلك أم لم يفعل .

قال جالينوس : إن الشمس لا تقبل الانعدام ، ورد حجة الإسلام الغزالى عل جالينوس على هذا رداً عاقلاً فى ناحيتين .

ثم رد الغزالى جالينوس من ناحية علمية فلكية فقال :

إن المدة التى ذكرها جالينوس ليست كافية فى مثل هذا الأمر فالشمس وحدها مائة وسبعون مرة قدر حجم الأرض ولو نقص عنها مقدار جبال لما بان ذلك للحس فى الزمن الذى هو حياة الإنسان على الأرض .

ثم يقول الغزالى : ولعله قد نقص من الشمس مقدار كبير ولكن الحس لا يستطيع تقديره ونقدى ذلك لايعترف إلا بعلم المناظر أو البصريات (أو تبنك) ثم لا يعرف أيضاً ذلك إلا بالتقريب .

وطالب اليونان الذين قالوا بكروية الأرض بأن يقيسوا محيط الأرض وقد بذلوا جهوداً كبيرة ولكن مقاييسهم كانت بعيدة عن الصواب .

غير أن الخليفة المأمون لم يرصد تلك الأقيسة التى كان اليونان قد قاموا بها فأمر بإجراء تجارب جديدة ، وتلك الأقيسة كانت دقيقة جداً ولم يكن الاختلاف فيها عن القياس الحالى أكثر من بضعة وعشرين كيلو متراً .

وقد أعلن القدماء مقياس السنة الشمسية .

ولم يرصد العرب بهذه الأرقام التى جاء بها اليونان فقام ثابت بن قره بحسبان بلغ ٣٦٥ يوماً وربع يوم وعشر دقائق وعشر ثوان وهو رقم يزيد على القياس الحقيقى بأقل من نصف ثانية .

ثم جاء عمر الخيام : فوصل بالحسبان إلى أن يصلح السنة الشمسية بأن زاد ثمانية

أيام على كل ثلاثة وثلاثين سنة ، فظل الخطأ حول السنة الشمسية يوماً واحداً فى كل خمسة آلاف سنة ، انتهى .

وبهذا يتحتم أن نقول :

أولاً : أن أرسطو ليس معلماً للمسلمين .

ثانياً : أن الفارابى وابن سينا كانا مشائين عرب فى حوض الفلسفة اليونانية .

ثالثاً : إننا كرّمنا الرازى الطبيب ، والفارابى العالم ، وابن سينا الطبيب أما الفيلسوف فى كل منهم ففيه نظر .

★ ★ ★

الإمام الغزالى وإسقاط فلسفة الأصنام

قدم الإمام الغزالى فى مواجهة الغزوة اليونانية للفكر الإسلامى مجموعة من الحقائق حفظ بها كيان الأصالة الإسلامية ومفهوم التوحيد الخالص ونجا الفكر الإسلامى من التبعية والاحتواء الذى كاد أن يستوعبه بعد ترجمة الفلسفه اليونانية .

وقد حدد الإمام الغزالى أخطاء المشائين المسلمين (الفارابى وابن سينا و ...) .

أولاً : آمنوا بالله وصفاته ولكنهم جحدوا اليوم الآخر .

ثانياً : لم يقبلوا فى الأمور الإلهية بحشر الأجساد وقالوا : إن المثاب والمعاقب هى الأرواح المجردة ، والمثوبات والعقوبات روحانية وجسمانية .

ثالثاً : قالوا بقدم العالم وأزليته وفى هذا تسوية بين الخالق والمخلوق .

رابعاً : أعطوا العقل قداسة غير صحيحة ، فالعقل ليس مستقلاً بالإحاطة بجميع المطالب ، ولا كاشفاً للغطاء فى جميع المعضلات .

وقد خطّأ الإمام الغزالى الفلاسفة الذين أرادوا أن يزنوا كل شىء بميزان العقل ، فكأن الدين فى أيديهم آلة خادمة للفلسفة فكان خطرهم على الدين والأخلاق ، خطرهم على الدين حين اعتقدوا فى أنفسهم التمييز على أترابهم ونظرائهم فرفضوا وظائف الإسلام والعبادات واحتقروا شعائر الدين واستهانوا بالشرع وحدوده وكان مصدر كفرهم إنكارهم

للشرائع والنحل وجحدهم فعل الأديان والملل ، وكشف عن خطر الفلاسفة على الأخلاق وقال : إن ذلك يرجع إلى أنهم أهملوا أحكام الشريعة فشربوا الخمر وأعرضوا عن الصلاة وقالوا مع ذلك أنهم أدركوا حقيقة النبوة وقولهم : إن الإنسان إذا ارتفع عن طبقة العوام سقط عنه التكليف ، ووقف الإمام الغزالى من علم الكلام موقفاً واضحاً وقال : إن جل مقصودهم – أى أهل الكلام – هو استخراج مناقضات الخصوم ومؤاخذتهم بلوازم مسلماتهم وهذا قليل النفع فى حين من لا يسلم سوى الضروريات شيئاً أصلاً وقال : إن علم الكلام كالدواء لا يعطى إلا للمريض أما القرآن فهو كالماء يعطى للسليم والمريض .

ويرى أن الفلسفة اليونانية أبعدتهم عن مصداقية الإسلام نفسه وعن النفاذ إلى القرآن والسنة كما يفهمها الصحابة ، وهذا هو الخلاف بين المنهج القرآنى ومنهج الفلسفة اليونانية فهى تعتمد معرفة الإنسان بالنظر إلى الإنسان نفسه .

أما القرآن فإنه يدعو إلى معرفة الإنسان والكون والربط بين الإنسان والأكوان وخالقها بينما تسجنه الفلسفة اليونانية فى حدود المنطق وتحبسه فى ضيق الأفق الفلسفى فإن الإسلام ينقله إلى عالم رحب حافل بالإيمان والعقل معاً . (عن كتاب مصابيح العصر والتراث) .

أما الإمام ابن تيمية فإنه لم يهاجم الفلسفة على إطلاقها وإنما ما يتصل منها بالتصور الإغريقى الذى ساد الفلسفة الإسلامية .

يقول : أما نفى الفلسفة مطلقاً أو إثباتها فلا يمكن ؛ إذ ليس للفلاسفة مذهب ينصرونه ولا قول يتفقون عليه ولا يتفقون إلا على ما يتفق عليه جميع بنى آدم من الحسيات المشاهدة ، والعقليات التى لاينازع فيها أحد وجميع مايوجد فى كلام هؤلاء وغيرهم من العقليات الصحيحة ليس فيه ما يدل على خلاف ما أخبرت به الرسل .

إن المضمون الذى يدرس يبعد كثيراً عن حقيقة فكر فلاسفة المسلمين ، أى أن هذا المضمون عندما يقدم ، يقدم لهم على أساس أن فلاسفة المسلمين بقوا أتباعاً للفكر اليونانى وقد أثبت عدد قليل من الباحثين المحدثين شطط هذا الظن ومباينته للواقع .

ولكن هذا لا يمنع من إبراز انتقاد محمد إقبال مثلاً لإغراق بعض الفلاسفة الإسلاميين فى التجريد العقلى الموروث عن الفلسفة اليونانية فقد أوردها هذا عزلة عن المجتمع ، وعجزاً عن التأثير فيه ، وانشغالاً بالفكر أفقدها حرارة الحياة ونبض الكفاح والقدرة على التغيير .

يقول الدكتور عبد القادر محمود : إن المباحث الفلسفية أمام التقدم العلمى والكشوف العلمية قد أصبحت مجرد تاريخ لأقوال وتأملات من أبراج عاجية بعيدة عن الحياة الصحيحة الواقعيـــة .

كما أن البيانات الفلسفية قد عجزت تماماً عن حل مشاكل الإنسان وحريته بالنسبة للإرادة الإلهية وصلتها بالإرادة الإنسانية ومشاكل الوحدة الكونية ومفهوم الوعى الكونى ومفهوم الأثير وتركيب المادة والزمان الفلكى وقضايا الخير والشر ، والعجيب فى الأمر أن العلم رغم تقدمه الرهيب قد أعلن عجزه عن فهم هذه المسائل ، الأمر الذى يؤكد الحكمة الإلهية العظمى وضرورة العودة إلى الدين فى الأمور الغيبية والميتافيزيقية مع كل ماوراء المحسوسات والمعطيات الحسية وأظن أنه قد حان الوقت ليكون معروفاً أن العلوم لن تستطيع أن تحل مشاكل هذا الكون بين طريق العقل والنظر وأن الدين هو وحده الذى قدم هذه المفاهيم والقادر على إقناع القلوب والعقول .

ويقول بيلحيه : إن المباحث الفلسفية أمام التقدم العلمى الكبير قد أصبحت ساحة رهيبة للرعونات والضلالات أو الجنايات الفلسفية فيما أكدت النماذج الضالة للفلسفة ، لقد خرجت الفلسفة حركات هدامة ومذاهب باطلة قوامها العدمية والدارونية والعبثية .

★ ★ ★

وإذا كان الإمام الغزالى قد كشف عن فساد المفهوم اليونانى للفلسفة وأسقطه تماماً فإن للإمام ابن تيمية دور آخر حيث يرى الإمام ابن تيمية : أن العقل وحده ليس كافياً للوصول إلى حقائق الدين بل لابد من الاستعانة بالنقل ، ويرى أن المعتمد عليه فى ذلك هو الكتاب والسنة ومعنى ذلك أن يكون العقل فى ذلك تابعاً لا متبوعاً ومن اعتمد على العقل وحده كان كحاطب ليل ، وقد حمل ابن تيمية على منطق أرسطو حملة شديدة فى كتابه (نقض المنطق) وسخر من الذين يقولون إنه لابراهين إلا ما يكون المنطق وليها وطريقها لما فى ذلك من غمز بالصحابة والتابعين الذين يعتبر المناطقة أن علومهم ظنية .

وقد أثبت ابن تيمية أن المنطق من علوم الصابئة وأنه دخيل على العلوم الإسلامية وقال : إنه ليس بالأحكام الشرعية افتقار إلى المنطق أصلاً وما يزعمه المنطقى بالمنطق من أمر الحـــد والبرهان فقاقيــع وقد أغنى الله عنها كل صحيح الذهــن ولقــد تمت الشريعة وعلومها .

ويتصل بهذا ما حدث للإمام الرازى الملقب بفخر الدين سنة ٥٤٤ هـ ، وكان قد تخصص فى الفلسفة والفلك وعلم الكلام .

ومزج جميع مباحثه فى التفسير والأصول والتوحيد والمنطق بالفلسفة فجاءت فى قالب فلسفى خالص ، وقد تراجع الإمام الرازى فى أواخر أيامه عن هذه الطريقة وعاد إلى الطريقة القرآنية فى عرض العقيدة فقال :

أعلم أننى بعد التوغل فى هذه المضايق والتعمق فى الاستكثار من أسرار هذه الحقائق رأيت الأصوب والأصلح (طريقة القرآن) العظيم والفرقان الحكيم وهى ترك التعمق والاستدلال . (نقلاً عن مخطوطة الرازى فى ذم الدنيا) .

وقوله : لقد اختبرت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فلم أجدها تشفى عليلاً ، ولاتروى غليلاً ورأيت أصح الطرق طريقة القرآن (شذرات الذهب لابن العماد : ٢٢/٥) ، وله وصيته المشهورة التى أملاها وهو على فراش الموت على تلميذه إبراهيم بن أبى بكر الأصفهانى (٢١ من محرم ٦٠٦ هـ) :

اعلموا أنى كنت رجلاً محبًا للعلم فكنت أكتب فى كل شىء ولا أقف على كميته وكيفيته سواء أكان حقاً أم باطلاً ثمناً أو ثميناً ، إلا أن الذى نظرته فى الكتب المعتبرة لى أن هذا العالم المحسوس تحت تدبير مدبر منزه عن مماثلة المتحيزات والأعراض ، وموصوف بكمال القدرة والعلم والرحمة ، ولقد اختبرت الطرق الكلامية كلها فما رأيت فيها فائدة تساوى التى وجدتها فى القرآن العظيم ، لأنه يسعى فى تسليم العظمة والجلال بالكلية لله تبارك وتعالى ، ويمنع من التعمق فى إيراد المعارضة والمتناقضات ، وما ذلك إلا للعلم بأن العقول البشرية تتلاشى وتضمحل فى تلك المضايق العميقة والمناهج الخفية .

ولهذا أقول : كل ما ثبت بالدلائل الظاهرة من وجوب وجوده ووحدانيته وبراءته عن الشركاء فى القديم والأزل والتدبير والفاعلية فذاك الذى أقول به وألقى الله تعالى عليه وأما ما انتهى الأمر فيه إلى الدقة والغموض ، فكل ماورد فى القرآن والأخبار الصحيحة المتفق عليها من الأئمة المتقنين للمعنى الواحد فهو كما هو ما لم يكن كذلك .

أقول : يا إله العالمين إنى أرى الخلق مطبقين على أنك أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين ، فلك ما مر به قلمى أو خطر ببالى فأستشهد علمك وأقول : إن علمت متى أنى

أردت تحقيق باطل أو إبطال حق فافعل بى ما أنا أهله ، وإن علمت منى أنى ما سعيت إلا فى تقرير ما اعتقدت أنه الحق وتصورت أنه الصدق فلتكن رحمتك مع قصدى إلا مع حاصلى فذاك جهد المقلّ .

أما الكتب التى صنعتها واستكثرت من إيراد السؤالات على المتقدمين منها فمن نظر فى شيء كان منها فإن طابت لك تلك التساؤلات فلتذكرنى فى صالح دعواتك وإلا فلتحذف القول السيئ فإنى ما أردت إلا تكثير البحث وتشحيذ المناظرة (عن عيون الأنباء لابن أبى أصيبعة) .

المأمون : التحول من الوحى إلى العقل

فى عصر المأمون ومن خلال جماعة (موسى بن ميمون) نشأت تلك الفكرة المسمومة (فكرة خلق القرآن) على موازنة من مقولة التوراة .

يقول الأستاذ أحمد تسوكى (الرسالة المغربية – ذى الحجة ١٤٠٥ هـ) .

أولاً : إن المأمون يمثل حلقة فى مسلسل الفتنة الخطيرة التى تسللت بهدوء تام وبرودة متناهية إلى العقل الإسلامى وافدة عليه من العقل اليونانى الهلينى ، وذلك بقصد فصل العقل الأول عن مجاله الحقيقى ومزجه ودمجه نهائياً ضمن المفهومات والأفكار والتصورات التى انشغلت بها العقلية الهلينية ثم حولها فلاسفتها الذين جعلوا الحسن ما يكون فى العقل أولاً ثم فى الشرع ثانياً إلى مبادئ أساسية ثابتة وقواعد فكرية راسخة عدّ الخروج عليها مروقاً أو جنوناً فى أحسن الأحوال .

إن المأمون كان يمثل حلقة بارزة وخطيرة لأن خالد بن يزيد بن معاوية الأموى كما يذكر ابن النديم فى الفهرست – كان يسمى حكيم آل مروان ،وكان فاضلاً فى نفسه له همته وصحبته للعلوم ، خطر بباله الصيغة فأمر بإحضار جماعة من فلاسفة اليونان فمن كان ينزل مدينة نصر وقد تفصح بالعربية وأمرهم بنقل الكتب من الصيغة من اللسان اليونانى والقبطى إلى العربية وهذا أول نقل كان فى الإسلام من لغة إلى لغة .

ثانياً : إن المأمون شخصية سياسية اكتملت فيها الشروط المطلوبة لتحويل الشخصية العربية من مجال الوحى إلى مجال العقل فيما يدّعى أى من نطاق أمور تتلقاها هذه الشخصية من الله (تبارك وتعالى) بواسطة رسوله المصطفى الأكرم محمد صلوات الله

وسلامه عليه إلى نطاق أمور تستمدها هذه الشخصية من العقل البشرى من أى مصدر مهما علا شأنه وسمت درجته ومكانته بأن يظل مصدراً مخلوقاً أوجده الله سبحانه وميز به الإنسان وفضله به على العالمين تفضيلاً .

وهو بذلك مخلوق غير معصوم بحال من الأحوال فهو تلحقه الآفات ويقع فى الزلات وعرضة للأوهام الرديئة والأفكار الخارجة عن حد الاستقامة والاستواء والاعتدال فى الحياة وهو معرض للنقصان .

فشخصية المـأمون مؤهلة تأهيلاً لذلك الانتقال بشخصية العربى من دائرة العمل بالوحى إلى دائرة الانقياد بالعقل والعمل به فأمه جارية فارسية من كورة بازغيسى فى مقاطعة خراسان (أى أنه بخلاف أخيه الأمين الذى كان كلا أبويه هاشمياً) وهذا العامل أى انتماء المـأمون إلى الفرس من جهة الأم لابد أن يعمل عمله ويؤثر أثره فى شخصية المـأمون فى توجيه منحاها العقلى وتكوينها الثقافى والفكرى والدينى والمذهبى .

وهناك عوامل أخرى دفعت المـأمون دفعاً إلى تنمية العقل وإعلاء دوره على الوحى وإلى تزكية التكوين العربى فكرياً ووجدانيا بالمؤثرات العقلية معتاضاً فى ذلك عن تزكية هـذا التكوين بمقدماته ومؤثراته الأساسية الأولى التى كونها كتاب الله وسنة رسوله المصطفى محمد ﷺ .

إن النقلة كانت خطيرة الشأن إلى درجة بدا معها التحول بمثابة مؤامرة تألبت فيها عدة قوى فكرية ومذاهب غازية وكان هدفها الأول والأخير (الإغارة على الوحى الإلهى) الذى اختصت به أمة محمد ﷺ .

جمهورية أفلاطون :

هذا ما حدث فى القرن الثالث الهجرى ولم يتوقف ولكن العلماء المسلمين لم يلبثوا إلا قليلاً حتى دخلوا المعركة وكشفوا الزيف وخاصة دعوى أرسطو معلم المسلمين والعرب فهى أكبر الأكذوبات وتجربة أفلاطون فقد رسم أفلاطون جمهورية مثالية وحاول تطبيقها مرتين دون جدوى وكان قد وضع نفسه مكان المشرع وأصدر قوانينه وتشريعاته فى المدينة معتمداً على فكره الذاتى ورأيه الشخصى واستفاد من الأفكار السابقة على عصره ووفق بينها وأخرج النظرية التى تقسم المجتمع إلى طبقات تجعل لكل طبقة مميزات تختلف عن الأخرى

على أساس النشأة والتربية والتعليم وبذلك لا تخرج طبقة العامة إلا عمالاً زراعيين وطبقة الجند إلا عسكراً وحرساً أما طبقة الفلاسفة فهم الحكام والرؤساء للمدينة الفاضلة على الإطلاق ، ورغم فشل أفلاطون فى تطبيق نظريته فى المدينة المثالية فقد حاول بعض مفكرى العصر الحديث أن يطبقوها مرة أخرى بطريقة محدودة أو معكوسة بعد مرور ٢٥ سنة لقد استعار ماركس نظرية أفلاطون .

وتصور ماركس أن خطأ أفلاطون يكمن فى اعتماده على طبقة المفكرين ، الأمر الذى كتب على مدينته الفشل فى التطبيق ، ولذلك استدرك ماركس واستبدل طبقة الفلاسفة بطبقة العامة وكفل لها جميع السلطات التى كانت لطبقة الفلاسفة فقد شكل المثلث وجعل القاع هو القمة أما القمة فهى القاع .

وقد اجتر الفكر الأفلاطونى اجتراراً واهتم بالمعدة أكثر من اهتمامه بالعقل وطبق تلميذه الأمين (لينين) المنفذ الأول للشيوعية هذه النظرية عملياً فى روسيا فهل حققت السعادة للإنسان ؟ (يقول الدكتور حسن الشرقاوى) : لقد هبطت الشيوعية بالإنسان إلى الدرك الأسفل وجعلته عبداً للمادة بعد أن كان سيداً كما أفقدته فكره وعقله ودينه جميعاً ، واستعار هتلر نظرية سيادة العنصر وجعلها فى العنصر الآرى الألمانى .

هذا الفكر البشرى يمور ويتجدد ويجتر بعضه بعضاً ويظهر عجز الإنسان دائماً وانحرافه عن سواء السبيل عندما يضع نفسه مكان المشرع محاولاً أن يشرع فكراً جديداً أو نظاماً لم يأت به الله تبارك وتعالى .

أما فى تجربة أفلاطون فقد تعصب لطبقة الفلاسفة فظلم كل من الطبقتين : الجند والعامة بل جعل العامة كالبهائم سواء بسواء وعاملهم معاملة الحيوان بلا أسرة ولا أبوة ولا بنوة ، والموت والتعقيم والنفى للمريض والمشوه والمعتوه ، وحاول أفلاطون أن يطبق نظريته السياسية فى مجمع أثينا مرتين فى خلال خمسة وعشرين سنة ، بيد أنه رغم موافقة أحد الملوك على تنفيذ فكرته فقد فشل فى تطبيقها عملياً فشلاً ذريعاً وفى المحاولة الأخيرة نفى وأسر ، ولولا أن رآه أحد أصدقائه وعرفه وأعتقه لظل مسجوناً بغير حماية .

وقد كانت تجربة أفلاطون مثالاً على إطلاق حرية الجنس فقد أباح تناكح النساء والرجال بدون أى نظام وعنى بالانتقاء فأجمل الرجال وأكثرهم حكمة وعقلاً يشجع على

التناسل حتى يكثر أولاده ويرثوا صفاته ، ولا يسمح للطبقات بالاختلاط الجنسى ، لكل طبقة نساؤها ورجالها لاينفذون منها إلى غيرها ، كما ألغى الزواج ألغى الامتلاك بين طبقتى المقاتلة والأوصياء .

وقد سيطرت الأفكار الأفلاطونية سيطرة تامة على المدارس الباطنية لنزعتها المثالية التى تعمل على تحقير الجسد وملذاته على النحو الذى أخذه أصحاب الفلسفة الإشراقية .

ولقد كان الفارابى وابن سينا وإخوان الصفا والكندى وابن رشد وغيرهم يكثرون من ذكر أفلاطون فى معرض كلامهم عن النفس ويظهر الأثر الأفلاطونى فى رسائل الفارابى (آراء أهل المدينة الفاضلة) وخاصة ما يتصل بالفيض والإبداع ، وانتقلت الأفلاطونية إلى فلاسفة الإسكندرية (فيلون وأفلاطون) ، ثم انتقلت إلى العربية

★ ★ ★

وكذلك تشكلت فى قلب البلاد الإسلامية جماعة الهلينية فى الفكر الحديث (طه حسين ، صقر خفاجة ، محمد مندور ، غنيمى هلال ، لويس عوض) .

ولقد كانت الفلسفة كما تصورها الإغريق إنما هى دعوة إلى تعطيل الفكر الإنسانى وشجب الإيجابية والتعقل والتأمل فى ذهن الإنسان فبدلاً من أن نقول : الفلسفة الإسلامية ، خير لنا أن نقول : الفكر الإسلامى سواء كان قديماً أوحديثاً .

ولقد قدم الفكر الإسلامى المستمد من القرآن والسنة المطهرة للحياة منهاجاً متكاملاً يقوم على أساس كل قيم الخير المركزة فى فطرة الإنسان .

فكان الإسلام ديناً للمسلمين وثقافة للعقائد الأخرى .

وقد شجب الإسلام التميز بين البشر فى اللون والأعراق .

ولقد قام الفكر اليونانى على نزعتين متضادتين :

أولهما : السعادة فى اقتناص اللذات وهى النزعة الأبيقورية ، والسعادة فى التقشف والتحرر من اللذات وهى النزعة الرواقية ، وكل منهما مبالغ فى الدفاع عن رأية والرد على مخالفيه ، **وهناك نزعتان متضادتان أخريان**: هما الجماعة والفردية والإسلام يجمع بينهما .

ولقد ورّث الفكر اليونانى الحضارة الغربية المعاصرة مفهومه المسموم وهو مفهوم مرح البدن وتقدير الجمال لذاته ، والحرية فى البحث والسؤال والتحرى والاستقصاء ، وفى استنكار ما لايرضى عقولهم .

وهناك نظرة للفلسفة ترى أن الدين عائق عن التطور وترى أنها بديل عن الدين فى تفسير أمور الطبيعة والحياة أيضاً .

خطأها الأول : خطأ الفلسفة أنها ترى أن الدين عائق عن التطور .

خطأها الثانى : أنها تعتمدعلى العالم التجريبى المتغير والذى يفسد بسرعة .

● إن الغرب قال : إن الدين عائق عن التطور لأنه عرف اليهودية والمسيحية فقط ولم يعرف الإسلام ولو عرف لما قال ذلك بحق .

● إن الغرب لأنه لايملك منهجاً متكاملاً جامعاً بين العقيدة والمجتمع فإنه يبحث عن أيديولوجيات أما المسلمين فإنهم لا يحتاجون لذلك .

● إن الفكر الغربى لا يستطيع أن يقدم أحكاماً مجردة صادقة بعيدة عن تحديات العصر والتاريخ وعن الهوى ، فهو حين يتخذ من ردود فعله ضد الكهنوت قواعد يريد أن يفرضها على المجتمعات فإنه لا يقدم رؤيا صحيحة أو سليمة والآخذون بها آثمون لأنهم لا يعرفون أبعاد الأمور .

إن النظرية المادية هى رد فعل الكهنوت وإن الماركسية هى رد فعل الرأسمالية .

★ ★ ★

وإذا كانت جمهورية أفلاطون قد سقطت لأنها خالفت الفطرة والأديان فإن أطروحة أرسطو لم تحقق شيئاً ، ولما بدأ عصر النهضة فى الغرب كان أول ما فعله هو مهاجمة فلسفة أرسطو على النحو الذى قام به المفكرون المسلمون حين أقفلوا باب التأمل وفتحوا باب التجريب الذى عرفوا به لأول مرة والذى نقله الغرب إلى حضارته الحديثة .

ولقد كتب الباحثون المسلمون عشرات البحوث التى تكشف عن الخلاف الواسع العميق بين منطق القرآن ومنطق أرسطو ، ولقد كان من أعظم الدعوات تحليلاً الكشف عن تحول الحضارة الغربية عن أرسطو إلى منهج التجريب الإسلامى فى حين كانت دعوة

الجامعة المصرية فى أول عهدها إحياء أرسطو والسير فى اتجاهه واعتباره معلماً للعرب ، وظل ذلك وقتاً طويلاً حتى تمكن الشيخ مصطفى عبد الرازق من كشف الحقيقة الأساسية التى تقول : إن أرسطو لم يكن معلماً للعرب ولا المسلمين ، وكان الأستاذ أحمد لطفى السيد على قيادة هذه الدعوة ثم جاء طه حسين فعمل لجعل اللغة اليونانية علماً يدرس ، وكانت الجامعة المصرية قد تغربت فى علومها حتى جاءت الدعوة الإسلامية لتفتح الباب أمام مفاهيم الإسلام فى الاقتصاد والتجارة والقانون والأدب والفلسفة .

وكان الشيخ مصطفى عبد الرازق قد أعلن أن الفلسفة الإسلامية تبدأ بالإمام الشافعى ، ومن هذا الخط بدأ على سامى النشار ذلك العمل الكبير الذى استطاع أن يحققه ، ثم جاء الدكتور محمدمحمد حسين فدعا إلى أسلمة الأدب العربى وتحريره من الزيوف والسموم التى حاول طه حسين أن يلصقها به ، ثم جاء الدكتور محمد عبد الله دراز فوضع منهج الأخلاق فى القرآن .

أما الأستاذ حسن البنا فقد فتح الباب أمام الشريعة الإسلامية ، هذا الطريق الذى سار فيه عبد القادر عودة وعلى على منصور وتوفيق الشاوى ، وجاء محمود أبو السعود وعيسى عبده وعبد المحسن فى الاقتصاد .

وفى مجال التربية وضع الأستاذ حسن البنا منهج الإسلام الذى اقتفاه من بعد عمر الآمدى ، ومحمد المبارك فى الشام والصواف فى العراق ، وفى نفس الوقت تحول المشتغلون بالفلسفة فى البلاد الإسلامية إلى وكلاء حضارتين مختلفتين لمذاهب غربية فى مُعظمها ، وكان معظم المشتغلين فى حقل الفلسفة من العرب يقوم بدور الشارح للفلسفة السابقة والحاضرة ، وهى فلسفة معادية للتاريخ ولأنها لا تهتم بالإطار التاريخى الاجتماعى الذى تنشأ فيه الفلسفة .

وقد أسقط العصر كله فى أوربا وأمريكا كما أسقط منطق أرسطو وأصبح يطلق عليه اسم المنطق الصورى إذ يجعل كل همه فى تكوين صيغ وصور كلامية يعتبرها بمقاييسه وقواعده صحيحة ، وإن خالفت الواقع المحسوس الملموس ، وعادت البشرية إلى قواعدها سالمة ، وهى أن المنطق هو مجموعة من البديهيات والمسلمات فى كل عقل يخضع لها العقول السليمة بغير حاجة إلى تعقيدات أرسطو .

إن الفلسفة الإسلامية التى يحتاجها عصرنا هى تلك الفلسفة التى تلحق الهزيمة الفكرية بالفلسفات المادية الحديثة ، وتنقذ الجيل المسلم من الاضطراب والقلق والحيرة وتشعره بأصالته وذاتيته حيث توجه من أعماق ماضيه الفكرى إلى حاضره ومستقبله ، وتبنى قاعدة رصينة من النظر الإسلامى الرصين ينطلق منها إلى بناء حياته الجديدة ويشترك فى إنقاذ الحضارة الحاضرة من أزماتها الروحية والنفسية والأخلاقية .

ويرى بعض الباحثين أن الثورة على أرسطو هى البداية الحقيقية لنشأة الفلسفة الحديثة لاتعصباً ولكن التماساً لروح هذه الأمة وحقيقتها التى حيل بينها وبين النماء بعد أن صبت فى قوالب جامدة غريبة عنها منذ القرن الثانى عشر ، ولا شك أن (إقبال) هو المفكر الإسلامى الوحيد فى العصر الحديث الذى حاول إرساء معالم جديدة فى الفلسفة الإسلامية ولم يتم له ذلك إلا فى إطار من الخلاص من سيطرة الفكر الأرسطى .

ولابد من الجدل العقلى مرة أخرى ضد أرسطو كما فعل ابن تيمية من قبل ، وإنما بالدخول المباشر فى أعماق ذاتنا التاريخية الخاصة (عفت الشرقاوى) .

منطق القرآن وليس منطق أرسطو (لابن تيمية) :

شجب هذا المنطق الأرسطى إنه حقيق بالإهمال بل واستنكار الجهود الماضية التى بذلت لإدخاله بين العلوم الإسلامية باعتبارها جهوداً ضارة ومفسدة إذ دخلت على الفكر الإسلامى الذى يتميز بصفائه وتصاعته بل شفافيته وبعقيدة القرآن الذى ندد عن بدع القول الناصع الواضح المحكم ليلوذ بالكلام المركب الذى اقتضت حكمة الله تبارك وتعالى أن نفترق فى هضم العقول المتشابهة .

لقد خاطب القرآن العقول والأفهام فاستجاب له السامعون وأفحمت العقول ذلك لأن العقل الإنسانى يقوم على بضع حقائق فطرية مستكنة فيه وهو لايكون عقلاً إلا بها وعندما تختلط هذه الحقائق وتعم على العقل فإن الإنسان يصبح غير عاقل أى مجنوناً .

والخلاصة أن أى إنسان عاقل يتكلم بالمنطق والفطرة والسليقة ، وهو ليس فى حاجة إلى علم من أى نوع كان ليعلم أن هذا الشيء أكبر من ذلك بقليل وكثير ، بديهيات مسلمات تعرف بالفطرة ولايطلب العقل عليها برهاناً ولأمر ما أراد أرسطو أن يستعرض عضلاته فحاول أن يجعل من هذا الذى لايحتاج علماً لأنه فطرة بشرية علماً مصنرعاً فقلب الوضع من فطرة سليمة إلى فطرة زائفة ومصطنعة .

ولاشك أن المنطق البشرى السليم أصدق من تفريعات أرسطو فكان نصراً مابعده نصر أن تحررت الإنسانية من منطق أرسطو .

ومن هنا فإن أعظم منجزات الحضارة الأوربية هو إسقاط منطق أرسطو .

فهمت هـذا من كل ماوصلت فى تفسـير القرآن إلى أنه يفحم المعارض ببديهية منطقه ، فقد كان النصارى يقولون هل يتصور العقل إنساناً بغير أب .

ولما كان المسيح قد ولد بدون أب فلابد أن يكون الله هو أبوه فيرد عليهم القرآن بأن ذلك استنتاج فاسد ، فقد ولد آدم عن غير أب وأم معاً .

وكان خلقه من تراب فمن قدر على فعل ذلك فهو على فعل ماهو دونه أقدر ، وتلك هى إحدى بديهيات العقل ، كذلك فقد حاج القرآن المشركين بالدليل العقلى فأفحموا عندما قال لهم : ﴿ **أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون** ﴾ [الطور : ٣٥] .

أى هل جاءوا من العدم أم كانوا هم الذين خلقوا أنفسهم؟ ، والقرآن خاطب وسيظل يخاطب العقول بالبديهيات المستقرة فى كل عقل والذى لايكون عقلاً إلا بها ، ويكون منطق أرسطو زيادة وتكلفاً لا أقول لا يفيد بل إنه يضر ويفسد الطباع والفطر السليمة ويسلمها إلى ضروب من الشكليات التى تضيع فى ظلها الحقيقة وليس أدل على ذلك من أن أى متناظرين قلما ولن يستخدم كلاهما منطق أرسطو ويلزمان بقواعده فلا يزيدهم ذلك إلا خلافاً وافتراقاً ، وحسبك أن تتصور أنه فى الوقت الذى كان يتشدق فيه بعض علماء المسلمين وأن منطق أرسطو فهو سبيلهم لإثبات وحدانية الله ، كان هذا المنطق نفسه هو الذى استعملته الكنيسة فى العصور الوسطى لإثبات أن الثلاثة هم الواحد » .

★ ★ ★

القرآن والكتب الأخرى

القرآن وحده من بين كل الكتب الإلهية والبشرية هو وحده الذى توافر وتتوافر له فى كل بلد مسلم وفى كل زمان ومكان جماعة من الناس يحفظونه كما نزل عن ظهر قلب ويروونه كما نزل جماعة عن جماعة إلى الآن وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

وهذا ما لا تعهده ولا تتحدث عنه كتب البشر ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وإناَّ لَهُ لَحَافِظُون** ﴾ [الحجر : ٩] .

إن الكتب السماوية الأخرى كالتوراة والإنجيل موجودة ومتداولة الآن بلغات أخرى غير اللغة التى نزلت بها أى ترجمات وقد وقعت فى الكتب السابقة تحريفات خطيرة أثارها وفضحها فلاسفة التنوير ، ومنهم على سبيل المثال الفيلسوف (سيبنوزا) فى رسالته : (رسالة فى الدعوات والسياسة) .

وكان كشف هذه التحريفات من أهم الأسباب وراء الانقلاب العلمانى الخطير والدعوة إلى قيد الدين وحجزه والحجز عليه فى حظيرة الشعائر فقط ، والفصل بين الدين والسياسة ، لقد حفظ الله كتابه بالتواتر - أى جماعة يحفظونه عن جماعة ـ ، ما عدا ذلك من وسائل وأساليب حديثة كلها عوامل مساعدة لا تحل محل الأصل ولا تغنى عنه وفشلت كل محاولات إسقاط الآيات فى أندونيسيا أو فى مصاحف إسرائيل .

★ ★ ★

الأساطير : مؤامرة خطيرة على الفكر الإسلامى

منذ أوائل القرن التاسع عشر بدأت محاولات مؤرخى الثقافات القديمة (المصرية والبابلية والإغريقية والهندوسية خصوصاً لتفسير أساطير هذه الثقافات خاصة أساطيرها المتعلقة بكيفية خلق الكون أو بدأ الحياة البشرية على الأرض مع أساس تاريخى بالقول بأن هذه الأساطير إنما كانت نصائح تفسير الأحداث حقيقة أو تحويلاً للأحداث الخفيفة إلى خيالات أو خرافات أسطورية بما يتناسب مع مستوى الإدراك والمعرفة الذى كان سائداً فى عصور البشرية الأولى وتحول هذا المنهج بفضل جهود مؤسسى علم الأنثربولوجى البريطانى (جيمس فريزر) فى ٩٠ القرن الماضى وأول القرن العشرين إلى محاولة تفسير الأساطير الأولى تفسيراً مرتبطاً بالاجتياح الاجتماعى العام وخصوصاً فيما يتعلق بأساطير الأسفار الفلسفية فى حياة الناس (الماء والشجر والأرض والآبار والشمس والقمر) وفى ألمانيا البروتستانتينية من أربعينات إلى ثمانينات القرن الماضى : التفسير البروتستانتى للكتاب المقدس على يد رودلف باليمانى خاصة الأسفار الأولى من العهد القديم (التكوين وما بعده) لمحاولة تحقيق قدر أقصى من التطابق بين ماجاء فى الأسفار عن خلق الكون والبشر والطوفان وبين ما قال به العلم الحديث على أساس اعتبار منطوق النص التوراتى (رموزاً لا أساطير) تشير إلى المعانى الكلية لعملية الخلق والنشور بين يدى الرب الخالق الواحد .

وقد جاء هذا بما نزع عن هذه النصوص طابعها الأسطورى الشكلى أو الخارجى وبما يحفظ لها جدارتها وأحقيتها بتصديق أنها قالت الحقيقة رمزياً بلازيادة ولانقصان .





الخاتمة

تأصيل الفكر الإسلامى وتحريره من التبعية

أولاً : ملامح القرن الخامس عشر الهجرى :

١ – إن أبرز مظاهر القرن الخامس عشر انكشاف فساد دعاوى الاستشراق والتغريب فى التطبيق فى محيط الإسلام وعجزها عن الاستجابة لأشواق النفس الإنسانية فضلاً عن عجزها فى بيئاتها الأصلية .

٢ – هز الإسلام العالم من جديد وأثبت قدرته على قيادة البشرية وأثبت حاجة البشرية إليـه .

٣ – فصائل النظرة إلى النظامين الرأسمالى والماركسى وفى عالم الإسـلام بعد أن دعا الغربيون إلى نظام اقتصادى جديد .

٤ – ظهور المناهج الجديدة الإسلامية الأصل والمصدر فى مجال علم الاجتماع الإسلامى وعلم النفس الإسلامى وعلم الاقتصاد الإسلامى ونظرية الأدب الإسلامى .

٥ – أجرى المفكرون المسلمون خلال الصحوة تصحيح أخطاء التاريخ والتراث .

١ – كشف فساد نظرية السامية .

٢ – كشف حقيقة الانقطاع الحضارى .

٣ – تصحيح قضية الدولة العثمانية .

٤ – ظهور فساد القانون الوضعى .

٥ – فشل النظام التربوى العلمانى الوافد .

٦ – فشل النظام الربوى .

٧ – الكشف عن فساد نظرية دارون .

٨ – انكشاف فساد نظرية فرويد .

ثانياً : التوحيد الخالص :

ليس منهج المتكلمين وأدلتهم على توحيد الله تبارك وتعالى كافية لتنشئة العقيدة الصحيحة أو تدعيم الإيمان بها بل أصح الوسائل لذلك هو منهج القرآن نفسه فى عرض الدائرة الإسلامية والاستدلال عليها وهو منهج الإقناع القائم على رعاية المظهر العام للطبيعة الإنسانية من جهة وعلى أسلوب الإقناع أكثر من أن يقنع قياس المنطق الأرسطى المستخدم فى الذهن وأسلوب الدين الذى هو وقف على الخاص ودوم العام وأسلوب الدين وهو للكافة يجب أن يبقى فى حدود أفهام هذه الكثرة .

يقول الدكتور أحمد شلبى : لقد اشتهر بين الباحثين أن المسلمين اتخذوا علم الكلام ليكون سلاحاً فى أيديهم يردون به الشبهة عن الإسلام مثل السلاح الذى يستعمله أعداء الإسلام وهذا كلام كالقاعدة التى ليس لها تطبيق فلم يحدث قط أن كان علم الكلام سلاحاً يفيد الإسلام والمسلمين ، وإنما كان من فلسفات وتعقيدات دون جدوى .

ويقول الدكتور محمد المبارك : تغلب على الكتب الشائعة فى هذه المادة (جوهر التوحيد والعقائد النسفية) الصبغة الفلسفية وتتصف بالتعقيد ؛ ذلك أن الخلافات بين المذاهب الكلامية والفرق ، وهى بعيدة عن المنطلقات القرآنية التى تقنع القلب وتغذى الروح وتقوى الإيمان وهى النهاية المتجسدة لكتب العقيدة على الطريقة الكلامية الفلسفية التى ازدهرت فى القرن الثالث الهجرى .

ولا بد أن نذكر أن علم الكلام أو كتب التوحيد كتبت على طريقة علم الكلام الذى اشتملت على نظريات فلسفية وآراء فى الطبيعة والكون فقدت اعتبارها ، وظهر خطؤها وضعفها ، ومن الخطورة بمكان أن يستمر طالب العلم الإسلامى فى الأخذ بها .

والواقع أن البحث فى ذات الخالق جل وعلا أمر ممتنع عن العقل البشرى كما ذكر الشيخ محمد عبده وقد أشار الرسول ﷺ إلى ذلك حين قال : « تفكروا فى آلاء الله ولا تفكروا فى ذات الله فتهلكوا » [1] .

وعلم الكلام علم دخيل ليس من علوم صدر الإسلام وأنه ظهر فى مطلع القرن الهجرى الثانى .

---

(١) أخرجه أبو نعيم (٦/٦٦ – ٦٧) والطبرانى فى الأوسط رقم (٦٤٥٦) بمعناه ، وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة رقم (١٧٨٨) .

أما المنطق فقد بدأ يطلق على كتاب اسمه (الطويقيا) علق عليه الكندى بعد حركة الترجمة .

وقد ظلت مؤلفات المسلمين فى المنطق متأثرة بمنطق أرسطو ، وقد اقتبسه المسلمون ليستعينوا به على الجدل والمناقشة والحوار ، وهو علم دخيل على الدراسة الإسلامية حافل بالغموض ، وقد كتب الإمام ابن تيمية كتاباً هاجم فيه المنطق وأسماه (نصيحة أهل الأديان فى الرد على منطق اليونان) .

★ ★ ★

عرفت البشرية الوحدانية لله تبارك وتعالى قبل أخناتون بستمائة سنة ، ويقول دكتور أحمد سعيد : إنه تم التوصل إلى أن الوحدانية فى مصر القديمة لم تعرف بعصر أخناتون كما هو بل عرفت منه بداية عصر الأسرات .. إنه بالرغم من تعدد الآلهة فى مصر القديمة إلا أنهم منذ هذا العصر المبكر استندوا فى أسمائهم الشخصية إلى قوة إلهية لم يجدوها فى أى كائن حى أو جماد ووصفها بالخفى العلى الرفيع الحى القادر إيماناً من المصريين بوجود تلك القوة الخفية والتى عبروا عنها فى البداية بكلمة مطلقة .

حقيقة المنهج الإسلامى :

يقوم المنهج الإسلامى على عقيدة التوحيد والوحى والغيب على النحو الآتى :

أولاً : الإيمان بالله الواحد الأحد بمفهوم الإحسان : « إنْ لم تكن تراه فإنه يراك » والإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره .

ثانياً : الإيمان بمفهوم الإسلام القائم على قاعدة الثوابت (الأصول الثابتة) والمتغيرات التى تقبل التغيير والاجتهاد .

ثالثاً : الإيمان بالمسئولية الفردية والجزاء الأخروى .

رابعاً : الإيمان بأن القرآن الكريم والسنة النبوية هما الميراث ، وأن ما يكتبه المفكرون المسلمون فهو التراث وهو الذى يمكن أن يوصف بأنه قديم وبأنه موضع الأخذ والرد لأنه قول بشر ، أما القرآن والسنة فإنهما من عند الله طبقاً لقول رسول الله ﷺ : « ولقد أوتيت هذا القرآن ومثله معه » (١).

---

(١) انظر التمهيد لابن عبد البر (١٥٦/٢ ، ٢٢١/٤).

خامساً : الإيمان بتطبيق الشريعة الإسلامية على المسلم والمجتمع الإسلامى .

سادساً : إقامة أخـلاقية المجتمع والحياة ، فالأخلاق جزء من العقيدة وليست متغيرة .

هذا الفهم للإسلام : بمفهوم إسلام الوجه لله وإقامة منهج الله تبارك وتعالى فى الحياة الدنيا بمفهوم السعى وتعمير الأرض وإقامة حدود الله التى أقامها على المسلم والإنسان فى الأساس والتعامل الصحيح مع الزوجة والأبناء والمجتمع كله وفق مفهوم العبودية الخالصة لله تبارك وتعالى المؤمنون كما وصفهم ربهم ﴿ **الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاماً** ﴾ [الفرقان ٦٣] .

هذا التسليم وهذا الخضوع هو حقيقة موقف الإنسان من شريعة الله تبارك وتعالى فى بناء الفرد والجماعة وأداء حق العبادة والزكاة على أساس أن يكون كل ما فى الدنيا من خير موجه إلى الآخرة ، وأن يكون منهج حياة المسلم قائماً على المسئولية الفردية والالتزام الأخلاقى ، وتكون الأخلاق قاسماً مشتركاً للسياسة والاجتماع والاقتصاد والتربية جميعاً .



ضرورة الشريعة الإسلامية لبناء الأمة الإسلامية

قال علال الفاسى : إن قصد الله تبارك وتعالى فى التشريع هو عمارة الأرض وحفظ نظام التعايش فيها واستمرار صلاحها لعلاج المستخلفين فيها وقيامهم بما كلفوا به من عدل واستقامة ومن صلاح فى العقل وفى العمل وإصلاح فى الأرض واستنباط لخيراتها وتدبير لمنافع الجميع .

يتمثل ذلك فى العناصر التالية :

أولاً : مراعاة الشريعة لطباع البشر وفطرهم لأن الذى أنزلها هو الذى خلق الخلق وهو أعلم بما يصلحهم ، ومن هنا نرى اشتمالها على مبادئ الرحمة والرأفة وسيرها على مبادئ المساواة يبن الناس بغض النظر على أجناسهم .

ثانياً : تعتمد فى تطبيقها على تنمية الوازع فى نفوسهم وإشعارهم بمراقبة الله تبارك وتعالى لهم ، ولذلك فإنهم يسارعون إلى تطبيقها على أنها عبادة لله تبارك وتعالى .

ثالثاً : الجزاء فى الشريعة دنيوى وأخروى ومن فاته نصيبه فى الدنيا فلا يفوته فى الآخرة ، ولذلك فهى تبعث على الرضا والاطمئنان .

رابعاً : لها صفة الشمول والبقاء لما يتضمن أصولها من عناصر الخلود والبقاء بما يمكن لها من استيعاب كل المشاكل ووضع كل الحلول .

خامساً : عملت الشريعة على منع الجريمة قبل وقوعها عملاً بمبدأ (الوقاية خير من العلاج) فأحاطت المسلم من جميع نواحيه بحصون منيعة تحميه وتصونه عن الانزلاق إلى مهاوى الرذيلة والاتجاه نحو الانحراف وقد نهج الإسلام فى تحقيق ذلك إلى عدة طرق منها التربية السليمة + العبادات التى لها أكبر الأثر فى تطهير النفس وتصفية الروح ووقايتها من الوقوع فى المعاصى والآثام .

سادساً : تنهى الشريعة عن ارتكاب المحرمات مقدرة بسوء العاقبة التى يتردى إليها مرتكبو الجرائم .

سابعاً : سدت الطرق الموصلة إلى المحرمات فحرمت الزنا وسدت الطريق التى من شأنها

أن تثير الشهوة أو تحرك العواطف الجامحة فأمرت بالاستئذان وغض البصر وتستر المرأة وعدم الخلوة .

ثامناً : أوجبت الشريعة على المسلمين التعاون على البر والتقوى والتواصى بالحق والصدق ومحاربة الإثم والعدوان والشر والفساد .

ومن بين ما استعمله الإسلام فى توجيه الإنسان وتقويم سيره مجموعة من التشريعات التى تشكل حجر الزاوية بالنسبة للشريعة بكاملها :

١ – هدف الشريعة تحقيق مصالح العباد .

٢ – تنظم العلاقات بين الإنسان والله تبارك وتعالى الخالق المشرع وبين الإنسان والإنسان وبين الإنسان وبيئته الطبيعية .

٣ – الأحكام بها المباح والمحرم ، والإباحة هى الأصل ، وكل ما لم يحرم فهو مباح ، ومنها المفروض والممنوع ومنها المستحب والمكروه .

علم التاريخ وفلسفة التاريخ والتراث

« علم التاريخ » يطلق على الخبرات الخاصة للجنس البشرى وما احتفظ به على مر السنين ، والتاريخ عمل المؤرخين فى إعادة تسجيل الأحداث الماضية ، وما قبل التاريخ يدخل فى علم الآثار ، ويركز التاريخ الأضواء على الحكومات ، أما التاريخ الفكرى فيركز على الحياة الاجتماعية والاقتصادية بالإضافة إلى السياسة من وجهة نظر حضارة بعينها ، أما التاريخ العالمى فهو يركز على الحضارة الغربية ، أما فلسفة التاريخ فتمثل الفكر الإنسانى المنبثق من علم التاريخ .

تنقية التراث وتحقيقه تعتبر من أخطر الموضوعات التى يجب التصدى لها فى الوقت الراهن لأنها تسهم إسهاماً كبيراً فى تكوين عقل المسلم الصحيح ، وبكل أسف فإن أعداء الإسلام عندما عجزوا عن التصدى له بقوة السلاح حاولوا الكيد له بطريق آخر هو الدس والتزييف والتحريف عن طريق إشاعة الأباطيل والإسرائيليات ووضع الأحاديث وتحريف حوادث التاريخ ﴿ **فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله** ﴾ [البقرة ٧٩] .

وبين أيدينا كثير من هذه الكتب :

الموضوعات لابن الجوزى ، والفوائد المجموعة للشوكانى .

وبها أحاديث موضوعة تشيع كثيراً من الأفكار التى تتعارض مع القرآن وما علم من الدين بالضرورة ، كذلك الوضع بالنسبة لكتب التفسير ، ومن ذلك ماقيل عن نبى الله داود – وفى تفسير الكشاف مئات من هذه الأحاديث فى فضائل السور أخرجها الحافظ ابن حجر وأكثرها غير صحيح .

وكتب التصوف تجد فيها كثيراً من القصص والأخبار التى يرفضها الإسلام رفضاً قاطعاً. وما تجده فى كتاب (الطبقات الكبرى) للشعرانى وفى الأخلاق المتبولية .

وفى كتب التفسير : تفسير الخازن ، وسنن ابن ماجه فى الحديث (بها حوالى ٣٠ حديثاً موضوعاً) والحقيقة أن معظم كتب التراث فى حاجة إلى إعادة نظر .

وكذلك كتب التاريخ الإسلامى فى حاجة إلى نظر وتحقيق حيث إن كثيراً منها وردت فيها وقائع تاريخية بعيدة عن الصواب وأحياناً لايقبلها العقل ولا يقرها الدين دخلت فيها روايات مدسوسة نقلت من جيل إلى جيل دون تمحيص أو تدقيق .

سموم الفكر البشرى

منذ فجر التاريخ الإنسانى وظهور الأنبياء من لدن نوح إلى محمد ﷺ وقد عاش تياران :

تيار الدعوة الربانية : (النبوة) وتيار الفكر البشرى بوثنيته وسمومه وأهوائه ومطامعه .

وظل تيار الدعوة الإسلامية يدعو إلى القيم والأخلاق والإيمان بالله تبارك وتعالى والنبوة والغيب والتوحيد الخالص .

وقد جدد الإسلام تراث النبوة كله فى القرآن وقدمه من جديد من خلال دعوة محمد ﷺ ووجه أنظارنا إلى صفحات مشرقة من الجهاد والنضال والكفاح التى قام بها الأنبياء فى سبيل إعلاء كلمة الله تبارك وتعالى .

كما كشف زيف الفكر البشرى ودعاويه المختلفة سواء من نظريات الفلاسفة الباطلة أو تحريفات الأديان أو تكذيب الرسل أو ظهور الفساد فى البر والبحر .

وقدم لها وصفاً واضحاً صريحاً لمفاهيم الكفر والإلحاد والإباحة والتثنية والوثنية والتعدد قدم الإسلام ذلك فى كتابه القرآن الكريم بأسلوبه الرائع ومنهجه المشرق الربانى وكان علينا أن نعمل على نفس الطريق تحت اسم « صيحة اليقظة » بعد أن جدد التلموديون والشعوبيون والعلمانيون هذا التراث البشرى مرة أخرى وقدموه فى نظريات ومناهج وأيديولوجيات جديدة فنحن الآن نواجه مرحلة شبيهة بمرحلة العصر العباسى وترجمة الفلسفات وظهور الكلام والاعتزال والتصوف الفلسفى بل أعتقد أن هذه المرحلة التى نعيشها أشد خطورة لأن المسلمين فى المرحلة الأولى كانوا غاية فى اليقظة إزاء مؤامرات الفكر الإغريقى الوثنى والغنوصى وكانت إرادتهم حرة مطلقة فقد واجهوها بقوة وكشفوا زيفها ودحضوا سمومها أما نحن فقد ظللنا وقتاً طويلاً تحت تأثير النفوذ الأجنبى وسيطرته تترجم إلى لغتنا فلسفات ضالة وقصص إباحية وتطرح فى طريقنا مذاهب وأيديولوجيات من الشرق والغرب من ركام فلسفات المادية والاشتراكية والشيوعية والوجودية والفرويدية والإباحية ، وهى ليست إلا الفلسفات القديمة وفلسفات الإغريق والمجوس والهنود مصوغة فى أساليب جديدة .

وليس عجباً أن ترى رجلاً مثل الدكتور (صبرى جرجس) المسيحى الذى عاش أكثر من خمسين عاماً داعية علم النفس الفرويدى فإذا به فجأة يكتشف أن هذا العلم الذى سارت به الركبان شرقاً وغرباً ، والذى فرضته المعاهد والجامعات كعلم أساسى وكحقائق – وليس كنظريات وفروض تخطئ وتصيب هو منقول تماماً وبالكامل من – التلمود ومن مكر يهود لتهديم البشرية وتدميرها وفجأة استفاق ضميره فكتب كتابه المعروف فى هذا المجال الذى هز دوائر التغريب فأخذوا يهاجمونه فى عنف ومضى هو فى هدفه يكشف لهم هذه الحقائق ويبين بالأسانيد والأدلة العلمية أن كل ما ادعاه (فرويد) علماً لم يكن إلا عصارة أحقاد اليهودية العالمية على البشرية رغبة فى تدميرها .

ثم عرف بعد ذلك أنه كانت هناك علاقة بين ماركس من ناحية وبين هرتزل من ناحية وبين فرويد من ناحية ثالثة ، وأن هذه العلاقة عملت وإن لم تتعاصر فى سبيل الهدف الذى رتبته التلمودية لتهديم البشرية وإذلالها وسحقها .

أحدهم من ناحية إعلاء المعدة والآخر فى إعلاء الجنس لينفتح الطريق أمام هرتزل وهذا التراث البشرى ترونه واضحاً فى :

أولاً : الفلكلور وما أسموه بالتراث الشعبى الحافل بالأساطير .

ثانياً : فى دعوى أن الإنسانية بدأت وثنية ثم وحدت .

ثالثاً : فى إحياء الأساطير جلجامش وغيره .

رابعاً : السحر والروحية الحديثة (تحضير الأرواح) .

خامساً : فكرة السامية التى تحجب (حنيفية) إبراهيم عليه السلام .

سادساً : فكرة الجنس وسيطرتها على السلوك الإنسانى وضرب دعوات أخرى حاولت أن تجعل من الواقع الشخصى (أدلر ويونج) فهما اللذان نشراها وأذاعاها .

سابعاً : نظرية دارون وتحولاتها وأهدافها .

ثامناً : نظرية ماركس واعتمادها على ادعاء علمى سقطت أركانه ولعل أخطر مافى التصوف الفلسفى قولهم بالجبرية وإسقاط الفرائض المكتوبة وأخطر مافى مذاهب البهائية والقاديانية إسقاط فريضة الجهاد .

وهناك ذلك التراث الباطنى الفلسفى الذى قدمه ابن سينا والفارابى والنصير الطوسى من جانب قضايا التصوف الفلسفى من أمثال وحدة الوجود والحلول والاتحاد وما كتب فى رسائل إخوان الصفا وغيره . وقد أقيمت على هذه الترهات مذاهب ودعوات باطلة أرادت أن تنال من التوحيد الخالص الذى جاء به الإسلام وإسلام الوجه لله ، فلا يغرنك أشعار ابن الفارض ولا كتابات الحلاج وابن عربى فإنها تستقى من فلسفات اليونان والمجوس وتهدف إلى تزييف ذاتية الإسلام الخالصة القائمة على التوحيد الخالص ، ولنحذر من مسألة الحب الإلهى والعشق الإلهى فهى سموم مركزة ذات أسماء لامعة فما هكذا يدار الحديث بين الإنسان وربه العظيم جل جلاله ومنذ أن فتح هذا الباب : باب انقطاع عن جلال الله تبارك وتعالى والخوف منه فقد تساقط إيمان الكثيرين .

إن عقيدتنا تقوم على مفهوم أهل السنة والجماعة : وهى الجمع بين الخوف والرجاء فى الله ، أما كلمة العشق وغيره من الكلمات فلم ترد مطلقاً على هذا النحو المضلل .

ما أشد حاجتنا إلى التحرر من الإرث اليهودى والمسيحى واليونانى والرومانى والمجوسى والفارسى والفرعونى الوثنى (١٤٠١ هـ) .

★ ★ ★

التميز الإسلامى الخاص

وهكذا نجد أنه فى كل قضية ثقافية أساسية تجرى مقارنتها بما يماثلها فى الفكر الغربى نجد ظاهرة (التميز الخاص) واضحة بحيث لا يمكن القول بأن هناك تشابهاً عاماً أو غالباً سواء أكانت هذه القضايا هى اللغة أو التاريخ أو التراث أو القانون أو التربية أو الاقتصاد ويرجع ذلك أساساً إلى اختلاف المنابع والجذور التى صدر عنها الفكر الغربى والتى صدر عنها الفكر الإسلامى وإلى تباين الميراث العقدى والأخلاقى والروحى من حيث استمد الفكر الغربى المعاصر منابعه من (الفكر الإغريقى) - و (الفكر الرومانى) و (الفكر اليهودى) و (الفكر المسيحى) ، وهى ينابيع مضطربة اختلطت فيها الأساطير بالفلسفات ولم يتضح فيها ميراث الأنبياء إلا قليلاً فى اليهودية والمسيحية وإن كانت الفلسفات وخاصة الأفلاطونية ونظرية العقول العشرة ووحدة الوجود والحلول والتعدد والتثليث والوثنية مما جعل هذا الرصيد الموروث للفكر الغربى ركاماً مضطرباً غاية الاضطراب تغلب عليه الأهواء والشهوات وعبادة الجسد والتجسد وفلسفة النسبية التى لا تقر فى الأخير ثوابت عامة تقوم عليها العقائد والثقافات .

إن الغرب يعرف هذه الحقيقة : أن الإسلام هو وارث الحضارة الإنسانية بالحق ولكنهم يعملون منذ ١٩٠٧ على تأخير هذا الواقع ؛ وذلك بإقامة هذه المحاولة الماكرة الممتدة المختلفة الأدوار والأوضاع فى سبيل تحقيق هدف لن يتحقق أبداً وهو :

« **صهر المسلمين فى بوتقة الحضارة الغربية الغاربة** » التى تكشف عن فسادها وانهارت مذاهبها وعجزت أيديولوجيتها عن العطاء سواء فى منهجها الليبرالى أو الماركسى أو فلسفاتها الفرويدية والعلمانية والدارونية والوجودية أو مذاهب العبثية ... إلخ .

★ ★ ★

الغرب وترجمة القرآن الكريم

طبع القرآن الكريم باللغة العربية فى أوربا فى القرن السادس عشر وقد أزعج ذلك بابا روما كل الإزعاج وأمر بجمع النسخ المطبوعة كلها وحرقها ، وأقام احتفالاً دينياً شهده شخصياً ليظهر للعالم المسيحى استنكاره البابوى .

ولم يكن انزعاج البابا من طبع القرآن الكريم فى نصه العربى إلا خوفاً من اطلاع المسيحيين على ماجاء فى هذا الكتاب العزيز من تعاليم وآداب تفضح المواقف الحاقدة والأباطيل التى كان يرددها المستشرقون تحت رعاية الكنيسة عن الإسلام ونبيه ﷺ وكان الغرب قد جعل نقطة البدء فى حرب الإسلام وتنفير المسيحيين والمسلمين منه على السواء هو القرآن الكريم فترجموه ترجمة محرفة مشوهة ينكرها الأصل العربى ليكون ذريعة لإصدار الآراء المضللة عنه .

يقول تشرشل فى كتابه (حرب النهر) :

لقد عرفنا مدى اهتمام المسلمين بكتابهم القرآن على نحو من الضعف صرفهم عنه لذلك عملنا على تغيير ذلك باحتضان أمثال غلام الدين القاديانى ودعونا إلى إلغاء الجهاد .

★ ★ ★

أخطاء فى فهم القرآن الكريم

يقول الدكتور محمد أحمد الغمراوى : تحت عنوان الفلسفة القرآنية :

ينبغى أن يتنبه المسلم إلى أن يقرأ للعقاد باحتياط وهو يكتب عن الإسلام ، فالعقاد ابن العصر الحديث أخذ ثقافته مما قرأ لأدباء وعلماء وهو شىء كثير ، وليس كل ماكتبه المستشرقون عن الإسلام يقبله المسلم ولا كل نظريات علماء الغرب تتفق وماقرره القرآن ، لكن القرآن اعتقد عن هذه النظريات ما اعتقد فهو ينظر إلى القرآن الكريم من خلال ما اعتقد منها ، ويبدو أن من بين ما اعتقده العقاد (نظرية فريزر) .فى نشوء الأديان فهى عنده ليست سماوية ولكن أرضية نشأت بالتطور والترقى إلى الأحسن .

ومن هنا تفضيل العقاد للإسلام على غيره من الأديان فهو آخرها وإذن فهو خيرها .
ومن هنا تفضيل ما أسماه الفلسفة القرآنية على غيرها من الفلسفات .

إن لم يكن هـــذا هو تفسير إطلاق اسميه الغربيين عـــلى كتابيه (عبقرية محمـد) و (الفلسفة القرآنية) فهذه التسمية خطأ منه ينبغى أن ينتبه إليه قارئ الكتابين من المسلمين لينجو إن أمكن مما توحى به التسمية من أن محمداً ﷺ عبقرى من العباقرة لا نبى ولا رسول بالمعنى الدينى المعروف فى الأديان المنزلة .

فالذى يقرأ عبقرية أبى بكر وعبقرية عمر مثلاً لا يمكن أن يسلم من إيحاء خفى إلى نفسه أن محمداً وأبا بكر وعمر من قبيل واحد : عبقرى من عباقرة وإن يكن أكبرهم جميعاً كالذى سمى النبى (بطل الأبطال) فأوهم أنه واحد من صنف ممتاز من الناس متجدد على العصور بدلاً من صنف آخر اختتم به ﷺ صنف الأنبياء المرسلين من عند الله تبارك وتعالى

فالنبى والرسول يأتيه الملك من وحى ومن كتاب ولا كذلك العبقرى ولا البطل فالنبوة والرسالة فوق البطولة والعبقرية بكثير ، وكم من الصحابة رضوان الله عليهم من بطل ومن عبقرى وكلهم يدين لهم ﷺ بأنه رسول الله إلى الناس كافة فى ذلك العصر وما بعده وأنه خاتم النبيين . (عبد الرحمن عزام مؤلف كتاب بطل الأبطال) .

★ ★ ★

والفلسفة القرآنية تسمية أخطر من عبقرية محمد : محمد ﷺ كان خلقه القرآن فهو خلق للعباقرة والأبطال منه نصيب إذ العظمة كلها والكمال الإنسانى كله فى اتباع ماجاء به القرآن فلإن يحشر صلوات الله عليه فى العباقرة أقرب إلى الصواب من أن يحشر القرآن فى الفلسفات .

إن الذى جرت به عادة الناس أن ينسبوا الفلسفة إلى صـــاحبها فيقال : فلسفة أرسطو أو فلسفة ابن رشد ، وإن قيل فلسفة كتاب الجمهورية مثلاً فإنما يراد بها فلسفة أفلاطون كما جاءت فى كتابه (الجمهورية) ممــا يراد إذا قيل فلسفة القرآن أو الفلسفة القرآنية .

إن القرآن كتاب الله ليس لمخلوق فيه حرف فهل يمكن أن يقال إن الفلسفة القرآنية معناها فلسفة محمد كما جاء فى القرآن ، وتسرب هذا المعنى إلى نفس القارئ المسلم

الناشئ عن طريق الإيحاء وهو الخطر الكامن فى تلك التسمية وهو عيبها الذى ينبغى أن يكون أول مأخذ على الكتاب وشر منه ماتوجبه التسمية من أن القرآن يمكن تلخيصه أو شرحه تحت هذا الاسم العجيب .

لقد صحح الإنسان الخطأ الفاحش الذى ذكره (فريزر) عن الإنسان الأول وحيرته بين القوى التى أحاطت به ورهبته إياها وعدم اهتدائه إلى مصدرها ثم ما حاوله من استرضائها واللياذ بها أو ببعضها كلما رغب أو رهب لقول القرآن : الإنسان الأول فى القرآن هو آدم أبو البشر وأول نبى كان فى الأرض لم يعبد إلا الله ولم يلجأ إلى سواه فخافه مخافة محذور أو ابتغاء مرغوب ولكن كان من ذريته من ضل عن الله ، وكان الضلال على درجات فى العصر الواحد وفى العصور المتعاقبة وجاء فريزر ومن لف لفه فعمم هذا الضلال على الجنس البشرى ، وجعل من درجاته سلسلة أو سلاسل بعضها أعمق وأغرق فى الضلال وبعضها أقل ضلالاً وأقرب إلى الرقى بتطبيقها على الأديان لما جاء به دارون تفسير النشوء والأنواع فى عالم الحيوان حيث لاصلة مطلقاً بين الميدانين حتى يمكن أن يقاس عالم على عالم ... إلخ) . ا . هـ .



الحملة الفرنسية محاولة التغريب فى العصر الحديث

جاءت الحملة الفرنسية على مصر علامة على مرحلة تعويض نابليون على أثر الثورة الفرنسية التى حملت لواء هدم العقيدة الدينية وإعلاء شأن الإلحاد وتمزيق الوحدة السياسية المسيحية فى أوربا من أجل إعطاء اليهود القدرة عل السيطرة وهدم نفوذ الكنيسة وإعلاء شأن العنصر والقوم بدلاً من الدين .

وقد حملت معها فكرة العلمانية (التى كانت تمثل السعى إلى النهضة والتقدم من غير طريق الدين ، ثم اتسع نطاق هذا المفهوم من بعد فصار سمة تميز فكر القوى المناهضة للدين (أى دين) على حد تعبير الدكتور السيد أحمد فراج فى كتابه (جذور العلمانية) .

وقد لاحظ الجبرتى بنظرته الثاقبة خطورة هذا التغيير الذى وضع الفرنسيون ركائزه مما كان له أبعد الأثر فى تحول المجتمع وتحلل القيم الأخلاقية وظهر السفور والاختلاط وأبيح البغاء وتبرجت المرأة المصرية المسلمة وخرجت واختلطت .

وقد أثر ذلك فى علماء الدين الذين والى بعضهم المستعمر فلما خرج الفرنسيون عاد المماليك إلى أسوأ مما كانوا وانتشر الربا والاختلاط بالأجانب وغير المسلمين وموالاتهم .

ومع هذا فقد كان الجبرتى يؤمن بضرورة الأخذ بعلوم أوربا مع المحافظة على القيم الإسلامية والعمل فى نطاقها وغلب فى هذه الفكرة طابع (جبرية) التصوف السلبى الجامد .

وكان أخطر مافى هذه المرحلة توقف المجتمع عن تطبيق الشريعة فلما جاء (محمد على) استفاد من هذا الجو فائدة كبرى فأوقع بين العلماء وكسبهم إلى صفه عندما حاول (عمر مكرم) المطالبة بالعدل للشعب وظل يعارضه ويحجبه حتى عزله نهائياً وانفرد بالسلطة فضلاً عن ذلك فقد سار محمد على على طريق من الولاء للغرب سياسياً واجتماعياً وكانت حروبه كلها بسلاح فرنسى ومشورة فرنسية وخبراء عسكريين فرنسيين وكانت تحقيقاً للتخطيط الذى رسمه المستشرق الفرنسى (فولنى) الذى حفظه نابليون عن ظهر قلب حملته على مصر إذ كان ينادى بأن السيطرة على الشرق لا تتم إلا بعد الاستيلاء على مصر والشام وتحطيم الخلافة العثمانية ، ومن هنا كان محمد على امتداداً غربياً لنابليون والنفوذ

الغربى ومبادئ العلمانية التى أرساها نابليون وجيوشه الفرنسية مكن لها محمد على بعد أن قوض سلطة الأزهر وأضعف نفوذ علماء الدين وحتى الكتب التى ترجمت فى فنون شتى ترجمت برغبة الأوربيين الذين أرادوا نشر آدابهم فى البلاد وأخطر ماهنالك أنه أقام نظاماً تعليمياً علمانياً وحجب امتداد الأزهر ونفوذه وأوجد الثنائية بين التعليم المدنى والتعليم الإسلامى .

كما سيطر على أوقاف الأزهر فأصبح العلماء خاضعين للحاكم ولم يكن رفاعة فى وعى الجبرتى الذى كان يقظاً إلى التفرقة بين التبعية للغرب وبين الأخذ بمقدار لخدمة الأمة وترقيتها فقد استقبح الجبرتى مستحدثات الفرنسيين والتحلل من المثل الأخلاقية التى انطبع بها المجتمع المصرى وتحدى العرف الإسلامى ، أما رفاعة فقد أقر التغريب جملة وقد عايش محمد على وإبراهيم وعباس وسعيد وإسماعيل وأنعم عليه بالرتب والتشريفات وأقطعوه قطاعات مهمة حتى ترك لورثته مايزيد على ألف وستمائة فدان ، كما حرم المشايخ من سابق وظائفهم التى هيمنوا بها على المجتمع وحكم عليهم بالعزلة التامة وقد سيطر على هذا الاتجاه ورعاه رفاعة الطهطاوى تلميذ المستشرق جومار الذى صنعه فى فرنسا على وجهة التغريب ، وقد استمر هذا التيار قرابة أربعين عاماً حيث دخلت إرساليات التبشر فى عهد سعيد وبدأ نشاط الأجانب وجاء إسماعيل بعد سعيد فألغى المحاكم الشرعية وفصل بذلك بين المسلمين وبين الخيط الباقى الأخير عندما أنجز قلم الترجمة برئاسة رفاعة ترجمة القانون الفرنسى المدنى والجنائى إلى العربية ١٨٦٣ .

وقد مهد هذا كله للاحتلال البريطانى الذى وصف بأنه الحملة الصليبية الثامنة التى انتصرت بعد أن باءت الحروب الصليبية بالفشل كما يسمى الحملة التى قادها اللورد اللنبى على القدس أثناء الحرب العالمية الأولى بالحملة الصليبية الأخيرة كختام حملات الغرب المسيحى على المسلمين فى أسبانيا والمغرب وفى الشام ومصر .

وقد كلف الخديو إسماعيل رفاعة الطهطاوى بترجمة القانون الفرنسى الوضعى عام ١٨٦٣ للعمل به فى المحاكم بعد إلغاء العمل بالشريعة الإسلامية ، ومن هنا يكون إسماعيل قد سبق مصطفى كمال أتا تورك فى إلغاء الحكم بالشريعة الإسلامية .

★ ★ ★

هذا ويمكن القول بأن أول علامات المقاومة للنفوذ الغربى الذى سيطر على الفكر الإسلامى قد بدأ من خلال الحركة التى قام بها جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده ورشيد رضا فقد بدأت فعلاً المواجهة من رموز الفكر الغربى على النحو الذى قام على الرد عليه وكشف زيفه جمال الدين فى كتابه الرد على الدهريين ومراجعة محمد عبده لكتابات هانوتو وفرح أنطون وهى الكتابات التى كشفت عن معطيات الإسلام للحضارة الإنسانية والمقارنة بين ذلك العطاء وبين موقف الأديان الأخرى .

ولابد أن نسجل هنا موقف (على مبارك) فى كتابه (علم الدين) من حيث سلامة موقفه من الإسلام ودوره فى عطاء الحضارة الغربية ودور المسلمين فى استعادة دورهم مرة أخرى جامعين بين علوم الدين والدنيا بوصفهما معاً « علم إسلامى واحد » .

★ ★ ★

يمثل جمال الدين بدء المواجهة مع الفكر الوافد وهو الاتجاه الذى سار فيه محمد عبده وفريد وجدى ومصطفى الغلايينى وغيرهم فى الرد على كرومر وهانوتو وفرح أنطون ورينان وفى رسالة الرد على الدهريين رد جمال الدين على تهافت الذين لا يؤمنون بالخلق والبعث وينفون عامل القوة الإلهية فى خلق هذا الكون مؤكداً أن الإيمان يرقى بالإنسان ويساعده فى تحقيق ذاته كما يساعده فى السيطرة على الكون وتطهيره من الفساد أراد أن يدلل على أن التقدم العلمى إذا لم يكن مشمولاً بالإيمان الدينى الذى يجعله به خدمة الكون ورعايته لاوسيلة لتدميره صار بلاء على البشر لا وسيلة لإسعادهم ، ويقرر جمال الدين أن الدين مطلقاً هو سلك النظام الاجتماعى ولن يستحكم أساس التمدن بدون الدين البتة ، وأن العلم الصحيح الذى يمكن للآدمى أن يصل إليه هو العلم الذى ينهى الإنسان عن الفساد فى الأرض وسفك الدماء فالأفغانى لايرفض العلم التطبيقى الوافد من الغرب ، ولكنه يرفض تسخير وسائل هذا العلم للتسلط على الشعوب وعبوديتها .

وفى نفس الاتجاه مضى محمد عبده فى الرد على فرح أنطون وتحرير مفهوم الإسلام من اتهامات التخلف والضعف والجمود فضلاً عن الكشف عن عجز المسيحية عن العطاء وقد فصل هذا الجانب من كتابه (الإسلام والمسيحية فى العلم والمدنية) تفصيلاً وافياً حتى حاول البعض فى السنوات الأخيرة طبع هذا الكتاب تحت اسم آخر مع حجب ماكتب

محمد عبده عن المسيحية (فعل ذلك طاهر الطناحى وعاطف العراقى) كما كشف زيف هانوتو وشيعته وكان جمال الدين قد رد على اتهامات رينان من قبل ومضى فى هذا الطريق خلفاء هذه المدرسة التى استمرت وماتزال حتى اليوم جيلاً بعد جيل قوام المقولة : رفض الدعوة الإلحادية العلمانية ، تقرر أن الإسلام هو دين العلم والمدنية يدعو للأخذ بأسبابها ليصل المسلمون المعاصرون به إلى أعلى الدرجات وأرقاها وأن العلم يجب أن يرتكز على ركائز الإيمان بل هو نابع من الإيمان وإلا صار علماً مضللاً .



وكانت الثورة الفرنسية قد اندلعت عام ١٨٧٩ تلك التى جند اليهود لها جان جاك روسو ومونتنسكيو وفولتير وغيرهم من الفلاسفة العلمانيين أعداء الدين والكنيسة وقد كانت مقدمة لاقتلاع العرش الفرنسى وفتح الطريق أمام الخروج من الجيتو اليهودى حيث جاءت الخطوة التلمودية حيث أصبح الفصل بين الدين والدولة هو المبدأ الرئيسى للنظرية السياسية للعالم كله وحيث انطوت صفحة الدور السياسى للكنيسة وبعد سطوة البابوات على مقدرات العالم وصدام الكنيسة بالعلماء من أمثال كوبر ثبليوس وجاليلو.

وفى عام ١٩٠٥ أعلنت فرنسا فصل الدين عن الدولة .

وفى عام ١٩١٧ ألغت الدين نهائياً وإلغاء دوره تماماً .

★ ★ ★

الحملة الفرنسية على مصر

بمجيء الحملة الفرنسية إلى مصر ١٧٩٨ كان ذلك علامة على عصر جديد من السيطرة الاستعمارية على الوطن العربى وبلاد الإسلام ، وقد جاءت لتحقيق عدد من الأعراض :

أولاً : استهدفت ضرب الخلافة العثمانية كدولة كانت تمثل خلال أربعمائة سنة سيطرة الإسلام والخلافة فى الدولة العثمانية التى أصبحت سداً منيعاً فى وجه المد الأوربى حيث امتدت من البلقان إلى آسيا الصغرى إلى سواحل الشام إلى الساحل الشمالى لأفريقيا وحتى حدود أسبانيا فى شبه حلقة تحيط بدول أوربا فى الشرق والجنوب .

ثانياً : استهدفت بالإضافه إلى تحطيم القوة العسكرية المعادية تغيير الواقع السياسى والاجتماعى القائم فى ظل الخلافة العثمانية بكل ماكان يمثله من أعراف وتقاليد وقيم وزعامات وإحلال واقع سياسى واجتماعى جديد .

ويدل على ذلك أن الحملة استصحبت مجموعة من العلماء والفنانين والفنيين بلغت ١٤٦ عضواً مجندين بأحدث الآلات والمطابع العربية والفرنسية كما ضمت طائفة كبيرة من النساء كان لها أثرها فى فتح باب التقليد أمام النساء فى مصر لتتحول البلاد تجاه أسلوب الحياة الغربية .

وقد أشار الجبرتى إلى هذا الأثر الذى أحدثته النساء المصاحبات للحملة من تغيير بعض العادات والتقاليد بصورة خطرة مما يدل على أن طبيعة الحملة : هى طبيعة غزوة تغريبية .

ثالثاً : لما كان المماليك هم القوة المؤثرة الوحيدة فقد اتجهت الحملة منذ اللحظة الأولى للغزو إلى ضرب المماليك كأفراد وكنظام باعتبارهم يمثلون واجهة حكم الخلافة فى المجال الإدارى والعسكرى .

ومن هنا كان منشور نابليون الذى طبعه على ظهر سفينة القيادة (أوربان) طافى بالحقد على المماليك مكيلاً لهم شتى التهم متخذاً منهم واجهة للعداء والسبب الظاهر للحملة .

رابعاً : جاء تحريك الحملة الفرنسية انتقاماً لهزيمة لويس التاسع فى المنصورة وكان حرص الحملة على تصفية الشباب المسلم المثقف من طلبة الأزهر إيماناً بمبدأ القضاء على اليقظة الإسلامية التى ابتعثها عدد من علماء المسلمين من أمثال الجبرتى والشوكانى وابن عبد الوهاب والزبيدى ، وقد جاءوا لينتقموا لهزيمة مر عليها خمسة قرون ، ولذلك فقد كان هدف الحملة الأساسى هو إدخال الخيل الأزهر وتعطيله .

خامساً : إن ما ادعاه علماء الثورة الفرنسية من دعاوى عن تحديث الشرق هى عبارة عن دعاوى وملتقطات جمعوها لتؤيد وجهة نظرهم وقد نقلوها من كتب الجبرتى ، بينما تجاهلوا عدداً من الحقائق التى أشار إليها وكشف بها عن حقدهم وكراهيتهم للإسلام ، فقد كتب الجبرتى عن الحملة الفرنسية مايزيد عن الألفى صفحة حولها العلماء الفرنسيون إلى مائتى صفحة بتحريف واضح ليستنتجوا منها بعض الأكاذيب ، فقد تحدث الجبرتى عن النهب والسلب والحرق والاغتصاب مما أغفله الفرنسيون فيما نقلوا عنه .

ونصل من ذلك إلى جملة حقائق أساسية :

أولاً : لم يقف المسلمون مكتوفى الأيدى أمام الغزو الفرنسى بل قاوموه مقاومة شديدة ورفض علماؤهم طيلسان نابليون وداسوه بالأقدام .

ثانياً : لم يكن شعبنا فى حاجة إلى من يعلمه الوطنية والحرية ، فقد كان يعرفها منذ زمن طويل ، ومواقف المسلمين مع لويس التاسع والتتار والصليبيين صفحات فخار وهى شاهدة ، وقد علمها لهم الإسلام وقد كتبوا مع الأمراء وثيقة حقوق الإنسان قبل أن تعرفها أوربا ، وقد تأكد لنابليون منذ اليوم الأول شدة مراس علماء المسلمين وأيقن بالهزيمة ، ثم لم يلبث أن أعلن عجزه فهرب سراً وترك جنده يتفرقون .

ولقد كان من أكبر أهداف الحملة الفرنسية على مصر الحصول على التراث الإسلامى ، وقد حملوا معهم كميات ضخمة بل إن وثيقة الصلح التى وقعت معهم سمحت لهم بأن يأخذوا كل ما نهبوه وقد بلغ قدراً كبيراً ، وكان له أثره الخطير فى دعم نهضة الغرب وفى تخلف المسلمين ، وتؤكد الدراسات التى أوردها الأستاذ محمود محمد شاكر أن بلادنا الإسلامية كانت على نهضة حقيقية قبل وصول الحملة الفرنسية وقد جاءت هذه الحملة لهدمها وهدم مصدرها الأساسى وهو الأزهر الشريف .

وقد حاول نابليون أن يستميل المشايخ من رجال الأزهر كى يستجيبوا له ، فلما رأى اقتناعهم عجل فأطلق جنود الغزاة ليطفئوا ما استقر فى قلوبهم من نار الأحقاد المتوارثة على دار الإسلام .

وقد سجل الجبرتى كيف أنهم دنسوا الجامع الأزهر ودخلوه راكبين الخيول وتفرقوا بصحنه ومقصوراته وربطوا خيالهم بقبلته وعاثوا بالأروقة والحارات وكسروا القناديل والسهارات وهشموا خزائن الكتب ودشتوا المصاحف وعلى الأرض طرحوها بأرجلهم ونعالهم داسوها ، وكان من أكبر همهم السطو على كتب علوم الحضارة وكتب التاريخ والأدب كلها بلا تمييز .

وقد كانت النهضة قد بدأت فى ركاب الجبرتى الكبير والبغدادى والزبيدى ، وكان هدف الحملة « وأد » هذه النهضة فى شخص طلاب الأزهر النوابغ الذين كانوا يقتلون يومياً وسرقة الكتب حيث كان يقتل يومياً خمسة أو ستة ، ويأمر بأن يطاف برءوسهم فى شوارع القاهرة ، ولقد كان هؤلاء الطلاب من النابهين وكانوا محرضين على مقاومة هذا الغازى المنتهك لحرمة دار الإسلام بل كشفت الوثائق مؤامراتهم فى محاولة إنشاء حزب لهم فى مصر يجمع خمسمائة شاب ونقلهم إلى فرنسا لتدجينهم حيث يلقنون كيف يحتقرون بلادهم ودينهم وفضلاً عن الدعوة إلى استقدام جوقة تمثيلية قال بالنص : إنها ضرورة للبدء فى تغيير تقاليد البلاد .

ولقد ثبت المصريون لهذه الحملة حتى خرجت تجر أذيال الخزى والعار ولم تحقق أهدافها ، فقد كان المصريون يقولون : إن الفرنسيين ليسوا إلا ورثة الفرنجة الذين هزموا فى المنصورة فلم تخلف إلا مزيداً من الكراهية للنفوذ الأجنبى .



حول مكتبة الإسكندرية

خير من دافع عن برابرة العرب من حرق مكتبة الإسكندرية المؤرخ الإنجليزى « سير الفريد بتلر » صاحب كتاب (فتح العرب لمصر) .

١ – وصف قصة أبى الفرج التى لم يذكرها أحد قبله بأنها بادية الضعف ومن السهل الطعن فى صحتها وحدد عناصر هذا الضعف .

٢ – أورد أن المؤرخين الرومان أكدوا أن المكتبة الرئيسية التى كانت ملحقة بالمتحف فى حى البوركيوم الملكى قد احترقت أثناء حصار يوليوس قيصر عندما قرر إحراق السفن التى فى الميناء وامتدت النيران من الميناء إلى المكتبة وأحرقتها تماماً .

٣ – ليس فى كتابات أحد من كتاب القرنين السادس والسابع الميلادى مايشير إلى وجود مكتبة فى السيرابيوم خلال هذين القرنين بما فى ذلك كتابات حنا مسكوس وصاحبه صفرنيوس اللذين زارا مصر قبيل الفتح العربى بسنوات قليلة .

٤ – يضيف بتلر إنه حتى إذا سلمنا بالرغم من كل ذلك بأن مكتبة الإسكندرية كان لها وجود فى زمن الفتح ، فإن من أبعد الأمور أن يكون العرب قد دمروها ، فإن الفتح العربى لم يدخل المدينة إلا بعد أحد عشر شهراً من الفتح ، وكان للروم فى خلال هذه الهدنة بحكم ما أوردته شروط الصلح أن يغادروا البلد إذا شاءوا وأن يحملوا معهم كل مايستطيعون نقله من متاعهم وأموالهم ، فلو كانت مكتبة السرابيوم موجودة لطمع الناس فى ثمن كتبها وأغراهم ذلك بنقلها إن لم يكن هناك مايغريهم .

٥ – أول من كتب عن مكتبة الإسكندرية بعد الفتح بنصف قرن الأسقف القبطى حنا النفتوس ، وكان من أهل العلم ولم يذكر شيئاً عن هذه المكتبة وتبديد ما بها على أيدى العرب .

٦ – يقول بتلر : إننا لانعدو أن نجد حجة قاطعة عن العرب فى اختفائهم ، ماكتبوا من الثقافة حتى ما كان لهم مخالفاً لدينهم ، فلاشك أن العرب عنوا منذ صدر التاريخ الإسلامى بجمع الكتب القديمة للحضارات المختلفة وعنوا بحفظها والترجمة عنها وهذا ثابت تماماً ، والثابت أن الأوربيين كانوا أقل احتفاءً بالكتب من العرب ، فإنهم حين فتحوا مدينة قسطنطينة فى شمال أفريقيا أحرقوا كل الكتب والمخطوطات التى وقعت فى أيديهم كما بدد الإنجليز عند فتح مدينة مجدلة مكتبة كبرى من الكتب الحبشية .

الرد على الدهريين وجمال الدين الأفغانى

بين السيد جمال الدين الأفغانى حقيقة (مذهب الدهريين - الماديين) الذين كانوا يعرفون فى زمنه باسم النيتشيرين نسبة إلى نيتشر أى الطبيعة ، وقد فند آراءهم الباطلة بأقوى الأدلة العقلية وأقطع البراهين المنطقية وكشف مدى ضرر هذا المذهب المدمر على البشرية ، فعرض للأمم التى نكبت بدائهم ووقعت فريسة بين مخالبهم ووصف ما أصابها من الأخذ بتعاليمهم التى جعلوا أولها إبطال عقيدتى الإيمان بالله والحياة الأبدية ثم إباحة الأموال وانتهاك الأعراض وإشاعة الفساد .

وبعد أن أشبع القول فى إظهار المفاسد التى تصيب بنى البشر من إنكار الألوهية التى تدعو إليها المذاهب المادية مما سجله التاريخ ويشهد به الواقع خلص إلى بيان حاجة الناس إلى (التدين)وأنه نظام حياتهم ورباط اجتماعهم وتكلم عن فضائل الدين الإسلامى ومزاياه ، وأنه قام على دعائم راسخة وأركان ثابتة تحفظ باتباعها نظام العمران ، وتتم سعادة الأمم ، وكذلك بين قيمة الدين وضرورته للإنسان وأثره فى رقيه وأثر الإلحاد فى انحطاطه .

قال جمال الدين الأفغانى : إن أقل ما يعتقد به الدين حينما يكون هو وجود الله (تبارك وتعالى) والحياة الأبدية ، وهذا أفضل بكثير من الدهرية ، بل هو أساس علاج شاف واف لسموم الدهريين .

ورسالة السيد الأفغانى : هى أن الإنسان هو أشرف المخلوقات وهو عبد الله وسيد الطبيعة .

وقال الشيخ محمد عبده : إن السيد ألف هذه الرسالة فى الهند عندما رأى حكومة الهند الإنجليزية تمد فى الغى جماعة من سكان تلك البلاد إغراء لهم بنبذ الأديان وحل عقود الإيمان ، وإن كثيراً من العامة فتنوا بآرائهم وخدعوا عن عقيدتهم وكانت النيتشرية (عبادة الطبيعة) قد ظهرت فى بلاد اليونان فى القرن الرابع والثالث قبل ميلاد المسيح ومقصد أرباب هذه الطريقة محو الأديان ووضع أساس الإباحة والاشتراك فى الأموال والأبضاع بين الناس عامة .

وقال الشيخ محمد عبده : إن مقصد أرباب هذه الطريقة هو الأبضاع والأبضاع هو

النساء وحق التمتع بهن ، وقد كدحوا لإجراء مقصدهم هذا وبالغوا فى السعى إليه وتلونوا لذلك فى ألوان مختلفة وتقلبوا فى مظاهر متعددة وكيفما وجدوا فى أمة أفسدوا أخلاقها وعاد عليهم سعيهم بالزوال ولا نتيجة لمقدمتهم سوى فساد المدنية وانتقاص بناء الهيئة الاجتماعية الإنسانية ولن يستحكم أساس التمدن بدون الدين البتة ، أما عدم شيوع هذه الطريقة فسببه أن نظام الألفة الإنسانية وهو من آثار الحكمة الإلهية السامية كانت له الغلبة على أصولها الواهية وشريعتها الفاسدة وبهذا السر الإلهى انبعثت نفوس البشر لمحو ماظهر منها ومن هذا لم يبق لهم ثبات قدم ، ولم تقم لهم قائمة أمر ولافى وقت من الأوقات .

ولقد كان البريطانيون فى الهند يروجون لهذا المذهب مع مذاهب الإلحاد المتعددة وقد اختاروا رجلاً من مسلمى الهند للقيام بهذه المهمة : هو السيد **أحمد خان** .

★ ★ ★

خطأ تاريخى يحتاج إلى تصحيح

للأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده كتابين فى الرد على خصوم الإسلام والمسلمين هما : « الإسلام والرد على منتقديه » رد فيه على الوزير الفرنسى هانوتو .

والثانى : « الإسلام والنصرانية فى العلم والمدنية » رد فيه على فرح أنطون الذى حاول عن طريق الحديث عن ابن رشد الفيلسوف الأندلسى أن يغمز للإسلام ، ولقد طبع هذا الكتاب الأخير مرات متعددة لأنه كشف بالمقارنة الفوارق البعيدة بين الإسلام والمسيحية وجوانب العطاء الواسع الذى تميز به الإسلام بوصفه الدين العالمى والخاتم للبشرية كلها ، كما كشف الأخطاء والاضطرابات التى واجهت المسيحية المنزلة بعد أن انتقلت من بيئتها الطبيعية فى المشرق إلى روما والغرب .

غير أنه يبدو أن هذا الكتاب لم يعجب البعض وأحسوا بخطر ما يعرضه من آراء وأفكار مدللة بالبراهين الحكمية فعمدوا إلى سلبه الجانب الخاص بالمسيحية وحجبه تماماً وإعادة طبع الجزء الخاص بالإسلام فقط بعنوان مختلف ، فأفقدوه تركيبه الفنى الذى وضع من أجله .

وقد قام بهذا العمل الخطير رجل عاش فى أحضان (دار الهلال وأصحابها إميل

وشكرى زيدان) هو الأستاذ طاهر الطناحى ، ومن العجيب أنه استطاع أن يقدم هذا الكتاب إلى إحدى الهيئات الإسلامية التى قامت بطبعه دون أن يتبين الذين أجازوه خطورة ما قام به الطناحى حين أخذ يستعرض فى المقدمة محاولات جرت للتقريب بين الإسلام والمسيحية ، قام بها الشيخ محمد عبده مما حدث للمفتى إبان مهجره فى بيروت ، وتعرفه على طائفة من المارون والمستشرقين والمبشرين الذين كانوا حَسَنِى الظن بما يسمى التقريب بين الأديان السماوية .

وما كان لهذا العرض كله أى صلة بموضوع الكتاب فى الحقيقة ، هذا فضلاً عن أن كتاب الشيخ محمد عبده لم يحمل أى عداء للمسيحية أو الداعين إليها ، وإنما كان محاولة للرد على هجوم (فرح أنطون) على الإسلام وادعائه بأنه لايحمى أحرار الفكر .

وقد بلغت المغالطة بالأستاذ الطناحى أن عرض لمعركة الشيخ الإمام مع هانوتو بالتفصيل ، وعندما أراد أن يعرض لموضوع الخلاف مع فرح أنطون وهو الموضوع الرئيسى والهام ترك الجزء الخاص بالمسيحية تماماً وبالكامل وقدم الجزء الخاص بالإسلام وأصوله وبذلك فوت على الباحثين معرفة تلك القضية الأساسية والخطيرة التى وضع من أجلها الكتاب .

حدث هذا عام ١٩٦٤ ومن عجب أن جاء بعد ذلك بأكثر من عشرين عاماً من أعاد طبع هذا الكتاب بمقدمة جديدة : ذلك هو الدكتور عاطف العراقى الذى يحمل جميع مفاتيح خزائن الغزو الفكرى وهو الكتاب الذى صدر عن دار سينا للنشر .

والحقيقة أنه ليس للشيخ محمد عبده كتاب يسمى الإسلام دين العلم والمدنية وإنما يسمى كتابه (الإسلام والمسيحية فى العلم والمدنية) وهو مجموع المواد التى نشرت فى مجلة المنار عام ١٩٠١ .

يقول تشارلز آدمس فى كتابه (الإسلام والتجديد فى مصر)

كان مقاله رداً على ماكتبه المحرر المسيحى لمجلة الجامعة العثمانية عن ابن رشد الفيلسوف المسلم الأندلسى المشهور والذى عرض فيه للموازنة بين تسامح النصرانية والإسلام نحو العلم والفلسفة وقرر أن المسيحية كانت أوسع صدراً للعلماء والفلاسفة وأقل اضطهاداً لهم ، وأن هذا يرجع إلى أن الجمع بين السلطتين الدينية والمدنية فى الإسلام جعل التسامح أصعب فى الإسلام منه فى النصرانية .

ودلل على رحابة صدر المسيحية بانتصار العلم بالفعل على الاضطهاد المسيحى فى أوربا ولكنه لم يتمكن من التغلب على إظهار الإسلام إلى وقتنا هذا ، ثم ذهب المقال إلى أن علماء المسلمين ينكرون تأثير العلل الثانوية وإلى أن ابن رشد كان فى الواقع زنديقاً .

وقد تناول الشيخ عبده الكلام على المسائل الأربعة التى اشتمل عليها مقال فرح أنطون **أما الأولى فهى التى تقول** : إن المسلمين أفسحوا صدورهم لفلاسفتهم دون غيرهم من أهل الأديان الأخرى وقد أثبت فى رده سعة صدر المسلمين مع أهل الأديان الأخرى والجنسيات المختلفة مما ذكره من أسماء المؤرخين والفلاسفة غير المسلمين الذين عاشوا فى كنف الإسلام ، أما النقطة التى تقول بأن طبيعة الإسلام تقضى على تسامحه إزاء العلم بينما المسيحية تظاهره وتشجعه وكان هذا القول فى نظر الإمام أهم ماورد فى المقال فأفاض فى مناقشته وأسهب فى الرد عليه وتناول الأصول التى تبين طبيعة المسيحية وقارنها واحداً فواحداً بمبادئ الإسلام وبين مابينهما من فروق وأظهر غايات كل منهما ونزعاته أما النقطة التى ذهب فيها إلى القول بأن الأوربيين يجنون ثمار المدنية بفضل مافى النصرانية من تسامح فقد أجاب عليها مبيناً كيف أن المسيحية لم تكتف باضطهاد علمائها فحسب بل اضطهدت أيضاً العلماء من سائر الملل الأخرى وأظهر كيف خدم الإسلام العلم والمدنية وكيف ظلل الأمراء المسلمون بحمايتهم العلماء ممن يشاركونهم فى الدين أو يخالفونهم فيه ثم أسهب فى مناقشة الأسباب التى أدت إلى جمود المسلمين فى العصر الحاضر وما أفضى إليه من تأخر أحوالهم .

ومعنى هذا أن تقصيص الكتاب فى مجمله وحذف جانب فيه ونشر الجانب الآخر قد أضعف هدف الكتاب الأول ، إذ أن المادة كلها بتركيبها الأول قد أعدت فى مواجهة الرد على شبهات ، فإذا ترك منها الجانب الذى يتصل بالمسيحية ونشر الجانب الآخر فقد الكتاب قيمته الحقيقية وغرضه الأصلى والأساسى .

وقد كشف الشيخ محمد عبده أن الإسلام قد وضع على أساس طلب الغلبة والشوكة بينما بنيت المسيحية على المسالمة فى كل شىء والابتعاد عن السلطة .

أما الآن فنجد عكس ذلك فالدولة المسيحية تسارع إلى افتتاح الممالك ونهب الأموال والتغلب على الأقطار » . ا . هـ .

فهرس الموضوعات



رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ١٥٢١٨ / ١٩٩٩

دار النصر للطباعة الإسلامية
٢ - شارع نشاطى شبرا القاهرة
الرقم البريدى ـــ ١١٢٣١